

دِراساتٌ

في علمِ العقيدةِ

الجزءُ الثّاني

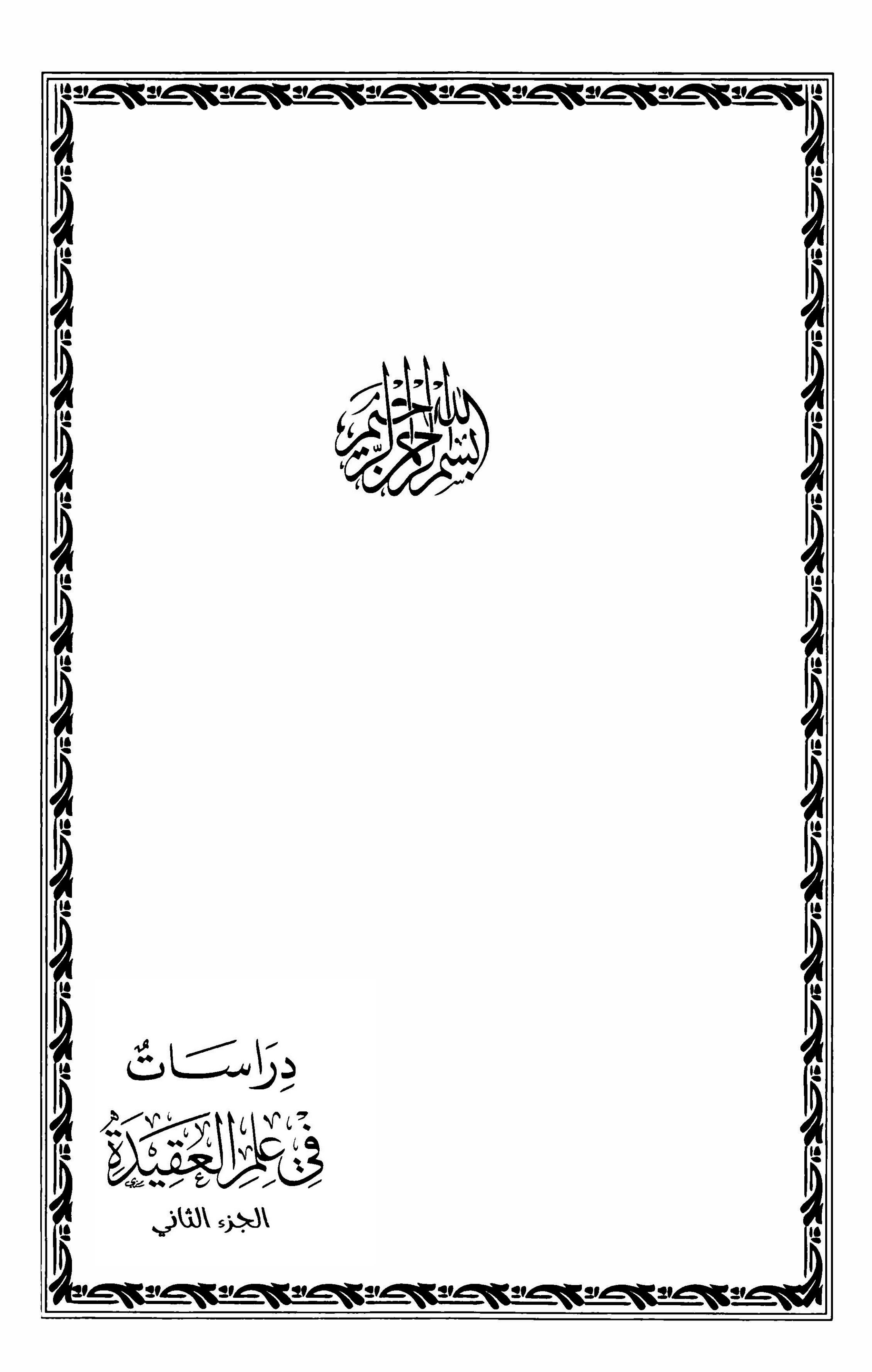
توحيدُ الألوهيّةِ ونواقِضُه

تأليف

أ. د. ناصِر بن عبد الله القِفاري

جامعة القصيم كليّة الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة




بسم الله الرحمن الرحيم
دراسات
في علم العقيدة
الجزء الثاني



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القفاري، ناصر بن عبد الله.
دراسات في علم العقيدة/ ناصر بن عبد الله القفاري - الرياض، ١٤٤٢هـ.
٤ مج.
ردمك: ٣-٤-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٠-٥-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)
١- العقيدة الإسلامية. أ- العنوان.
ديوي: ٢٤٠ ١٤٤٢/٦٩٦٩

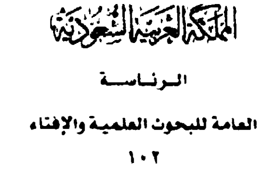
رقم الإيداع: ١٤٤٢/٦٩٦٩ ردمك: ٣-٤-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٠-٥-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م



دار العقيدة للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الرياض
هاتف 0503310067

المملكة العربية السعودية
الرئاسة
العامة للبحوث العلمية والإفتاء
١٠٢



الرقم : ....
التاريخ : ....
المشفوعات : ....
الموضوع : ....

الحمد لله . والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد : فقد اطلعت على كتاب (دراسات في علم العقيدة) بأجزائه الأربعة لفضيلة الدكتور : ناصر بن عبدالله القفاري الأستاذ بجامعة القصيم . فوجدته كتابا جيدا مفيدا في موضوعه يجدر بكل طالب علم الاطلاع عليه . فجزاه الله خير الجزاء ونفع بعلمه . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

٢/٦/١٤٤١هـ



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فهذا هو الجزء الثاني من سلسلة «دراسات في علم العقيدة»[(١)]، وُضِعَ وَفْق الخطة الدراسية لتخصص الشريعة والدراسات الإسلامية، الموافقة للمعايير الأكاديمية لمحتوى برامج الشريعة في مؤسسات التعليم العالي المعتمد في الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي.

يتناول فصلين؛ الأول: توحيد الألوهية (القصد والطلب).

والثاني: الشرك وما يتعلق به.

كما أَثبَتُّ في خاتمة كل فصل ملخصًا لأهم مسائله مع أسئلة تطبيقية تعين الطالب على فهم مادته.

وتعتمد مادة هذا الكتاب في نصوصها أولًا على الكتاب والسنة؛ لأن الاعتقاد لا يؤخذ إلا عن الله ورسوله ﷺ، ثم الرجوع إلى ما قرره سلف الأمة وأئمتها؛ لأن علمهم قبسٌ من مشكاة النبوة، وقد عمدت إلى نقل نصوصهم بحروفها ليتعود الطالب على فهم كلامهم، ولأن كلام السابقين وإن كان قليل اللفظ فهو كثير البركة.

---

(١) طُبع هذا الكتاب أولًا ضمن كتاب (التوحيد ونواقضه)- طبعة دار العقيدة ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧- ثم طبع بعد تحرير وزيادة ضمن كتاب (التوحيد حقيقته وأنواعه) - طبعة دار العقيدة ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م - ثم تم تقسيمه على قسمين وَفق المنهج الجديد بعد استكمال جميع مسائل المنهج، وتسميته مع بقية الأجزاء الأربعة الشاملة لجميع المنهج باسم: (دراسات في علم العقيدة)، وهو هذه الطبعة.

كما أني قد أكرر النقل في المعنى الواحد؛ لأن تنوع الألفاظ في المعنى الواحد يعين الطالب على فهمه، ويساعد على رسوخه في ذهنه.

واللهَ تعالى أسأل أن يجعله لوجهه خالصًا، ولسنة نبيه ﷺ موافقًا، ولعباده نافعًا.

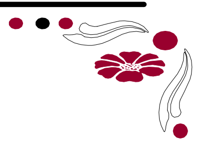
أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري
n0380@hotmail.com

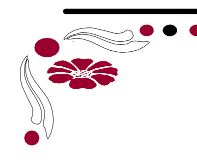




الفصل الأول

توحيد الألوهية





الفصل الأول

۞ **ويشتمل على ما يلي:**

١- تعريف توحيد الألوهية وأسماؤه.

٢- علاقة توحيد الألوهية بالشهادتين.

٣- لوازم الإيمان بتوحيد الألوهية.

٤- الأدلة على توحيد الألوهية.

٥- أهمية توحيد الألوهية وفضائله، ومكانته في دعوة الأنبياء والمرسلين.

٦- أول ما يؤمر به المكلف.

٧- أصالة التوحيد وطروء الشرك على بني آدم.

٧- عَلاقة توحيد الألوهية بالربوبية والعكس.

٨- العبادة؛ تعريفها، وشروط صحتها، وأنواعها، مع الأمثلة.

٩- الجمع بين المحبة والخوف والرجاء، وحكم الإفراط والتفريط في أحدها.

١٠- الدعاء؛ تعريفه، وأقسامه، وحكمه، وفضله، وشروطه، وآدابه، وأسباب إجابته وموانعها، ومذاهب الناس في تأثير الدعاء، وبيان الحق في ذلك.

١١- معنى «لا إله إلا الله» وأركانها، وشروطها، ونواقضها.





المبحث الأول

تعريف توحيد الألوهية وأسماؤه

۞ أولًا: تعريف الألوهية:

الألوهية لغةً: مشتقة من ألِه إلاهة - بالكسر - وألوهة وألوهية، بضمهما: عبد عبادة.

ومنه قرأ ابن عباس: «وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ» بكسر الهمزة، قال: أي عبادتك، والتألُّه: التنسك والتعبد، والله أصله: إلاه على وزن «فِعَال» بمعنى «مفعول»؛ لأنه مألوه، أي: معبود(١).

وتوحيد الألوهية شرعًا هو: إفراد الله تعالى بالعبادة(٢).

۞ ثانيًا: أسماؤه:

يطلق على هذا النوع من التوحيد عدة أسماء، منها:

١- توحيد الإلهية، وسُمّي بذلك باعتبار إضافته إلى الله تعالى.

٢- توحيد العبادة، وسمي بذلك باعتبار إضافته إلى العبد.

٣- توحيد الإرادة؛ لأنه مبنيٌّ على إرادة وجه الله وحده بالعبادة.

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور (١/ ١١٤-١١٥)، تاج العروس (٣٦/ ٣٢٠-٣٢٢).

(٢) انظر في تعريف توحيد الألوهية: شرح الطحاوية (١/ ٢١)، لوامع الأنوار (١/ ٢٩)، تيسير العزيز الحميد (ص٣٦) وغيرها.

٤- توحيد القصد والطلب؛ لأنه مبني على إخلاص القصد والطلب، فلا يقصد بعبادته سوى وجه الله تعالى، ولا يطلب بعمله سوى ربه - جل وعلا.

٥- توحيد العمل أو التوحيد العملي؛ لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده[١].



(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٢١).



المبحث الثاني

علاقة توحيد الألوهية بالشهادتين

۞ أولًا: علاقة توحيد الألوهية بالشهادتين:

علاقة توحيد الألوهية بشهادة أن لا إله إلا الله علاقة مطابقة وتضمن. أما المطابقة فلأن توحيد الألوهية هو مضمون «لا إله إلا الله»؛ **حيث يتفقان في دَلالة كل واحد منهما على أمرين:**

الأول: إخلاص العبودية لله تعالى.

والثاني: نفي العبودية عما سواه.

ودلالتهما على واحد من هذين الأمرين دلالة تضمن.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «توحيد الألوهية... هو معنى لا إله إلا الله مطابقة وتضمنًا»(١)، ثم بَيَّن وجه ذلك، فقال: «هذه الكلمة دلت على البراءة من الشرك والكفر به تضمنًا، ودلت عليه وعلى إخلاص العبادة لله تعالى مطابقة»(٢).

وقال أيضًا تعليقًا على قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ

(١) المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد (ص٢٤٥).

(٢) بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبد المحمود (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم الأول) (ص٣٢٧)، وانظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٤٤).

يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٧]: «فبين تعالى أن استكبارهم عن قول: «لا إله إلا الله»؛ لدَلالتها على نفي عبادتهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله؛ فإن دلالة هذه الكلمة على نفي ذلك دلالة تضمن، ودلالتها عليه وعلى الإخلاص دلالة مطابقة»[١].

۞ ثانيًا: علاقة توحيد الألوهية بشهادة أن محمدًا رسول الله:

وأما علاقة توحيد الألوهية بشهادة أن محمدًا رسول الله فهما متلازمان، فمَن أقر بتوحيد الألوهية لزمه أن يقر لرسول الله ﷺ بالرسالة، ومن أقر لرسول الله ﷺ بالرسالة لزمه أن يقر لله - جل وعلا - بالوحدانية؛ لأن الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له هي مفتتح دعوته وزبدة رسالته، قال ملا علي القاري: «ولتلازم الشهادتين شرعًا جُعِلتا خَصْلة واحدة»[٢]، وقال العلامة ابن عثيمين: «مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله: أن تصدقه فيما أخبر، وتمتثل أمره فيما أمر، وتجتنب نهيه فيما نهى عنه وزجر، وتتعبد إلى الله بشريعته، لا تبتدع فيها ما ليس منها، ولذلك صارت شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ركنًا واحدًا؛ لأن كل عبادة لا بد فيها من إخلاصٍ ومتابعة»[٣].

فطاعة رسول الله ﷺ من طاعة الله ﷻ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «**مَن أطاعني فقد أطاع الله، ومَن عصاني فقد عصى الله**»[٤].



(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٢١٤).
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٦٨).
(٣) لقاء الباب المفتوح (١٩٧/ ٢) بترقيم الشاملة آليًّا.
(٤) أخرجه البخاري (ح٧١٣٧)، ومسلم (ح١٨٣٥).



المبحث الثالث

لوازم الإيمان بتوحيد الألوهية

۞ من لوازم الإيمان بتوحيد الألوهية ما يلي:

أولًا: الإيمان بربوبية الله تعالى؛ لأن الألوهية متضمنة ومستلزمة للربوبية.

ثانيًا: وصف الله تعالى بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ من صفات الكمال.

قال الإمام ابن القيم: «وهذا أمر معلوم بالفِطَر والعقول السليمة والكتب السماوية؛ أن فاقد صفات الكمال لا يكون إلهًا، ولا مدبرًا، ولا ربًّا»[١].

ثالثًا: الإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره؛ لأن ذلك مما أمر الله بالإيمان به، وطاعته فيما أمر هو مقتضى الإيمان بألوهيته.

رابعًا: فعل المأمورات واجتناب المنهيات، فإن ذلك من حقوق التوحيد ومكملاته[٢]، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم**

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٠).

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٤١٨).

على الله»[(١)].

خامسًا: تحكيم شرعه والانقياد لحكمه، وفي حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «**يا عدي، اطرح عنك هذا الوثن**»، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، قال: «**أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه**»[(٢)].

سادسًا: تحقيق التوحيد وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم: «تحقيق التوحيد قدر زائد على ماهية التوحيد، وتحقيقه من وجهين: واجب ومندوب، فالواجب تخليصه وتصفيته عن شوائب الشرك والبدع والمعاصي. فالشرك ينافيه بالكلية، والبدع تنافي كماله الواجب، والمعاصي تقدح فيه وتنقص ثوابه، فلا يكون العبد محققًا للتوحيد حتى يسلم من الشرك بنوعيه، ويسلم من البدع والمعاصي، والمندوب تحقيق المقربين، تركوا ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، وحقيقته هو انجذاب الروح إلى الله، فلا يكون في قلبه شيء لغيره»[(٣)].



(١) أخرجه البخاري (ح٢٥)، ومسلم (ح٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي (ح٣٠٩٥)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٩٢)، وإسناده صحيح (السلسلة الصحيحة برقم ٣٢٩٣).

(٣) حاشية كتاب التوحيد، ابن قاسم (ص٣٧).



المبحث الرابع

الأدلة على توحيد الألوهية

استفاضت الأدلة وتنوعت في تقرير هذا التوحيد، حتى قال الشيخ سليمان ابن عبد الله: «وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، وأبدأ فيه وأعاد، وضرب لذلك الأمثال؛ بحيث إن كل سورة في القرآن ففيها الدلالة على هذا التوحيد»(١).

ومن أنواع الأدلة في القرآن على هذا النوع من التوحيد:

١- الأمر به، فهو أول أمر ورد في القرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١]، ومما ورد أيضًا من الأمر به قوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ونحوها من الآيات.

٢- بيان أنه الغاية من خلق الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

٣- بيان أنه المقصود من بعثة الرسل، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص٢١).

٤- بيان أن الكتب الإلهية إنما أنزلت للدعوة إليه، كما في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل: ٢].

٥- بيان عظيم ثواب أهله، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

٦- بيان ما أعد سبحانه لمن تركه من العذاب أليم؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]، إلى غير ذلك.

كما تضافرت الأحاديث في السنة النبوية في تقرير هذا التوحيد وبيان أهميته، ومن ذلك:

١- أن هذا التوحيد حق الله على عباده، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، أتدري ما حقهم عليه؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**ألا يعذبهم**»(١).

٢- أنه أول ما يؤمر به العبد، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث النبي ﷺ معاذًا نحو اليمن قال له: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات ...**» الحديث(٢).

٣- أن تركه سبب لدخول النار، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار**»(٣)، وعن جابر بن عبد الله

---

(١) أخرجه البخاري (ح ٧٣٧٣).
(٢) أخرجه البخاري (ح ٧٣٧٢).
(٣) أخرجه البخاري (ح ٤٤٩٧).

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومَن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار**»[١].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.



(١) أخرجه مسلم (ح ٩٣).



المبحث الخامس

أهمية توحيد الألوهية

وفضائله ومكانته في دعوة الأنبياء والمرسلين

۞ أولًا: أهمية توحيد الألوهية:

تتبين أهمية توحيد الألوهية من وجوه كثيرة، منها:

١- أنه معنى كلمة التوحيد؛ «لا إله إلا الله»، والتي هي أصل الدين، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «توحيد الألوهية... هو معنى لا إله إلا الله مطابقة وتضمنًا»(١)، وقد سبق.

٢- أنه الغاية التي من أجلها خلق الله الجن والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾ [الذاريات: ٥٦]، قال ابن عباس: «ما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتنا، والتذلل لأمرنا»(٢). وقال ابن كثير: «أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم»(٣)، «فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده، وهي حقيقة قول القائل: لا إله إلا الله، ولهذا بعث الله جميع الرسل، وأنزل جميع الكتب،

---

(١) المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد (ص٢٤٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٥).

ولا تصلح النفس وتزكو وتكمل إلا بهذا»[١].

٣- أنه حق الله على عباده، فعن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له: عفير، فقال: «**يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله ألا يعذب مَن لا يشرك به شيئًا**»، فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشر به الناس؟ قال: «**لا تبشرهم، فيتكلوا**»[٢].

٤- أن حاجة العباد إليه فوق كل حاجة، فلا راحة ولا طمأنينة ولا أُنْس ولا سعادة إلا بمعرفة الله تعالى بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته. قال ابن أبي العز: «وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها»[٣].

٥- يتحرر المخلوق بتحقيقه من رق المخلوق وعبوديته، والتحري لنفعه، والخوف من ضره، والنظر لمدحه وقدحه، وهذه قمة العزة: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ [آل عمران: ١٣٩][٤].

۞ ثانيًا: فضائل توحيد الألوهية:

لتوحيد الألوهية فضائل كثيرة، منها:

١- أنه سبب لدخول الجنة، فعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»[٥]، وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أتى النبيَّ ﷺ

---

(١) الجواب الصحيح، ابن تيمية (٦/ ٢٩).
(٢) أخرجه البخاري (ح٢٨٥٦)، ومسلم (ح٣٠). (٣) شرح الطحاوية (ص٦٩).
(٤) مقدمات في الاعتقاد، د. ناصر القفاري (ص٢٠).
(٥) أخرجه البخاري (ح٣٤٣٥)، ومسلم (ح٢٨).

رجلٌ فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**»(١).

٢- أنه سبب للنجاة من النار، فعن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»(٢).

٣- أنه سبب لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تبارك وتعالى: يا بن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي. يا بن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي. يا بن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»(٣).

٤- أنه سبب للاهتداء والأمن في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، «فالتوحيد من أقوى أسباب الأمن من المخاوف، والشرك من أعظم أسباب حصول المخاوف، ولذلك من خاف شيئًا غير الله سُلِّط عليه، وكان خوفه منه هو سبب تسليطه عليه، ولو خاف الله دونه ولم يخفه لكان عدم خوفه منه وتوكله على الله من أعظم أسباب نجاته منه»(٤).

٥- أن قَبول الأعمال متوقف على تحقيقه، وكمالها متوقف على كماله. قال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء: ٩٤].

۞ ثالثًا: مكانة توحيد الألوهية في دعوة الأنبياء والمرسلين:

لتوحيد الألوهية في دعوة الأنبياء والرسل مكانة عظيمة، **وتتبين من وجوه كثيرة، منها:**

---

(١) أخرجه مسلم (ح٩٣).
(٢) أخرجه البخاري (ح٥٤٠١).
(٣) أخرجه الترمذي (ح٣٥٤٠) وحسنه، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٤٣٣٨).
(٤) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٧٣).

١- أنه أول دعوتهم، وزبدة رسالتهم، وعليه تُبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها[(١)]؛ «فإنهم كلهم دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته، من أولهم إلى آخرهم، فقال نوح عليه السلام لقومه ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وكذلك قال هود وصالح وشعيب وإبراهيم عليهم السلام»[(٢)]، قال ابن القيم: «التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى»[(٣)].

وقال الشوكاني: «الشرائع كلها اتفقت على إثبات التوحيد على كثرة عدد الرسل المرسلين، وكثرة كتب الله عز وجل المنزلة على أنبيائه... فالتوحيد هو دين العالم أوله وآخره وسابقه ولاحقه»[(٤)].

ومما يدل أيضًا على أن توحيد العبادة هو أول دعوة جميع الرسل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله - جل وعلا: ﴿إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ [فصلت: ١٤].

كما دلت السنة على ذلك: فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»**[(٥)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «**إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا**

---

(١) انظر: شرح الطحاوية (ص٦٩).
(٢) مدارج السالكين (١/ ١٢١).
(٣) مدارج السالكين (٣/ ٤١١).
(٤) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات (ص٥).
(٥) أخرجه البخاري (ح٢٥)، ومسلم (ح٢٠).

إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله...» الحديث[١].

٢- أنه أول واجب على المكلف، قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**»[٢].

قال الإمام ابن أبي العز: «ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب بلوغه، بل يؤمر بالطهارة والصلاة إذا بلغ أو ميز عند من يرى ذلك، ولم يوجب أحد منهم على وليه أن يخاطبه حينئذٍ بتجديد الشهادتين، وإن كان الإقرار بالشهادتين واجبًا باتفاق المسلمين، ووجوبه يسبق وجوب الصلاة، لكن هو أدى هذا الواجب قبل ذلك»[٣].

ولأهمية هذا الموضوع (أول واجب على المكلف) سيتم إفراده في مبحث مستقل إن شاء الله تعالى.

٣- أنه آخر واجب على المكلف؛ قال ﷺ: «**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله؛ دخل الجنة**»[٤].

قال ابن أبي العز: «وهو أول واجب وآخر واجب»[٥].



(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه البخاري (ح ٢٥)، ومسلم (ح٢٢).
(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢٣).
(٤) أخرجه أبو داود (ح٣١١٦).
(٥) شرح الطحاوية (١/ ٢٣).



المبحث السادس

أول ما يؤمر به المكلف

أول ما يؤمر به المكلف هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب: قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، وغيرها من الآيات.

ومن السنة: حديث ابن عمر عن النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله...**»[(١)]، وحديث ابن عباس: لما بعث النبي ﷺ معاذًا نحو اليمن قال له: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى...**» الحديث[(٢)].

وأما الإجماع: فإن «السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد

(١) أخرجه البخاري (ح٢٥)، ومسلم (ح٢٢).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (ح ٧٣٧٢).

الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ»[(١)]، قال ابن المنذر: «وأجمع كل من نحفظ عنه: أن الكافر إذا قال: لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، ولم يزد على ذلك شيئًا؛ أنه مسلم»[(٢)].

وقال ابن حزم: «وقال سائر أهل الإسلام: كل من اعتقد بقلبه اعتقادًا لا يشك فيه، وقال بلسانه: لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإن كل ما جاء به حق، وبرئ من كل دين سوى دين محمد ﷺ؛ فإنه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك»[(٣)].

هذا ما دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، لكن فارقهم أهل الكلام في هذه المسألة مُحْدِثين بدعة لم تعرف لدى السلف، وهي القول بأن أول ما يؤمر به العبد هو النظر، وقال آخرون: القصد إلى النظر، وقال بعضهم: الشك، كما سيتبين في المبحث التالي.

أقوال المتكلمين في أول واجب على المكلفين:

اختلف المتكلمون في ذلك على أقوال:

الأول: أول واجب على المكلف هو معرفة الله تعالى[(٤)]، وهو قول الأكثر،

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ١١).

(٢) الإجماع (ص١٣٧).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٢٩).

(٤) وقع الخلاف في كيفية حصول المعرفة بالله عند الإنسان، **على ثلاثة أقوال:**

القول الأول: أن معرفة الله لا تحصل إلا بالنظر. وهذا قول كثير من المعتزلة والأشاعرة وأتباعهم من أصحاب المذاهب الأربعة وغيرهم.

القول الثاني: أن المعرفة يبتديها الله اختراعًا في قلوب العباد من غير سبب يتقدم، ومن غير نظر ولا بحث. وهذا قول كثير من الصوفية والشيعة، ومعنى هذا القول أن المعرفة بالله تقع ضرورة فقط.

القول الثالث: أن المعرفة بالله يمكن أن تقع ضرورة، ويمكن أن تقع بالنظر. وهذا قول =

ومنهم أبو الحسن الأشعري[١].

الثاني: أول واجب على المكلف هو النظر. وهو قول جمهور المعتزلة.

الثالث: أول واجب على المكلف هو القصد إلى النظر. وهو قول ابن فورك والباقلاني والجويني.

الرابع: أول واجب على المكلف هو أول جزء من النظر.

الخامس: أول واجب هو الشك. وإليه ذهب أبو هاشم الجبائي[٢].

قال العضد الإيجي: «قد اختلف في أول واجب على المكلف أنه ماذا؟ فالأكثر -ومنهم الشيخ أبو الحسن الأشعري- على أنه معرفة الله تعالى؛ إذ هو أصل المعارف والعقائد الدينية وعليه يتفرع وجوب كل واجب من الواجبات الشرعية، وقيل: هو النظر فيها، أي: في معرفة الله سبحانه؛ لأنه واجب اتفاقًا، وهو قبلها، وهذا مذهب جمهور المعتزلة والأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني، وقيل: هو أول جزء من النظر؛ لأن وجوب الكل يستلزم وجوب أجزائه، فأول جزء من النظر واجب وهو متقدم على النظر المتقدم على المعرفة، وقال القاضي -واختاره ابن فورك وإمام الحرمين-: إنه القصد إلى النظر؛ لأن النظر فعل اختياري مسبوق بالقصد المتقدم على أول أجزائه، والنزاع لفظي»[٣]، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن هؤلاء من يقول: أول واجب هو القصد إلى النظر، وهو أيضًا نزاع لفظي؛ فإن العمل الاختياري مطلقًا مشروط بالإرادة»[٤].

= جماهير المسلمين. انظر: درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٥٢)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ٩٣٤).

(١) والمقصود بالمعرفة التي يوجبها الأشاعرة مباشرة أو بوسائلها من النظر أو القصد إلى النظر هي: معرفة الله تعالى، أي: الإقرار بوجوده تعالى، وأنه خالق العالم، وأن ما سواه مخلوق محدث. انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ٩٣٥).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤١٩).

(٣) المواقف (١/ ١٦٥-١٦٦).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٥٣).

أدلة القائلين بأن أول واجب هو النظر أو القصد إلى النظر:

١- قالوا: لأن الله دعانا إلى ذلك، يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم: ٨]، وقال: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥][(١)].

٢- كما قالوا: إنه لا يمكن حصول المعرفة إلابالنظر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهؤلاء الموجبون للنظر يبنون ذلك على أنه لا يمكن حصول المعرفة الواجبة إلا بالنظر»[(٢)].

الرد على المتكلمين:

أولًا: دلالة القرآن والسنة والإجماع على أن أول واجب على المكلف هو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

ثانيًا: أن هؤلاء المتكلمين القائلين بأن أول واجب على المكلف هو النظر «لم يميزوا بين النظر الشرعي الحق الذي أمر به الشارع وأخبر به، وبين النظر البدعي الباطل المنهي عنه»[(٣)]، «فالنظر الشرعي: هو النظر فيما بُعث به الرسول من الآيات والهدى»[(٤)]، **وهو ما تدل عليه الآيات السابقة**؛ حيث دلت على مشروعية النظر، وهذا لا نزاع فيه. أما النظر البدعي فهو ما كان على وَفْق المقدمات والأدلة التي ابتدعوها، وهي الطرق الجدلية التي يسمونها عقلية، فنهاية هذا الطريق الشك، ولذلك ذمه السلف وأنكروه[(٥)]، قال شيخ الإسلام

(١) انظر: شرح المواقف (١/ ١٤٨)، شرح المقاصد في علم الكلام (١/ ٤٧)، أبكار الأفكار (١/ ١٥٥).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤٠٧). (٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ١٠١).

(٤) النبوات لابن تيمية (١/ ٢٩٠).

(٥) ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى ما كتبه شيخ الإسلام في: درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤٠٥) وما بعدها، وانظر رسالة الشيخ عبد الله الغنيمان في هذا الموضوع والتي بعنوان: أول واجب على المكلف عبادة الله تعالى.

ابن تيمية: «ولما كان في لفظ (النظر) إجمال، كثر اضطراب الناس في هذا المقام، وتناقض من تناقض منهم»[(١)]، «ولا ريب أن المؤمنين على عهد رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، لم يكونوا يؤمَرون بالنظر الذي ذكره أهل الكلام المحدث؛ كطريق الأعراض والأجسام»[(٢)].

ثالثًا: أنهم جعلوا النظر أول واجب، وهو قول مخترع مُحْدَث، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «النبي ﷺ لم يدعُ أحدًا من الخلق إلى النظر ابتداءً، ولا إلى مجرد إثبات الصانع، بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان، وبذلك أمر أصحابه... وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين، وعلماء المسلمين، فإنهم مجمعون على ما عُلم بالاضطرار من دين الرسول؛ أن كل كافر فإنه يُدْعى إلى الشهادتين، سواءٌ كان معطلًا، أو مشركًا، أو كتابيًّا، وبذلك يصير الكافر مسلمًا، ولا يصير مسلمًا بدون ذلك»[(٣)]، وقال الإمام أبو المظفر السمعاني: «إننا لا ننكر النظر قدر ما ورد به الكتاب والسنة؛ لينال المؤمن بذلك زيادة اليقين وثلج الصدر وسكون القلب، وإنما أنكرنا طريقة أهل الكلام فيما أسسوا؛ فإنهم قالوا: أول ما يجب على الإنسان النظر المؤدي إلى معرفة الباري عز وجل، وهذا قول مخترع لم يسبقهم إليه أحد من السلف وأئمة الدين»[(٤)].

رابعًا: أنهم كما جعلوه أول الواجبات فقد أوجبوه على كل أحد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القرآن العزيز ليس فيه أن النظر أول الواجبات، ولا فيه إيجاب النظر على كل أحد، وإنما فيه الأمر بالنظر لبعض الناس، وهذا موافق لقول من يقول: إنه واجب على من لم يحصل له الإيمان إلا به، بل هو واجب على كل من لا يؤدي واجبًا إلا به، وهذا أصح الأقوال»[(٥)].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤٢٠).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤٠٨).
(٣) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٦).
(٤) الانتصار لأصحاب الحديث (ص٦٠-٦١).
(٥) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٨).

الرد على من قال: أول واجب هو الشك:

وأما من قال: أول واجب هو الشك، كما حُكي عن أبي هاشم الجبائي المعتزلي وطائفة معه، ونسبه ابن حزم خطأ إلى الأشعرية، فهو قول باطل، ويكفي في معرفة بطلانه مجرد تصوره؛ لأن حقيقته أنه لا يصح الإيمان إلا بالكفر، ولا يصح التصديق إلا بالشك، وهذا معلوم فساده بالضرورة من دين الإسلام. يقول ابن حزم: «ما سمعنا قط في الكفر والانسلاخ من الإسلام بأشنع من قول هؤلاء القوم: إنه لا يكون أحد مسلمًا حتى يشك في الله ﷻ، وفي صحة النبوة، وفي هل رسول الله ﷺ صادق أم كاذب؟ ولا سمع قط سامع في الهوس والمناقضة والاستخفاف بالحقائق أقبح من قول هؤلاء: إنه لا يصح الإيمان إلا بالكفر، ولا يصح التصديق إلا بالجحد، ولا يوصل إلى رضاء الله ﷻ إلا بالشك فيه، وأن من اعتقد موقنًا بقلبه ولسانه أن الله تعالى ربه لا إله إلا هو، وأن محمدًا رسول الله، وأن دين الإسلام دين الله الذي لا دين غيره، فإنه كافر مشرك، اللهم إنا نعوذ بك من الخِذْلان»[(١)].

وقد رد الجويني -وهو من الأشاعرة- قول أبي هاشم هذا بقوله: «هذا خروج منه عن قول الأمة، وتوصل منه إلى هدم أصله، وذلك أن كل واجب مأمور به، وتقدير الأمر بالشك متناقض؛ إذ لا يثبت الأمر إلا مع العلم بالأمر واعتقاد ثبوته، والعلم به مع التشكك فيه متناقضان... فهو مردود لفظًا ومعنًى»[(٢)].



(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٣٣-٣٤).
(٢) الشامل في أصول الدين (ص١٢١-١٢٢).



المبحث السابع

أصالة التوحيد وطروء الشرك على بني آدم

۞ أولًا: أصالة التوحيد:

بين الله سبحانه أن البشرية كانت في أول أمرها على التوحيد، ثم طرأ عليها الشرك وعبادة غير الله، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، **وجمهور المفسرين على أن المراد به:** أنهم كانوا على ملة التوحيد، قال الحافظ ابن كثير: «لأن الناس كانوا على ملة آدم عليه السلام حتى عبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نوحًا عليه السلام، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولم يكن الشرك أصلًا في الآدميين، بل كان آدم ومن كان على دينه من بنيه على التوحيد لله لاتباعهم النبوة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس: ١٩]، قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام[٢]»[٣].

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٦٢١)، وبنحوه ابن حبان في صحيحه (ح٦١٩٠)، وإسناده صحيح.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٠٦).

۞ ثانيًا: طروء الشرك على بني آدم:

أول شرك طرأ على بني آدم هو الشرك في العبادة، وكان ذلك في قوم نوح عليه السلام، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣]: «أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم عبدت»(١).

وقال الإمام ابن القيم: «قال غير واحد من السلف: كان هؤلاء قومًا صالحين في قوم نوح عليه السلام، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم»(٢).

ثم كان الشرك في زمن إبراهيم عليه السلام بعبادة الكواكب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر»(٣)، وناظرهم في أن تلك الكواكب لا تستحق أن تعبد؛ لأنها مربوبة مخلوقة مدبرة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٧٩].

فـ«المشركون الذين وصفهم الله ورسوله بالشرك أصلهم صنفان: قوم نوح، وقوم إبراهيم، فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٩٢٠).

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ١٨٤).

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٢).

الصالحين، ثم صوروا تماثيلهم، ثم عبدوهم، وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر»[(١)].

۞ ثالثًا: انتقال الشرك إلى العرب:

أول من نقل الأصنام إلى جزيرة العرب وغيَّر دين إبراهيم عليه السلام هو عمرو بن لحي الخزاعي، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«رأيت عمرو بن لحي يجرُّ قُصْبه[(٢)] في النار»[(٣)]**.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد؛ أما ود كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع»[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كانت العرب قبل أن يبتدع عمرو بن لحي الشرك وعبادة الأوثان حنفاء يعبدون الله وحده، ويعظمون إبراهيم وإسماعيل، ولم يكن لهم كتاب يقرؤونه ويتبعون شريعته، وكان موسى قد بعث إلى بني إسرائيل بشريعة التوراة وحج البيت العتيق ولم يبعث إلى العرب»[(٥)].

وأصل شرك العرب، بل أصل شرك الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم كان في توحيد الألوهية، لا في توحيد الربوبية، فهم لم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم، بل اتخذوا معبودات يزعمون أنهم

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٢).
(٢) بضم القاف وإسكان الصاد، وهي الأمعاء (شرح النووي على مسلم ٦/ ٢٠٨).
(٣) أخرجه البخاري (ح٤٦٢٣)، ومسلم (ح٢٨٥٦).
(٤) أخرجه البخاري (ح٤٩٢٠).
(٥) الرد على المنطقيين (ص٤٥٥) بتصرف يسير، وانظر للتفصيل: سيرة ابن هشام (١/ ٧٧)، فتح الباري (٦/ ٥٤٩).

شفعاء لهم عند الله، كما ذكر الله ذلك عنهم في قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وفي قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣][(١)].

۞ رابعًا: حدوث الشرك في هذه الأمة:

أول من أحدث شرك الألوهية وعبادة المشاهد في أمة محمد ﷺ هم الرافضة الباطنية، الذين أعادوا شرك الجاهلية الأولى[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام؛ لا في الحجاز، ولا اليمن، ولا الشام، ولا العراق، ولا مصر، ولا خراسان، ولا المغرب، ولم يكن قد أحدث مشهد لا على قبر نبي ولا صاحب، ولا أحد من أهل البيت ولا صالح أصلًا، بل عامة هذه المشاهد محدثة بعد ذلك، وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة، وكثر فيهم الزنادقة الملبِّسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع، وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة، فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب، ثم جاؤوا بعد ذلك إلى أرض مصر»[(٣)].

ولكن الله سبحانه عصم هذه الأمة من الضلال الشامل، فلا تزال طائفة منهم قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى أن تقوم الساعة.



(١) انظر: الرد على المنطقيين (ص٢٩٢-٢٩٣).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٩٧)، الإخنائية (ص١٥٠).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٦٦).



المبحث الثامن

علاقة توحيد الألوهية بالربوبية والعكس

توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية؛ لأن مَن عبد الله وحده لا بد أن يكون قد اعتقد أنه الرب المالك الخالق المدبر المستحق للعبادة، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، ويدل عليه ويوجبه، ولهذا أقام الله الحجة على المشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية.

قال ابن أبي العز الحنفي: «توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزًا، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهًا، قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف: ١٩١]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧]»[١].

والربوبية والألوهية تارة يذكران معًا فيفترقان في المعنى، ويكون أحدهما قسيمًا للآخر، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾ [الناس: ١-٣]، **فيكون معنى الرب**: المالك المتصرف في الخلق، **ويكون معنى الإله**: المعبود بحق، المستحق للعبادة وحده، وتارة يذكر أحدهما منفردًا عن الآخر فيجتمعان في المعنى، كما في قول الملكين للميت في القبر: من ربك؟ **ومعناه**: من إلهك وخالقك؟

(١) شرح الطحاوية (١/ ٤١).

وكما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ [الحج: ٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [الأحقاف: ١٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإلهية تتضمن الربوبية، والربوبية تستلزم الإلهية؛ فإن أحدهما إذا تضمن الآخر عند الانفراد لم يمنع أن يختص بمعناه عند الاقتران، كما في قوله: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ وفي قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] فجمع بين الاسمين: اسم الإله واسم الرب؛ فإن (الإله) هو المعبود الذي يستحق أن يعبد، و(الرب) هو الذي يربي عبده فيدبره»[(١)].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «اعلم أن الربوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان، كما في قوله: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾، وكما يقال: رب العالمين، وإله المرسلين، وعند الإفراد يجتمعان، كما في قول القائل: من ربك؟»[(٢)].



(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٨٤).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٠٦).



المبحث التاسع

العبادة

تعريفها وشروط صحتها وأنواعها

۞ أولًا: تعريف العبادة:

العبادة في اللغة هي: الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق معبَّد إذا كان مذلَّلًا بكثرة الوطء، وأصل العبودية: الخضوع والتذلل، وعبد الله يعبده عبادة ومعبدًا ومعبدةً: تأله له، والتعبد: التنسك[(١)].

والعبادة في الشرع يراد بها:

١- **المتعبَّد به تارة**، فتعريفها بهذا الاعتبار أنها «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[(٢)]. والذي يحبه الله ويرضاه هو كل ما أمر الله به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ أمر إيجاب أو أمر استحباب، والمراد بالأعمال والأقوال الظاهرة: أقوال اللسان وأعمال الجوارح، ويراد بالباطنة: قول القلب، وهو تصديقه واعتقاده، وعمل القلب، وهو محبته، وخوفه، ورجاؤه، وتوكله، وغيرها من أعمال القلوب.

٢- **وتارة يراد بها**: التعبد نفسه، فتعريفها بهذا الاعتبار هو فعل أوامر الله

(١) انظر: لسان العرب (٤/ ٢٧٧٦-٢٧٧٨)، تاج العروس (٨/ ٣٣٠-٣٣١).
(٢) العبودية (ص٤٤)، وانظر: الدرر السنية (٢/ ٢٨٩، ٣٠٣).

واجتناب نواهيه، محبة وخوفًا ورجاء، قال ابن كثير: «العبادة.. في الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف»[(١)].

۞ ثانيًا: شروط صحتها:

يشترط لصحة العبادة شرطان لا تصح العبادة إلا بهما:

أحدهما: الإخلاص، وضده الشرك، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

والثاني: الاتباع، وضده الابتداع، قال جل وعلا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «جماع الدين أصلان: ألا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع»[(٢)]، وقال ابن القيم: «إن الله تعالى جعل الإخلاص والمتابعة سببًا لقبول الأعمال، فإذا فقدا لم تقبل الأعمال»[(٣)].

وقد دل على هذين الأصلين جميعًا قوله سبحانه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢]، حيث فسر إسلام الوجه لله بما يتضمن إخلاص قصد العبد لله بالعبادة له وحده[(٤)]، وهو محسن بالعمل الصالح المشروع المأمور به، وهذان الأصلان جماع الدين، ألا تعبد إلا الله، وأن تعبده بما شرع.

۞ ثالثًا: أنواع العبادة:

العبادة من حيث تعلقها بالعباد نوعان:

١- عبودية عامة: وهي عبودية أهل السماء والأرض، مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، وهي عبودية القهر والملك[(٥)]، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٣٤).

(٢) العبودية (ص١٤٨).

(٣) الروح (ص١٣٥)

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٤٣٢).

(٥) انظر: مدارج السالكين (١/ ١٢٥-١٢٦)، الدرر السنية (٢/ ٣٠٩).

٢- **عبودية خاصة:** وهو الإطلاق الغالب للفظ العبودية في القرآن والسنة، ويراد به عبودية المؤمن لربه سبحانه، وهو من مقتضيات توحيد الألوهية، أو توحيد العبادة، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٥](١).

والعبادة من حيث مراتبها ثلاث مراتب: مرتبة الإسلام، ومرتبة الإيمان، ومرتبة الإحسان، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: «وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان»(٢)، كما دل على ذلك حديث جبريل عليه السلام(٣).

والعبادة من حيث محلها أربعة أنواع: عبادة محلها القلب؛ كالإخلاص والخوف والرجاء والحب والتوكل وغير ذلك من أعمال القلوب، وعبادة محلها اللسان مع مواطأة القلب؛ كالشهادتين، والذِّكْر والدعاء، وعبادة محلها الجوارح مع مواطأة القلب ونطق اللسان؛ كالصلاة، والحج، وغيرهما، وعبادة مالية؛ كالزكاة.

وبالجملة: فالعبادة أنواعها كثيرة، فكل عمل صالح يحبه الله ويرضاه؛ قولي أو فعلي، ظاهر أو باطن، فهو نوع من أنواعها، والذي يحبه الله ورسوله هو كل ما أمر الله به في كتابه أو على لسان رسوله أمر إيجاب أو أمر استحباب.



(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ١٢٥-١٢٦).
(٢) ثلاثة الأصول وشروط الصلاة والقواعد الأربع (ص١٠)
(٣) انظر: صحيح البخاري (ح ٥٠)، صحيح مسلم (ح ٨).



المبحث العاشر

الجمع بين المحبة والخوف والرجاء

وحكم الإفراط أو التفريط في أحدها

للعبادة أركان ثلاثة ينبني عليها مدار مقامات السالكين، وهي: الخوف، والرجاء، والمحبة[(١)]، وكل منها فرض لازم، والجمع بين الثلاثة حتم واجب، ولا يجوز الإفراط أو التفريط في أحدها؛ ولهذا كان السلف يذمون من تعبد بواحد منها دون الآخر[(٢)]. قال بعض السلف: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد»[(٣)].

قال الحافظ ابن رجب: «يجب على المؤمن أن يعبد الله بهذه الوجوه الثلاثة: المحبة والخوف والرجاء، ولا بد له من جميعها، ومن أخل ببعضها فقد أخل ببعض واجبات الإيمان»[(٤)].

وقد جمع الله تعالى هذه المقامات الثلاثة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء: ٥٧]،

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٢٨٢). (٢) انظر: التنبيهات السنية (ص٧٥).
(٣) العبودية (ص١١٢).
(٤) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص٢٥).

«فابتغاء الوسيلة هو محبته الداعية إلى التقرب إليه ثم ذكر بعدها الرجاء والخوف فهذه طريقة عباده وأوليائه»[(١)].

ووجه كون هذه الثلاثة أركان العبادة: هو أن «الخوف يبعدك عن معصيته، والرجاء يخرجك إلى طاعته، والحب يسوقك إليه سوقًا»[(٢)].

علاقة الرجاء بالخوف:

قد ذكر الله تعالى الخوف مقرونًا بالرجاء في مواضع كثيرة منها قوله تعالى في مدح عباده المؤمنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وقد اختلف أهل العلم في علاقة الرجاء بالخوف، هل المشروع التسوية بينهما؟ أم ينبغي أن يغلب الرجاء على الخوف مطلقًا؟ أم يغلب الخوف على الرجاء مطلقًا؟ أم يغلب الخوف في حال الصحة، والرجاء في حال المرض؟ أم يغلب الرجاء في حال المرض وفي حال الصحة يجعل رجاءه وخوفه واحدًا؟ أم يختلف بحسب ما يرى العبد من نفسه؟ **فهي ستة أقوال في هذه المسألة:**

القول الأول: أنه ينبغي للمؤمن أن يكون خوفه ورجاؤه سواء. قال ابن رجب: «فأما الخوف والرجاء، فأكثر السلف على أنهما يستويان، لا يرجح أحدهما على الآخر، قاله مطرف والحسن وأحمد وغيرهم»[(٣)].

وقال مطرف بن عبد الله: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لوجدا سواء لا يزيد أحدهما على صاحبه»[(٤)]. قال شيخ الإسلام: «وهو كلامٌ صحيحٌ»[(٥)].

وقال الإمام أحمد: «ينبغي للمؤمن أن يكون خوفه ورجاؤه واحدًا، فأيهما

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١١).
(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص٤٣٦).
(٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص٢٥).
(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٢٠٨).
(٥) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٧٩).

غلب هلك صاحبه»[١]. قال شيخ الإسلام معللًا كلام الإمام أحمد: «لأن من غلب خوفه وقع في نوع من اليأس، ومن غلب رجاؤه وقع في نوع من الأمن من مكر الله»[٢].

وقال الإمام البخاري: «باب الرجاء مع الخوف»[٣]. قال الحافظ ابن حجر: «أي استحباب ذلك، فلا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف، ولا في الخوف عن الرجاء؛ لئلا يفضي في الأول إلى المكر، وفي الثاني إلى القنوط، وكل منهما مذموم»[٤]، وقد نقل الحافظ ابن حجر الاتفاق على استحباب التسوية بينهما في حال الصحة[٥].

القول الثاني: ترجيح الخوف على الرجاء مطلقًا، قال ابن رجب: «ومنهم [يعني من السلف] من رجح الخوف على الرجاء، وهو محكي عن الفضيل وأبي سليمان الداراني»[٦].

القول الثالث: تغليب الرجاء على الخوف مطلقًا، واستدلوا بحديث: «**أنا عند ظن عبدي بي...**»[٧]. قال النووي: «والأصح أن المراد به الرجاء»[٨]، وقال البيضاوي في معنى الحديث: «والمراد: هو الحث على تغليب الرجاء على الخوف، وحسن الظن بالله، كما قال ﷺ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى**»[٩][١٠].

(١) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٥/ ٣٥٩).

(٢) الفتاوى الكبرى (٥/ ٣٥٩).

(٣) صحيح البخاري (٨/ ٩٩).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٠١)، وانظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (٢٣/ ٦٦)، شرح الطحاوية (٢/ ٤٥٧)، القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص١٢٢)، مجموع فتاوى ابن باز (٢٤/ ٢٣٣).

(٥) انظر: فتح الباري (١١/ ٣٠١).

(٦) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص٢٥).

(٧) أخرجه مسلم (ح٢٦٧٥).

(٨) انظر: شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢).

(٩) أخرجه مسلم (ح ٢٨٧٧).

(١٠) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٢/ ١٤).

القول الرابع: تغليب الرجاء في حال المرض، وفي حال الصحة يجعل رجاءه وخوفه واحدًا، قال الإمام النووي: «اعلم أن المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفًا راجيًا، ويكون خوفه ورجاؤه سواءً، وفي حال المرض يمحض الرجاء، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهرة على ذلك»[١]. وقال الحافظ ابن حجر: «وأما عند الإشراف على الموت، فاستحب قوم الاقتصار على الرجاء لما يتضمن من الافتقار إلى الله تعالى، ولأن المحذور من ترك الخوف قد تعذر، فيتعين حسن الظن بالله برجاء عفوه ومغفرته»[٢].

القول الخامس: أن يكون الخوف في الصحة أكثر، وفي المرض عكسه[٣].
قال السري بن المغلس: «الخوف أفضل من الرجاء ما دام الرجل صحيحًا، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف»[٤]. وقال ابن القيم: «السلف استحبوا أن يقوِّي في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوِّي جناح الرجاء على جناح الخوف»[٥].

القول السادس: أن ذلك يختلف باختلاف حال كل شخص، قال شيخنا ابن عثيمين: «والذي عندي في هذه المسألة أن هذا يختلف باختلاف الأحوال، وأنه إذا خاف إذا غلب جانب الخوف أن يقنط من رحمة الله، وجب عليه أن يرد ويقابل ذلك بجانب الرجاء، وإذا خاف إذا غلب جانب الرجاء أن يأمن مكر الله، فليرد ويغلِّب جانب الخوف، والإنسان في الحقيقة طبيب نفسه إذا كان قلبه حيًّا، أما صاحب القلب الميت الذي لا يعالج قلبه ولا ينظر أحوال قلبه فهذا لا يهمه الأمر»[٦].

---

(١) رياض الصالحين (ص١٥٧).
(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٠١).
(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٠١).
(٤) شعب الإيمان (٢/ ٣٢٠).
(٥) مدارج السالكين (١/ ٥١٣)، وانظر: (٢/ ٣٧، ٤٣، ٥١).
(٦) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ١٠١).

الترجيح:

والراجح هو القول بالتسوية بين الخوف والرجاء، وهو الذي عليه أكثر السلف، لدلالة الآيات كما تقدم، ولحديث الترمذي عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال: «**كيف تجدك؟**»، قال: والله يا رسول الله، إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف**»[(١)].



(١) أخرجه الترمذي (ح٩٨٣)، وابن ماجه (ح٤٢٦١)، وحسنه الألباني (أحكام الجنائز ص٣).



المبحث الحادي عشر

الدعاء

تعريفه وأقسامه وحكمه وفضله وشروطه وآدابه وأسباب إجابته وموانعها ومذاهب الناس في تأثير الدعاء وبيان الحق في ذلك

۞ أولًا: تعريفه:

الدعاء لغة: الطلب والسؤال[(١)]، قال الفيومي: «دعوتُ الله أدعوه دعاء: ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيدًا: ناديتُه وطلبتُ إقباله»[(٢)]، وقال الراغب الأصفهاني: «الدعاء كالنداء، إلا أن النداء قد يقال بـ: «يا»، أو «أيا»، ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم، نحو: يا فلان، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر»[(٣)].

وأما الدعاء شرعًا: فهو سؤال العبد ربه جلب ما ينفعه أو دفع ما يضره[(٤)]، إما

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٢٧٩)، المخصص (٤/ ٥٧)، لسان العرب (١٤/ ٢٥٧).

(٢) المصباح المنير (١/ ١٩٤).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص٣١٥).

(٤) انظر: شأن الدعاء، الخطابي (ص٤)، المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٥٢٢)، الرسائل الشخصية (٦/ ١٠٤) (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب).

بلسان مقاله وهو دعاء المسألة، أو بلسان حاله وهو دعاء العبادة[(١)].

قال الخطابي: «معنى الدعاء: استدعاء العبد ربَّه ﷻ العنايةَ، واستمداده إياه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله ﷻ، وإضافة الجود والكرم إليه»[(٢)].

۞ ثانيًا: أقسامه:

الدعاء قسمان[(٣)]: **(١)** دعاء مسألة، **(٢)** ودعاء عبادة.

فدعاء المسألة أن يسأل الله جل وعلا جلب نفع أو دفع ضر، **ودعاء العبادة** أن يتعبد لله بما شرع، فيوحده سبحانه، ولا يشرك به غيره في العبادة، ويطلب بعبادته الثواب، وهو الفوز بالجنة والنجاة من النار[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين: دعاء العبادة، ودعاء المسألة»[(٥)]، و«الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما، وهما متلازمان»[(٦)].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء والنهي عن دعاء غير الله، والثناء على الداعين يتناول دعاء المسألة، ودعاء العبادة»[(٧)].

---

(١) ووجه هذا الأخير - الداعي بلسان الحال - أن المتعبد لله هو داع أيضًا، لأنه يطلب بعبادته الفوز بالجنة والنجاة من النار.

(٢) شأن الدعاء (ص٤).

(٣) **وهناك من قسم الدعاء إلى ثلاثة أقسام، أولها:** توحيد الله والثناء عليه، **وثانيها:** سؤال العفو والرحمة، **وثالثها:** سؤال أمر من أمور الدنيا. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٥٥)، وانظر: حجة الله البالغة (٢/ ١١٥).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ١٠-١١). (٥) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٣٧-٢٣٨).

(٦) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٠).

(٧) القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص١٢٧).

فـ«العابد داع، كما أن السائل داع، وبهما فُسِّر قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، قيل: أطيعوني أُثِبْكم، وقيل: سلوني أُعْطِكم، وفسِّر بهما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

والصواب أن الدعاء يعم النوعين»(١).

۞ ثالثًا: حكمه:

اختلف العلماء في حكم الدعاء، هل هو واجب أم مستحب؟ على قولين:

الأول: أنه مستحب، قال النووي: «اعلم أن المذهب المختار الذي عليه الفقهاء والمحدِّثون وجماهير العلماء من الطوائف كلِّها من السلف والخلف أن الدعاء مستحب»(٢).

الثاني: أنه واجب، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، قال الشوكاني: «يدل على أن ترك دعاء العبد لربه من الاستكبار، وتجنب ذلك واجب لا شك فيه»(٣).

واستدلوا أيضًا بقوله جل وعلا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]، «فإن هذا الاستفهام هو للتقريع والتوبيخ لمن ترك دعاء ربه»(٤).

وبحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنه من لم يسأل الله يغضب عليه**»(٥)، وهو دليل «على أن الدعاء من العبد لربه من أهم الواجبات

---

(١) جلاء الأفهام (ص١٥٥-١٥٦)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٣٧-٢٣٨).

(٢) الأذكار (ص٣٩٥).

(٣) تحفة الذاكرين (ص٣٦).

(٤) تحفة الذاكرين (ص٣٦).

(٥) أخرجه الترمذي (ح٣٣٧٣)، والبخاري في الأدب المفرد (ح٦٥٨)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٤١٨).

وأعظم المفروضات؛ لأن تجنب ما يغضب الله منه لا خلاف في وجوبه»[(١)]، وقال الزبيدي: «قال بعض الأئمة: وهو يدل على أن السؤال لله واجب»[(٢)].

والراجح: أن الدعاء من حيث العموم تجري عليه الأحكام التكليفية الخمسة، فمن الواجب الدعاء الوارد في سورة الفاتحة؛ فإنه «أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه»[(٣)]، وكذلك التوبة التي هي سؤال العبد ربه مغفرة الذنوب فقد اتفقت الأمة على وجوبها[(٤)]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القاعدة الكلية في شرعنا أن الدعاء إن كان واجبًا أو مستحبًّا فهو حسن يثاب عليه الداعي، وإن كان محرمًا كالعدوان في الدماء فهو ذنب ومعصية، وإن كان مكروهًا فهو ينقص مرتبة صاحبه، وإن كان مباحًا مستوي الطرفين فلا له ولا عليه»[(٥)].

۞ رابعًا: فضله:

للدعاء فضائل كثيرة وردت في الكتاب والسنة، منها:

١- أن الدعاء هو العبادة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠]، وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الدعاء هو العبادة**»، ثم قرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾»[(٦)].

٢- الدعاء أكرم شيء على الله تعالى. عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء**»[(٧)].

---

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، الشوكاني (ص٣٦).

(٢) إتحاف السادة المتقين (٥/ ٣٠).

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٢٠).

(٤) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب (١/ ٤٢٦).

(٥) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٣٦).

(٦) أخرجه أبو داود (ح١٤٧٩)، والترمذي (ح٣٣٧٢) وقال: «حسن صحيح».

(٧) أخرجه الترمذي (ح٣٣٧٠)، وابن ماجه (ح٣٨٢٩)، وحسنه الألباني (صحيح الجامع ح٥٣٩٢).

٣- وعد الله لمن يدعوه بالقرب منه وإجابة دعائه، قال جل وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

٤- الدعاء يرد القضاء، فعن سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يردُّ القضاءَ إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر**»(١).

٥- الله يحب من عباده أن يدعوه، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنه من لم يسأل الله يغضب عليه**»(٢).

۞ خامسًا: شروطه:

١- الإخلاص، قال تبارك وتعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر: ١٤]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

٢- أن يكون المطعم والمشرب والملبس حلالًا، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك؟(٣).

٣- اليقين بالإجابة وحضور القلب، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاهٍ**»(٤).

(١) أخرجه الترمذي (ح٢١٣٩)، والبزار (ح٢٥٤٠)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٥١)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح١٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي (ح٣٣٧٣)، والبخاري في الأدب المفرد (ح٦٥٨)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٤١٨).

(٣) أخرجه مسلم (ح١٠١٥).

(٤) أخرجه الترمذي (ح٣٤٧٩)، وأحمد في المسند (١١/ ٢٣٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٤٥).

٤- العزم في الدعاء، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له**»[(١)].

٥- ألا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**» قالوا: إذًا نكثر، قال: «**الله أكثر**»[(٢)].

۞ سادسًا: آدابه[(٣)]:

للدعاء آداب كثيرة يستحب للداعي أن يتأدب بها، منها:

١- أن يفتتح الدعاء بحمد الله، والصلاة والسلام على النبي ﷺ ويختم بذلك.

٢- أن يدعو ربه في الرخاء والشدة.

٣- ألا يدعو على أهله، أو ماله، أو ولده، أو نفسه.

٤- أن يخفض صوته في الدعاء بين المخافتة والجهر.

٥- أن يتضرع إلى الله في دعائه.

٦- الإلحاح على الله في الدعاء.

٧- أن يتوسل إلى الله تعالى بأنواع التوسل المشروعة.

٨- عدم تكلف السجع في الدعاء.

٩- أن يدعو ثلاثًا.

١٠- استقبال القبلة.

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦٣٣٨)، ومسلم (ح٢٦٧٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٧/ ٢١٣-٢١٤)، وإسناده صحيح.

(٣) انظر للتفصيل ومعرفة الأدلة على هذه الآداب: تصحيح الدعاء، بكر أبو زيد (ص٢٢) وما بعدها، الدعاء ومنزلته في العقيدة الإسلامية، العروسي (١/ ١٦١) وما بعدها، شروط الدعاء وموانع الإجابة، سعيد القحطاني (ص٣٤) وما بعدها.

١١- رفع اليدين في الدعاء، إلا في المواضع المستثناة.

١٢- الوضوء قبل الدعاء إن تيسر.

١٣- أن يبدأ الداعي بنفسه إذا دعا لغيره.

١٤- استعمال الدعاء الوارد في الكتاب والسنة.

١٥- أن يتحرى جوامع الدعاء.

١٦- ألا يتحجر واسعًا.

١٧- ألا يرفع بصره إلى السماء حال الدعاء.

١٨- ألا يدعو بظهور كفيه أو يشير بأصبعه.

١٩- عدم التمايل عند الدعاء.

٢٠- تجنب التطريب والتلحين.

٢١- إظهار الافتقار والمسكنة.

۞ سابعًا: أسباب إجابته(١):

١- تقديم التوبة النصوح.

٢- تقديم عمل صالح قبله، كالصدقة والوضوء والصلاة.

٣- اغتنام الأوقات الفاضلة، كيوم عرفة وآخر ساعة بعد العصر يوم الجمعة، وشهر رمضان، والأسحار.

٤- اغتنام الأماكن الشريفة، كمكة ومشاعر الحج.

٥- اغتنام الأحوال الصالحة، كالدعاء عند نزول الغيث، وبعد الوضوء، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وعند فطر الصائم، وفي حال السجود، وأدبار الصلوات المكتوبات.

٦- توحيد الله والثناء عليه والاعتراف بالذنب في الدعاء، قال رسول الله ﷺ: «**دعوة ذي النون، إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني**

---

(١) انظر: تصحيح الدعاء (ص٣١-٣٣).

كنت من الظالمين؛ فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»[(١)] .

فقوله: **(لا إله إلا أنت)** توحيد، وقوله: **(سبحانك)** ثناء على الله وتنزيه له جل وعلا، وقوله: **(إني كنت من الظالمين)** اعتراف بالذنب.

۞ ثامنًا: موانع إجابته:

١- أكل الحرام، وسبق دليله.

٢- الدعاء بإثم أو قطيعة رحم، وسبق دليله.

٣- الاستعجال، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي**»[(٢)]، قال ابن بطال: «قال بعض العلماء: قوله: **(ما لم يعجل) يعني:** يسأم الدعاء ويتركه، فيكون كالمانِّ بدعائه، وأنه قد أتى من الدعاء ما كان يستحق به الإجابة، فيصير كالمبخِّل لربٍّ كريم، لا تعجزه الإجابة، ولا ينقصه العطاء، ولا تضره الذنوب»[(٣)] .

۞ تاسعًا: مذاهب الناس في تأثير الدعاء، وبيان الحق في ذلك:

قال ابن أبي العز الحنفي: «الذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم: أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، وقد أخبر تعالى عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، وأن الإنسان إذا مسه الضر دعاه لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا. وإجابة الله لدعاء العبد، مسلمًا كان أو كافرًا، وإعطاؤه سُؤْله من جنس رزقه لهم، ونصره لهم، وهو مما توجبه الربوبية للعبد مطلقًا»[(٤)] .

«وذهب قوم من المتفلسفة وغالية المتصوفة إلى أن الدعاء لا فائدة فيه! قالوا: لأن المشيئة الإلهية إن اقتضت وجود المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (ح ٣٥٠٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ح٣٣٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (ح٦٣٤٠)، ومسلم (ح٢٧٣٥).

(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/ ١٠٠).

(٤) شرح الطحاوية (٢/ ٦٧٦-٦٧٧).

وإن لم تقتضه فلا فائدة في الدعاء!! وهذا كما أنه معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام، فهو معلوم الفساد بالضرورة العقلية؛ فإن منفعة الدعاء أمر اتفقت عليه تجارب الأمم، حتى إن الفلاسفة تقول: ضجيج الأصوات في هياكل العبادات، بفنون اللغات، يحلل ما عقدته الأفلاك المؤثرات!! هذا وهم مشركون.

وجواب الشبهة بمنع المقدمتين: فإن قولهم عن المشيئة الإلهية: إما أن تقتضيه أو لا، ثمَّ قسم ثالث، وهو: أن تقتضيه بشرطٍ لا تقتضيه مع عدمه، وقد يكون الدعاء من شرطه، كما توجب الثواب مع العمل الصالح، ولا توجبه مع عدمه، وكما توجب الشبع والري عند الأكل والشرب، ولا توجبه مع عدمهما، وحصول الولد بالوطء، والزرع بالبذر، فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال: لا فائدة في الدعاء، كما لا يقال: لا فائدة في الأكل والشرب والبذر وسائر الأسباب، فقول هؤلاء كما أنه مخالف للشرع، فهو مخالف للحس والفطرة...

وقولهم: إن اقتضت المشيئة المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء؟ **قلنا:** بل قد تكون إليه حاجة، من تحصيل مصلحة أخرى عاجلة وآجلة، ودفع مضرة أخرى عاجلة وآجلة.

وكذلك قولهم: وإن لم تقتضه، فلا فائدة فيه؟ **قلنا:** بل فيه فوائد عظيمة، من جلب منافع، ودفع مضار، كما نبه عليه النبي ﷺ، بل ما يعجل للعبد من معرفته بربه، وإقراره به، وبأنه سميع قريب قدير عليم رحيم، وإقراره بفقره إليه واضطراره إليه، وما يتبع ذلك من العلوم العلية والأحوال الزكية، التي هي من أعظم المطالب.

فإن قيل: إذا كان إعطاء الله معلَّلًا بفعل العبد، كما يعقل من إعطاء المسؤول للسائل، كان السائل قد أثَّر في المسئول حتى أعطاه؟! قلنا: الرب سبحانه هو الذي حرك العبد إلى دعائه، فهذا الخير منه، وتمامه عليه، كما قال عمر

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إني لا أحمل هم الإجابة، وإنما أحمل هم الدعاء، ولكن إذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه). وعلى هذا قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة: ٥]، فأخبر سبحانه أنه يبتدئ بالتدبير، ثم يصعد إليه الأمر الذي دبره، فالله سبحانه هو الذي يقذف في قلب العبد حركة الدعاء، ويجعلها سببًا للخير الذي يعطيه إياه، كما في العمل والثواب، فهو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها، وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه، فما أثر فيه شيء من المخلوقات، بل هو جعل ما يفعله سببًا لما يفعله. قال مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير، أحد أئمة التابعين: (نظرت في هذا الأمر، فوجدت مبدأه من الله، وتمامه على الله، ووجدت ملاك ذلك الدعاء)»(١).



(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٧٨-٦٨١) بتصرف يسير.



المبحث الثاني عشر

معنى (لا إله إلا الله)

وأركانها وشروطها ونواقضها

۞ أولًا: معناها:

هذه الكلمة العظيمة هي أصل الدين وأساسه كله، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله، وهي تدل على إبطال العبادة لغير الله، وإثبات العبادة لله وحده جل وعلا(١).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «ومعنى (لا إله إلا الله) أي: لا معبود بحق إلا إله واحد، وهو الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، مع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، فصح أن معنى الإله هو المعبود، ولهذا لما قال النبي ﷺ لكفار قريش: «**قولوا: لا إله إلا الله**» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥]، وقال قوم هود: ﴿أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ﴾ [الأعراف: ٧٠]، وهو إنما دعاهم إلى (لا إله إلا الله)، فهذا هو

(١) انظر: مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (١/ ٣٨-٣٩)، وانظر: نصوص العلماء في معنى الإله في: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله (ص٧٤).

معنى (لا إله إلا الله)، وهو عبادة الله وترك عبادة ما سواه، وهو الكفر بالطاغوت، وإيمان بالله. فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله ليس بإله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، فتضمنت نفي الإلهية عما سواه، وإثباتها له وحده لا شريك له، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه إلهًا وحده، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهًا، وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبات»(١).

أما معناها عند المتكلمين، فقد شاع في كتب المتكلمين تفسير الألوهية بالقدرة على الاختراع(٢).

وهذا التفسير خطأ من وجوه:

الأول: مخالفته للسان العرب؛ فإن معنى (الإله) عند العرب: المعبود، ومعنى التأله: التعبد، قال في (الصحاح): «التأليه: التعبيد، والتألُّه: التنسُّك والتعبد»(٣).

الثاني: مخالفته للواقع؛ فإن العرب كانوا مقرين بأنه لا قادر إلا الله، ولم ينازعوا في هذا المعنى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع، كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الاختراع، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أنه لا إله إلا هو، فإن المشركين كانوا يقرُّون بهذا وهم مشركون... بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يُعبَد فهو إلهٌ بمعنى مألوه، لا إله بمعنى آلِه»(٤).

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٥٢).

(٢) انظر: أصول الدين، لعبد القاهر البغدادي (ص١٢٣)، تفسير الرازي (٣٢/ ٢١٧).

(٣) الصحاح (٦/ ٢٢٢٤)، وانظر: تهذيب اللغة (٦/ ٤٢٢-٤٢٤).

(٤) التدمرية (ص١٨٥-١٨٦)، وانظر: تيسير العزيز الحميد (ص٥٤-٥٥).

ومما يتعلق بمعرفة معناها معرفة القول الصحيح في تقدير خبر (لا)[(١)]، **واختلف الناس في تقدير الخبر على ثلاثة أقوال:**

الأول: قول المحققين من أهل العلم أن تقدير الخبر (حق) أي: لا إله حقٌّ إلا الله.

الثاني: قال النحاة: تقدير الخبر (موجود)، أي: لا إله موجود إلا الله[(٢)]، وهذا إن صح من ناحية اللغة، لكنه خطأ من جهة المعنى، **وذلك من وجهين:**

الوجه الأول: مخالفته للواقع، ذلك أن في الوجود آلهة باطلة، فكيف يقال: لا إله في الوجود؟! والله سبحانه سماها آلهة، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ﴾ [هود: ١٠١].

والوجه الثاني: أن هذا التقدير موافق في الظاهر لمقالة الاتحاديين القائلين: لا إله في الوجود إلا الله، وإن لم يقصد النحاة ذلك، لكن لا يسوغ مجاراتهم في ألفاظهم؛ لأن مقالة الاتحادية من مقالات الكفر والإلحاد، المناقضة للمعقول والمنقول[(٣)].

القول الثالث: لا حاجة إلى تقدير خبر، بدعوى أن نفي الماهية أقوى في التوحيد الصِّرف من نفي الوجود، فالأَوْلَى -على هذا القول- إجراء الكلام

---

(١) **قال النحاة:** (لا) نافية للجنس، (إله): اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب، وخبرها محذوف، (إلا): أداة استثناء ملغاة، ولفظ الجلالة (الله) بدل من خبر لا المحذوف مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، وهو أصح الوجوه في إعرابها، ولا يصح أن يكون اسم الجلالة هو الخبر؛ لأن (لا) النافية للجنس لا تعمل في المعارف، قال ابن مالك (ألفية ابن مالك ص: ٢٢):

عمل (إنَّ) اجعل لـ (لا) في نكره ... مفردةً جاءتك أو مكرَّره

للتفصيل والاستزادة انظر: رسالة إعراب لا إله إلا الله، لابن هشام الأنصاري.

(٢) انظر: معنى لا إله إلا الله، للزركشي (ص٧٤).

(٣) انظر: معارج القبول (٢/ ٤١٦).

على ظاهره والإعراض عن هذا الإضمار؛ ليكون النفي منصبًّا على ماهية الإله بدون قيد (في الوجود)، أي: لا إله مطلقًا إلا الله، قال الرازي في «تفسيره»: «نفي الماهية أقوى في التوحيد الصرف من نفي الوجود»[(١)].

وهذا القول خطأ لوجهين أيضًا:

الأول: أنه مخالف للسان العرب، فإن (إله) في موضع المبتدأ على قول سيبويه، وعند غيره اسم (لا)، وعلى التقديرين فلا بد من خبر للمبتدأ، فالقول بالاستغناء عن الإضمار فاسد[(٢)]، قال الزركشي: «نازع فيه [أي: في تقدير الخبر] بعضهم، ونفى الحاجة إلى قيد مقدَّر؛ محتجًّا بأن نفي الماهية من غير قيد أعم من نفيها بقيد، والتقدير أولى؛ جريًا على القاعدة العربية في تقدير الخبر»[(٣)].

الثاني: أن هذا مبني على مذهب المعتزلة الذين يفرقون بين الماهية والوجود[(٤)]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الذي عليه أهل السنة والجماعة وعامة العقلاء أن الماهيات مجعولة وأن ماهية كل شيء عين وجوده وأنه ليس وجود الشيء قدرًا زائدًا على ماهيته بل ليس في الخارج إلا الشيء الذي هو الشيء وهو عينه ونفسه وماهيته وحقيقته وليس وجوده وثبوته في الخارج زائدًا على ذلك»[(٥)].

۞ ثانيًا: أركانها:

للشهادة ركنان: الأول: النفي، **والثاني:** الإثبات.

---

(١) تفسير الرازي (٤/ ١٤٩)، وانظر: البحر المحيط (٢/ ٧٦).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٧٣).

(٣) معنى لا إله إلا الله، للزركشي (ص٧٤-٧٥).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٧٣-٧٤). والماهية والوجود مصطلحان فلسفيان، فالماهية عندهم: ما يتصوره الذهن، والوجود: هو ما يوجد خارج الذهن، يعني في الواقع.

(٥) مجموع الفتاوى (٢/ ١٥٦)، وانظر: التدمرية (ص١٢٩).

فالنفي في قوله: (لا إله) حيث تنفي جميع ما يعبد من دون الله.

والإثبات في قوله: (إلا الله) حيث تثبت الألوهية، وهي العبادة له وحده سبحانه لا شريك له في عبادته وخلقه وملكه وتدبيره وأسمائه وصفاته.

وقال شارح الطحاوية: «وإثبات التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفي والإثبات المقتضي للحصر، فإن الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال»(١).

۞ ثالثًا: شروطها:

ذكر أهل العلم لهذه الكلمة العظيمة سبعة شروط، دل عليها الكتاب والسنة، وهي:

١- **العلم المنافي للجهل**، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وعن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة**»(٢).

٢- **اليقين المنافي للشك:** قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ [الحجرات: ١٥]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا أن رسول الله ﷺ قال له: «**من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه، فبشره بالجنة**»(٣).

٣- **الإخلاص المنافي للشرك:** قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قيل: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي**

(١) شرح الطحاوية (١/ ٧٢)، وانظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٣٦).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٦).
(٣) أخرجه مسلم (ح٣١).

يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه، أو نفسه»[(١)].

٤- **الصدق المنافي للكذب:** قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾ [الزمر: ٣٣].

قال ابن عباس في تفسيرها: «من جاء بلا إله إلا الله»[(٢)].

وقال ﷺ: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، صدقًا من قلبه، إلا حرمه الله على النار**»[(٣)].

٥- **المحبة المنافية للبغض:** قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**»[(٤)].

٦- **الانقياد لها ظاهرًا وباطنًا:** قال تعالى: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾ [لقمان: ٢٢].

أي بـ(لا إله إلا الله) كما قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما[(٥)].

٧- **القبول لها:** قال تعالى في حق من لم يقلها: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ [الصافات: ٢٢] إلى قوله: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥﴾ [الصافات: ٣٥].

وقد جمع بعضهم شروط (لا إله إلا الله) في بيت فقال:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لها

---

(١) أخرجه البخاري (ح٩٩).
(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٠٤).
(٣) أخرجه البخاري (ح١٢٨).
(٤) أخرجه البخاري (ح١٦)، ومسلم (ح٤٣).
(٥) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٥٦٠)، (١٨/ ٥٦٩).

وزاد بعضهم شرطًا ثامنًا أشار إليه الناظم بقوله:

وزيد ثامنها الكفران منك بما سوى الإله من الأنداد قد ألها

قلت: والتحقيق أنه ركن وليس بشرط، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧][(١)].

۞ رابعًا: مراتبها:

ومما يتعلق بمعرفة معناها معرفة مراتبها، وقبل بيان المراتب نورد ما قاله السلف في تفسير (شهد) من قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]؛ لأن المراتب مبنية على تفسيرها. قال مجاهد والفراء وأبو عبيدة: (شهد): قضى وحكم، وقال ثعلب والزجاج: بيَّن، وقالت طائفة: أخبر. قال ابن القيم: «وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها؛ فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره، وقوله، وتتضمن إعلامه، وإخباره وبيانه، فلها أربع مراتب»[(٢)].

وبيان هذه المراتب كما يلي:

المرتبة الأولى: العلم، ودليلها قوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

المرتبة الثانية: التكلم وإن لم يُعلم بها غيره، دليلها قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، فجعل قولهم: الملائكة بنات الله شهادة، وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة، ولم يؤدوها عند غيرهم.

المرتبة الثالثة: الإعلام إما بالقول أو بالفعل.

دليل القول ما مر، وأما الإعلام بالفعل، فدليلها قوله سبحانه: ﴿مَا كَانَ

---

(١) انظر: معارج القبول (٢/ ٤١٨) وما بعدها.

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤١٨).

لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلون من أعمال الكفر وأقواله، فهي شاهدة بكفرهم، وهم شاهدون على أنفسهم بما شهدت به.

المرتبة الرابعة: الأمر والحكم والإلزام، وهذه المرتبة لا يستلزمها مطلق الشهادة، لكن الشهادة في هذا الموضع تدل عليه وتتضمنه، كما قال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ووجه استلزام شهادته سبحانه لذلك: أنه إذا شهد أنه لا إله إلا هو، فقد أخبر، وبيَّن وأعلم، وحَكَم وقضى أن ما سواه ليس بإله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه وحده إلهًا، والنهي عن اتخاذ غيره إلهًا، وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبات(١).

۞ خامسًا: فضائلها:

١- أن من قالها بإخلاص فاز بشفاعة النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه، أو نفسه**»(٢).

٢- أنها أفضل الذكر، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله**»(٣).

٣- أنها سبب النجاة من النار ودخول الجنة، فعن عتبان بن مالك رضي الله عنه، أن

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤١٨-٤٢٣)، شرح الطحاوية (١/ ٤٤-٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (ح٩٩).

(٣) أخرجه الترمذي (ح٣٣٨٣) وحسنه، وابن ماجه (ح٣٨٠٠)، وحسنه الألباني (صحيح الجامع ح١١٠٤).

النبي ﷺ قال: «**إن الله حَرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»[(١)].

٤- أنها تُرَجَّح بصحائف الذنوب، كما في حديث البطاقة، فعن عبد الله ابن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله سَيُخَلِّص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فيَنشر عليه تسعةً وتسعين سِجِلًّا كل سجل مثل مَد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: إنك لا تظلم**، قال: «**فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء**»[(٢)].

٥- أنها أعلى شعب الإيمان، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[(٣)].

٦- أنها أفضل ما قاله النبيون، فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ قال: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»[(٤)].

٧- أنها أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفًا، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**من قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي (ح٢٦٣٩)، وابن ماجه (ح٤٣٠٠)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٨٠٩٥).

(٣) أخرجه مسلم (ح٣٥).

(٤) أخرجه الترمذي (ح٣٥٨٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٣٢٧٣).

الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك»(١).

٨- أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم فإنهم لا بد أن يخرجوا منها ولا يخلدون فيها، ففي حديث الشفاعة: «**فيقول [الله تعالى]**: وعزتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي لأخرجنَّ منها من قال: لا إله إلا الله»(٢)، وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير**»(٣)، وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»(٤).

وهذه الفضائل لا تتحقق إلا لمن قالها وعمل بمقتضاها، وإلا فإن المنافقين كانوا يقولون: لا إله إلا الله، وهم في الدرك الأسفل من النار، لأن لا إله إلا الله وإن كانت سببًا لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتضية لذلك، إلا أن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه(٥).

۞ سادسًا: نواقضها:

نواقض (لا إله إلا الله) ليست منحصرة في عدد محدد، والضابط في ذلك: أن كل ما دلَّ عليه الدليل - من كتابٍ، أو سُنة، أو إجماعٍ- على أنه من الردة، فهو من نواقض (لا إله إلا الله).

(١) أخرجه البخاري (ح٣٢٩٣)، ومسلم (ح٢٦٩١).
(٢) أخرجه البخاري (ح٧٥١٠).
(٣) أخرجه البخاري (ح٤٤)، ومسلم (ح١٩٣).
(٤) أخرجه أحمد في المسند (ح٣١١٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٦٤٧٩).
(٥) انظر: كلمة الإخلاص وتحقيق معناها (ص١٣)، وانظر: كشف الشبهات، للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٨-٩).

وهي كثيرة جدًّا، فمن أهل العلم من قسمها باعتبار أنواعها فقسمها إلى نواقض اعتقادية كاعتقاد وجود شريك مع الله، ونواقض عملية كالسجود للصنم، ونواقض قولية كسَبِّ الله، ومنهم من اقتصر على ذكر أكثرها وقوعًا وانتشارًا.

وذكر بأنها عشرة[(١)]:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ومن ذلك: دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، والنذر والذبح لهم[(٢)].

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، كَفَر إجماعًا، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات: فهو كافر بإجماع المسلمين»[(٣)].

الثالث: من لم يكفِّر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كفر، قال القاضي عياض: «نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل أو وقف فيهم أو شك أو صحح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك»[(٤)].

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره

---

(١) وسيأتي تفصيل ما يتعلق بهذه النواقض حسب مواضعه في المنهج المقرر.
(٢) انظر: الاستقامة، لابن تيمية (١/ ٣٤٤). (٣) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٤).
(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢٨٦).

أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

الخامس: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به، كَفَر[(١)]، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد: ٩].

السادس: من استهزأ بشيء من دين الله، أو ثوابه، أو عقابه، كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

السابع: السحر، فمن فعله أو رضي به، كَفَر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام، فهو كافر، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

العاشر: الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه، ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المُكْره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه[(٢)].

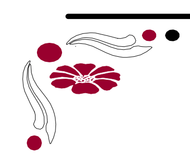
(١) انظر: كشاف القناع (١٤/ ٢٢٧).

(٢) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٣٦١-٣٦٢).

وهذه النواقض لا يجوز أن تنزل على الأعيان إلا بعد تحقق ضوابطها وثبوت شروطها وانتفاء موانعها[١].



(١) كما سيأتي بيانه مفصلًا في مبحث التكفير في الجزء الرابع.

ملخص الفصل الأول

تبين من خلال دراسة هذا الكتاب ما يلي:

❑ **توحيد الألوهية هو:** إفراد الله تعالى بالعبادة، ويطلق على توحيد الألوهية عدة أسماء منها: توحيد الإلهية، وتوحيد العبادة، وتوحيد الإرادة، وتوحيد القصد والطلب، وتوحيد العمل أو التوحيد العملي.

❑ علاقة توحيد الألوهية بشهادة أن لا إله إلا الله علاقة مطابقة وتضمن، وأما علاقة توحيد الألوهية بشهادة أن محمدًا رسول الله فهي علاقة التزام.

❑ **من لوازم الإيمان بتوحيد الألوهية ما يلي:** ١- الإيمان بربوبية الله تعالى، ٢- وصف الله تعالى بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ من صفات الكمال، ٣- الإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ٤- القيام بحقها من فعل المأمورات واجتناب المنهيات، ٥- تحكيم شرعه والانقياد لحكمه، ٦- تحقيق التوحيد وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي.

❑ توحيد الألوهية هو أول دعوة الرسل، وأول واجب على المكلف، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع، وأخطأ المتكلمون القائلون بأن أول واجب على المكلف هو النظر أو القصد إلى النظر أو الشك، وخالفوا الكتاب والسنة وإجماع السلف.

❑ **تتبين أهمية توحيد الألوهية من وجوه كثيرة، منها:** ١- أنه معنى كلمة التوحيد؛ لا إله إلا الله، ٢- أنه الغاية التي من أجلها خلق الله الجن والإنس، ٣- أنه حق الله على عباده، ٤- أن حاجة العباد إليه فوق كل حاجة، ٤- يتحرر المخلوق بتحقيقه من رق المخلوق وعبوديته.

❑ **لتوحيد الألوهية فضائل كثيرة، منها:** ١- أنه سبب لدخول الجنة، ٢- أنه سبب للنجاة من النار، ٣- أنه سبب لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات، ٤- أنه سبب للاهتداء والأمن في الدنيا والآخرة، ٥- أن قبول الأعمال متوقف على تحقيقه، وكمالها متوقف على كماله.

❑ **لتوحيد الألوهية في دعوة الأنبياء والرسل مكانة عظيمة، وتتبين من وجوه كثيرة، منها:** ١- أنه أول دعوتهم، وزبدة رسالتهم، ٢- أنه أول واجب على المكلف، ٣- أنه آخر واجب على المكلف.

❑ البشرية كانت في أول أمرها على التوحيد، ثم طرأ عليها الشرك وعبادة غير الله، وأول شرك طرأ على بني آدم كان في قوم نوح عليه السلام، وأصل شركهم الغلو في الصالحين، ثم كان الشرك في زمن إبراهيم عليه السلام بعبادة الكواكب، وأول من نقل الأصنام إلى جزيرة العرب وغيَّر دين إبراهيم عليه السلام هو عمرو بن لحي الخزاعي، وقد كان أصل شرك العرب، بل أصل شرك الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم في توحيد الألوهية، لا في توحيد الربوبية، وأول من أحدث شرك الألوهية وعبادة المشاهد في أمة محمد ﷺ هم الرافضة الباطنية.

❑ توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ولا يتضمنه، والربوبية والألوهية تارة يجتمعان فيفترقان في المعنى، ويكون أحدهما قسيمًا للآخر، وتارة يفترقان فيكون لكل منهما معناه الخاص به.

❑ **العبادة في الشرع يراد بها:** ١- المتعبَّد به، فتعريفها بهذا الاعتبار أنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. ويراد بها: ٢- التعبد نفسه، فتعريفها بهذا الاعتبار أنها فعل أوامر الله واجتناب نواهيه، محبة وخوفًا ورجاء، ويشترط لصحة العبادة شرطان: ١- الإخلاص، وضده الشرك، ٢- الاتباع، وضده الابتداع، وتطلق العبادة بإطلاقين: ١- عام (العبودية العامة): وهي عبودية القهر والملك، ٢- خاص

(العبودية الخاصة): وهي عبودية المؤمن لربه سبحانه، وهو الإطلاق الغالب للفظ العبودية في القرآن والسنة.

❑ **للعبادة أركان ثلاثة ينبني عليها مدار مقامات السالكين، وهي:** ١- الخوف، ٢- الرجاء، ٣- المحبة، وكل منها فرض لازم، والجمع بين الثلاثة حتم واجب، بلا إفراط أو تفريط في أحدها.

❑ **الدعاء شرعًا:** سؤال العبد ربه جلب ما ينفعه أو دفع ما يضره، وهو قسمان: ١- دعاء عبادة، ٢- ودعاء مسألة، واختلف في حكمه، فقيل: مستحب، وقيل: واجب، والصحيح أن الدعاء من حيث العموم تجري عليه الأحكام التكليفية الخمسة.

❑ **للدعاء فضائل كثيرة وردت في الكتاب والسنة، منها:** ١- أن الدعاء هو العبادة، ٢-وعد الله لمن يدعوه بالقرب منه وإجابة دعائه، ٣- الدعاء يرد القضاء، ٤- الله يحب من عباده أن يدعوه.

❑ **شروط الدعاء:** ١- الإخلاص، ٢- أن يكون المطعم والمشرب والملبس حلالًا، ٣- اليقين بالإجابة وحضور القلب، ٤- العزم في الدعاء، ٥- ألا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم.

❑ الذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم: أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، وذهب قوم من المتفلسفة وغالية المتصوفة إلى أن الدعاء لا فائدة فيه، وهذا القول باطل بالشرع والعقل والحس.

❑ **معنى شهادة أن لا إله إلا الله:** لا معبود بحق إلا الله، ويخطئ من يفسر الألوهية بالقدرة على الاختراع، ولها ركنان: ١- النفي في قوله: (لا إله) حيث تنفي جميع ما يعبد من دون الله، ٢- الإثبات في قوله: (إلا الله) حيث تثبت العبادة له وحده سبحانه لا شريك له في عبادته وخلقه وملكه وتدبيره وأسمائه وصفاته.

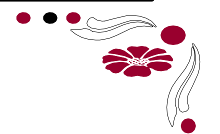
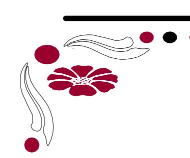
❑ **شروط (لا إله إلا الله)، هي:** ١- العلم المنافي للجهل، ٢- اليقين المنافي للشك، ٣- الإخلاص المنافي للشرك، ٤- الصدق المنافي للكذب، ٥- المحبة المنافية للبغض، ٦- الانقياد لها ظاهرًا وباطنًا، ٧- القبول لها.

ولها أربع مراتب: ١- العلم، ٢- التكلم وإن لم يُعلم بها غيره، ٣- الإعلام إما بالقول أو بالفعل، ٤- الأمر والحكم والإلزام.

❑ **لكلمة التوحيد فضائل كثيرة، منها:** ١- أن من قالها بإخلاص فاز بشفاعة النبي ﷺ، ٢- أنها أفضل الذكر، ٣- أنها سبب النجاة من النار ودخول الجنة، ٤- أنها ترجح بصحائف الذنوب، ٥- أنها أعلى شعب الإيمان، ٦- أنها أفضل ما قاله النبيون، ٧- أنها أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفًا، ٨- أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم فإنهم لا بد أن يخرجوا منها ولا يخلدون فيها، وهذه الفضائل لا تتحقق إلا لمن قالها وعمل بمقتضاها.

❑ نواقض (لا إله إلا الله) ليست منحصرة في عدد محدد، **والضابط في ذلك:** أن كل ما دلَّ عليه الدليل - من كتابٍ، أو سُنة، أو إجماعٍ- على أنه من الردة، فهو من نواقضها.



أسئلة تطبيقيـة

س١: من خلال دراستك لتوحيد الألوهية أجب عن الآتي:

❋ عرّف توحيد الألوهية لغة واصطلاحًا.

❋ اذكر أسماء أخرى لتوحيد الألوهية.

❋ بيِّن علاقة توحيد الألوهية بالشهادتين.

❋ بيِّن العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية.

❋ دلِّل على وجوب توحيد الله في ألوهيته من الكتاب والسنة.

س٢: وضح المراد بقولهم: التوحيد أصيل في بني آدم، والشرك طارئ فيهم.

س٣: ما هو أول واجب على المكلف عند أهل السنة؟ وما أدلتهم على ذلك؟

س٤: عرف العبادة لغة وشرعًا، مبينًا أنواعها وشروط قبولها، مع ذكر الأدلة.

س٥: اشرح معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وما الأقوال في تقدير خبر (لا)؟ واذكر القول الراجح مع التوجيه.

س٦: عرف الدعاء؟ وما أقسامه وشروطه؟ ثم بيّن أسباب إجابة الدعاء وموانعه.

س٧: اذكر أهم فضائل الدعاء، واذكر عشرة من أهم آدابه.

س٨: اذكر شروط لا إله إلا الله، مع الاستدلال لما تذكر.

س٩: بيِّن مراتب لا إله إلا الله على سبيل الإجمال، واذكر ستة من فضائلها مع الاستدلال.

س١٠: بيِّن ضابط نواقض لا إله إلا الله، وبيِّن أقسامها عند أهل العلم، ثم اذكر خمسة من أشهر نواقضها.

س١١: علل ما يأتي:

١- التقدير الصحيح لخبر لا في جملة (لا إله إلا الله)، هو (بحق)، أي: لا معبود بحق إلا الله.

٢- النظر الشرعي الوارد في نصوص الكتاب والسنة ليس هو النظر عند المتكلمين.

٣- أخطأ المتكلمون في تفسير معنى الإلهية بأنها القدرة على الاختراع.

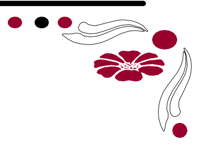
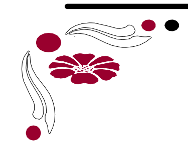
٤- أخطأ المتكلمون في قولهم: إنَّ تقدير الخبر (موجود)، أي: لا إله موجود إلا الله.

٥- الأصل في البشرية التوحيد والشرك طارئ.





(تعريفه وأقسامه وأنواعه وصوره وأحكامه)

الفصل الثاني

۞ ويشتمل على ما يلي:

١- الشرك؛ تعريفه، وأقسامه، وحكم كل قسم.

٢- أبرز شبهات المخالفين في توحيد الألوهية، والرد عليها إجمالًا.

٣- مظاهر الانحراف في توحيد الألوهية قديمًا وحديثًا.

٤- السحر؛ تعريفه، وأنواعه، وحكم الشرع في السحر والساحر، وبعض صوره المعاصرة.

٥- النشرة؛ تعريفها، وأقسامها، وحكمها.

٦- الشعوذة؛ تعريفها، وصورها، والفرق بينها وبين السحر.

٧- الكهانة؛ تعريفها، وحكمها.

٨- التنجيم؛ تعريفه، وأنواعه، وأحكامه.

٩- المراد بالجن، وأصل خلقهم، وصفاتهم، وجوانب ضعفهم، وأصنافهم، والفرق بينهم وبين الشياطين، وطرق الاحتراز منهم.

١٠- تلبس الجن بالإنس؛ المراد به، ومناقشة منكريه.

١١- الاستعانة بالجن؛ صورها، وأحكامها.

١٢- التطير؛ تعريفه، وأمثلته، وأحكامه.

١٣- التمائم؛ تعريفها، وحكمها، وصورها المعاصرة.

١٤- الرقى؛ تعريفها، وصورها المعاصرة، وأحكامها.

١٥- التوسل؛ تعريفه، وأقسامه، وحكم كل قسم مع أدلته.

١٦- التبرك؛ تعريفه، وأنواعه المشروعة والممنوعة.

١٧- الأعياد الشرعية والبدعية؛ المراد بها، وأنواعها، وأحكامها.

١٨- برامج التدريب والاستشفاء المعاصر، صورها وأحكامها.



المبحث الأول

الشرك

تعريفه وأقسامه وحكم كل قسم

۞ أولًا: تعريف الشرك:

الشرك لغة: هو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلانًا في الشيء، إذا صرت شريكه، وأشركت فلانًا، إذا جعلته شريكًا لك، والشِّرْكَةُ والشَّرِكة: مخالطة الشريكين، وطريق مشترك يستوي فيه الناس، واسم مشترك تشترك فيه معانٍ كثيرة كالعين ونحوها؛ فإنه يجمع معاني كثيرة، وأشرك بالله: جعل له شريكًا في ملكه -تعالى الله عن ذلك[(١)].

وأما الشرك شرعًا فهو كاسمه: تشريك غير الله مع الله في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته.

وقد عرفه العلماء بتعريفات كثيرة، منها ما يلي:

قال ابن تيمية: «أصل الشرك: أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده»[(٢)].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٥)، لسان العرب (٤/ ٢٢٤٨-٢٢٤٩)، تاج العروس (٢٧/ ٢٢٤).

(٢) الاستقامة (١/ ٣٤٤).

قال ابن القيم: «حقيقة الشرك: هو التشبه بالخالق، والتشبيه للمخلوق به»[(١)].

قال الشيخ السعدي: «حقيقة الشرك بالله: أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية»[(٢)].

وعرفه الشيخ عبد الرحمن بن قاسم بقوله: «أن يسوي غير الله بالله فيما هو من خصائص الله»[(٣)].

وهذه التعريفات كلها بمعنى واحد، وتشمل غالبًا الشرك في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

وأجمع تعريف للشرك هو ما جاء عن الرسول ﷺ حين سئل عن الشرك بالله، فقال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**»[(٤)]، والند هو المثيل والنظير، فكل من أشرك بالله في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته، فقد جعل لله ندًّا ومثيلًا ونظيرًا.

۞ ثانيًا: أقسام الشرك:

ينقسم الشرك إلى ثلاثة أقسام: (١) شرك في الربوبية، **(٢)** شرك في الألوهية، **(٣)** شرك في الأسماء والصفات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**الشرك نوعان: أحدهما:** شرك في الربوبية، **والثاني:** شرك في الإلهية:

فأما الأول: فهو إثبات فاعل مستقل غير الله...

والثاني: الشرك في الإلهية، وضده هو: التوحيد في الإلهية»[(٥)].

ولم يذكر شيخ الإسلام على سبيل التعيين الشرك في الأسماء والصفات،

---

(١) الداء والدواء (١/ ٣١٣)، وانظر: تجريد التوحيد (ص٢٧) للمقريزي.

(٢) تفسير السعدي (ص٢٧٩).

(٣) حاشية كتاب التوحيد (ص٥٠).

(٤) أخرجه البخاري (ح٤٤٧٧)، ومسلم (ح٨٦).

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٩٠-٣٩١)، وانظر: مجموع الفتاوى (١/ ٩١-٩٢).

لكن الإمام ابن القيم ذكر ذلك، فقال: «**الشرك شركان:**

- شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله.
- وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله»[(١)]، فأدخل في القسم الأول الشرك في الربوبية (الشرك بأفعاله سبحانه) والشرك في أسمائه وصفاته.

۞ ثالثًا: أقسام الشرك في الألوهية:

ينقسم الشرك في الألوهية إلى قسمين:

١- شرك أكبر ينقل عن الملة.

٢- شرك أصغر لا ينقل عن الملة[(٢)].

وزاد بعضهم قسمًا ثالثًا سماه: (الشرك الخفي)[(٣)]، **والتحقيق:** أن الشرك الخفي ليس نوعًا مستقلًّا بنفسه، بل قد يكون أكبر، وقد يكون أصغر، فهو مندرج تحتهما[(٤)]، فالشرك الأكبر منه جلي وخفي، وكذا الشرك الأصغر.

أما حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ قال: «**ألا أنبئكم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «**الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه**» خرجه الإمام أحمد[(٥)].

---

(١) الجواب الكافي (ص٢٩٨)، وانظر: تيسير العزيز الحميد (ص٢٦)، معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤٥٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٧٠، ٥٢٤)، الداء والدواء (ص٣٠٤)، مدارج السالكين (١/ ٣٤٨)، تيسير العزيز الحميد (ص٢٧-٢٨)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٤٨٣)، معارج القبول (٢/ ٤٥٩)، القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٠٦)، مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٤٣).

(٣) انظر: الرسالة المفيدة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٤٢)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٦٩).

(٤) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٠٧).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (ح١١٢٥٢)، وابن ماجه (ح٤٢٠٢)، وإسناده حسن (انظر: مصباح=

فقد قال فيه الشيخ ابن باز: «**والصواب:** أن هذا ليس قسمًا ثالثًا، بل هو من الشرك الأصغر، وهو قد يكون خفيًّا؛ لأنه يقوم بالقلوب، كما في هذا الحديث، وكالذي يقرأ يرائي، أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يرائي، أو يجاهد يرائي، أو نحو ذلك، وقد يكون خفيًّا من جهة الحكم الشرعي بالنسبة إلى بعض الناس، وقد يكون خفيًّا وهو من الشرك الأكبر كاعتقاد المنافقين؛ فإنهم يراؤون بأعمالهم الظاهرة، وكفرهم خفي لم يظهروه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢]، وبما ذكرنا يعلم أن الشرك الخفي لا يخرج عن النوعين السابقين: شرك أكبر، وشرك أصغر، وإن سمي خفيًّا؛ فالشرك يكون خفيًّا ويكون جليًّا»[(١)].

۞ رابعًا: تعريف الشرك الأكبر:

تنوعت عبارات العلماء في تعريف الشرك الأكبر، ولكنهم لم يختلفوا في حقيقته:

فعرفه الإمام الطبري بقوله: «أن نجعل لله شريكًا في عبادته وطاعته»[(٢)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله في تعريفه هو: «أن يجعل لله ندًّا يعبده كما يعبد الله»[(٣)].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «هو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة»[(٤)].

وعرفه الشيخ السعدي بقوله: «أن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله، أو

= الزجاجة ٤/ ٢٣٧، صحيح الجامع رقم ٢٦٠٧).

(١) مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٤٦-٤٧)، وانظر: المصدر السابق (٣/ ٢٩٠)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٠٧).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ١٦٢).

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص٢٧).

(٤) مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول) (ص٣٨١).

يخافه أو يرجوه أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعًا من أنواع العبادة»[١].

وقال الشيخ ابن باز: «الشرك الأكبر: هو ما يتضمن صرف العبادة لغير الله أو بعضها»[٢].

وهذه التعريفات كلها حق، ولا تنافي بينها في الحقيقة، وأفضل ما يعرف به الشرك ما ثبت عن رسول الله ﷺ في قوله: «أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك»[٣]، كما سبق.

۞ خامسًا: أقسام الشرك الأكبر:

أقسامه ثلاثة:

١- اعتقادي، كاعتقاد أن غير الله يستحق العبادة.

٢- قولي، كدعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٣- عملي، كالسجود للصنم.

۞ سادسًا: حكم الشرك الأكبر:

الشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]، وصاحبه مخلد في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وهو محبط لجميع الأعمال، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

والشرك الأكبر مخرج عن الملة إن قامت عليه الحجة، وتحققت فيه شروط التكفير، وانتفت عنه موانعه، وفاعله لا يُصَلَّى عليه إذا مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث عنه ماله، بل يكون لبيت مال المسلمين، ولا

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص٣١). (٢) مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٤٣).

(٣) سبق تخريجه.

تؤكل ذبيحته ويحكم بوجوب قتله، ويتولى ذلك ولي أمر المسلمين، إلا أنه يستتاب قبل قتله، فإن تاب قُبِلَت توبته، ولم يقتل، وعومل معاملة المسلمين[(١)].

۞ سابعًا: تعريف الشرك الأصغر[(٢)]:

اختلف أهل العلم في تعريف الشرك الأصغر على قولين:

القول الأول: أن الشرك الأصغر هو ما ثبت بالنصوص تسميته شركًا، لكنه لم يبلغ درجة الشرك الأكبر، مثل قوله ﷺ: «**من حلف بغير الله؛ فقد أشرك**»[(٣)]، فالشرك هنا أصغر؛ لأن النصوص دلت على أن مجرد الحلف بغير الله لا يخرج من الملة[(٤)]، كما سيأتي.

القول الثاني: أن الشرك الأصغر هو: كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر، من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة[(٥)].

قال الشيخ ابن عثيمين: «وهذا التعريف أوسع من الأول؛ لأن الأول يمنع أن تطلق على شيء أنه شرك إلا إذا كان لديك دليل، والثاني يجعل كل ما كان وسيلةً للشرك فهو شرك»[(٦)].

---

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٧٤٧).

(٢) هذا النوع من الشرك (الشرك الأصغر) جاء في السنة النص على تسميته بذلك، عن محمود بن لبيد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء**» أخرجه أحمد في المسند (ح٢٣٦٣٠)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ١/ ١٠٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (ح٦٠٧٢)، وأبو داود (ح٣٢٥١)، والترمذي (ح١٥٣٥)، وإسناده صحيح.

(٤) انظر: حاشية كتاب التوحيد (ص٥١)، مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٤٤)، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ٢٠٣)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٩).

(٥) انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد للسعدي (ص٥٤)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٩).

(٦) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٠٦).

وقد جمعت بين التعريفين اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء، فقالوا: «**الشرك الأصغر**: كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركًا كالحلف بغير الله»(١).

۞ ثامنًا: ضوابط التمييز بين الشرك الأكبر والأصغر:

ضوابط تمييز الشرك الأصغر من الأكبر في النصوص كثيرة، منها(٢):

الأول: النص الصريح عليه، كما في حديث محمود بن لبيد السابق، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**». قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء**»(٣).

الثاني: أن يأتي لفظ الشرك منكَّرًا غير معرَّف، فإن جاء معرَّفًا بـ«أل» دل على أن المقصود به الشرك الأكبر المخرج من الملة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]، وإن جاء منكَّرًا دل على أنه شرك أصغر لا يخرج من الملة(٤)، كقوله ﷺ: «**إن الرقى والتمائم والتِّولة شرك**»(٥).

الثالث: فهم الصحابة من النص، فالصحابة أعلم الأمة بمعاني نصوص الكتاب والسنة، ومثاله قوله ﷺ: «**الطيرةُ شركٌ، وما منا إلا، ولكن الله يُذهبه بالتوكل**»(٦)؛ فإن آخر الحديث من قول ابن مسعود رضي الله عنه -على الصحيح(٧)، **ومعناه**: وما منا إلا ويقع له شيء من التطير، فدل على أنه شرك أصغر.

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٧٤٨).
(٢) انظر: الإخلاص والشرك الأصغر (ص١٤-١٥).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٣٧).
(٥) أخرجه أحمد في المسند (ح٣٦١٥)، وأبو داود (ح٣٨٨٣)، وابن ماجه (ح٣٥٣٠)، وإسناده صحيح (انظر: السلسلة الصحيحة رقم ٣٣١).
(٦) أخرجه أحمد في المسند (ح٣٦٨٧)، وأبو داود (ح٣٩١٠)، والترمذي (ح١٦١٤)، وابن ماجه (ح٣٥٣٨)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة رقم ٤٢٩).
(٧) انظر: سنن الترمذي (٣/ ٢١٣).

الرابع: أن يدل السياق على أن المراد به ما دون الشرك الأكبر، ومثاله: حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب**»(١)، وجاء بيان حقيقة هذا الشرك، وأنه أصغر لا يخرج من الملة في رواية مسلم عن ابن عباس مرفوعًا: «**أصبح من الناس شاكر، ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا**»(٢)، فمقابلة الكفر بالشكر يدل على أن **المراد بالكفر هنا:** الأصغر، لا الأكبر.

الخامس: دلالة نصوص أخرى على أنه من الشرك الأصغر، مثاله قوله ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض**»(٣)، فالمراد هنا: الكفر الأصغر، بالأدلة نصوص أخرى كقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، فأثبت وصف الإيمان لهما مع وجود الاقتتال(٤).

السادس: عدم ترتب حد الردة على فاعله مع نفي اسم الإيمان عنه، كالزاني والسارق(٥).

۞ تاسعًا: أنواع الشرك الأصغر:

يمكن حصر أنواعه فيما يلي:

أولًا: قولي: وهو ما كان باللسان، ويدخل فيه: الحلف بغير الله، إلا إذا تضمن

---

(١) أخرجه البخاري (ح١٠٣٨)، ومسلم (ح٧١). (٢) أخرجه مسلم (ح٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح١٢١)، ومسلم (ح٦٥).

(٤) انظر: ضوابط التكفير، د. عبد الله القرني (ص١٩٦).

(٥) انظر: المصدر السابق، الموضع نفسه.

تعظيم المحلوف به كتعظيم الله فهو أكبر، وقول: (ما شاء الله وشئت)، أو: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، ومثل إسناد بعض الحوادث إلى غير الله عَزَّ وَجَلَّ، مثل أن يقول: لولا وجود فلان لحصل كذا، ولولا الكلب لدخل اللص، وقول الرجل: لولا الله وفلان، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وأعوذ بالله وبك، ونحو ذلك، وكقول بعضهم: مطرنا بنوء كذا وكذا، مع اعتقاد أن الفاعل هو الله[١]، والضابط في هذا أن يكون الشيء مما يختص بالله جل وعلا، فيعطف عليه غيره سبحانه لا على سبيل المشاركة، وإنما بمجرد التسوية في اللفظ، وأما إن كان يعتقد المشاركة فهذا يدخل تحت الشرك الأكبر.

ثانيًا: عملي: وهو ما يتعلق بأعمال الجوارح، ويدخل فيه التطير (إذا لم يعتقد تأثيرها بذاتها)، وإتيان الكهان وتصديقهم (إذا لم يعتقد علمهم بالغيب)، والاستعانة على كشف السارق ونحوه بالعرافين، وتصديق المنجمين والرَّمَّالين وغيرهم من المشعوذين، (إذا لم يصاحبه اعتقاد علمهم الغيب)، ولبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه (إذا لم يعتقد تأثيرها بذاتها).

ثالثًا: قلبي: ويدخل فيه يسير الرياء، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا، والمراد به: أن يعمل الإنسان أعمالًا صالحة يريد بها الدنيا.

كما أن كل قسم من أنواع الشرك الأصغر يحتمل أن يكون من قبيل الشرك الأكبر، وذلك إذا صحبه اعتقاد قلبي يتضمن تعظيم غير الله كتعظيمه، كالحلف بغير الله معظمًا له كتعظيم الله.

۞ عاشرًا: حكم الشرك الأصغر:

اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الشرك الأصغر لا يخرج من الملة، لكنه يُنقص التوحيد، ولا يخلد صاحبه في النار، واختلفوا هل لا يغفر الله له

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٥٠٩).

شركه؟ أو هو تحت مشيئة الله كسائر الكبائر؟ **على قولين:**

القول الأول: أن الشرك الأصغر لا يغفر لصاحبه إلا بالتوبة، واستدلوا بعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]؛ لأن قوله: ﴿أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ مؤوَّل بمصدر، تقديره: إن الله لا يغفر إشراكًا به، وهو نكرة في سياق النفي، فيفيد العموم، وقالوا بأن الحكم وهو عدم المغفرة عُلق على الشرك، وهذا متحقق في الشرك الأصغر، وإليه مال شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)]، ورجحه الشيخ ابن عثيمين[(٢)]، وقال به آخرون من أهل العلم[(٣)].

القول الثاني: أن الشرك الأصغر حكمُه حكم الكبائر، وداخل تحت المشيئة، ويفهم من كلام ابن القيم اختياره لهذا القول[(٤)]، ورجحه الشيخ ابن باز[(٥)]، وهو قول طائفة من العلماء[(٦)].

وقالوا: المراد بقوله: ﴿أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾: الشرك الأكبر، وأما الشرك الأصغر، فإنه يغفر؛ لأنه لا يخرج من الملة، وكل ذنب لا يخرج من الملة، فإنه تحت المشيئة، ويؤيده أنه وردت عدة آيات رتب الله فيها الحكم على وصف الشرك، لكن لم يختلف في أن المراد بهذا الشرك هو الشرك الأكبر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة: ٧٢] وأجمعت الأمة على أن الشرك الأصغر لا يدخل في قوله تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]؛ لأن العمل هنا مفرد مضاف، ويشمل الأعمال كلها، ولا يحبط الأعمال الصالحة كلَّها إلا الشرك الأكبر[(٧)].

---

(١) انظر: الرد على البكري (١/ ٣٠١).

(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٧٣).

(٣) انظر: قرة عيون الموحدين (ص٣٢)، حاشية كتاب التوحيد (ص٥١)، القول المفيد (١/ ١١٤، ٢٠٨).

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٤٨).

(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٤٨).

(٦) انظر: القول المفيد (١/ ١١٤، ٢٠٨).

(٧) انظر: الإخلاص والشرك الأصغر، د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف (ص١٧) =

۞ حادي عشر: الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عديدة، أهمها ما يلي:

١- أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحت المشيئة - على خلاف.

٢- أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.

٣- أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغر فلا يخرجه منها.

٤- أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرمة عليه الجنة، وأما الأصغر فلا يخلد صاحبه في النار.

٥- أن الشرك الأكبر صاحبه لا يعامل معاملة المسلمين؛ فلا يرث ولا يورث، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا تؤكل ذبيحته إلى آخر أحكام المشركين، وأما الشرك الأصغر فصاحبه يعامل معاملة المسلمين فيرثه أهله ويرثهم، ويصلى عليه إذا مات، ويدفن في مقابر المسلمين، وتؤكل ذبيحته، إلى أمثال ذلك من أحكام الإسلام[١].



= وما بعدها.

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٧٤٩-٧٥٠).



المبحث الثاني

أبرز شبهات المخالفين في توحيد الألوهية

والرد عليها إجمالًا[١]

كان من أسباب ضلال من ضل في توحيد العبادة شبهات يروِّج لها أهل الضلال؛ زاعمين أنها تؤيد شركهم، فكان لا بد من كشف زيفها وبيان بطلانها؛ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]، وهذه الشبه منها ما هو قديم أدلى به المشركون من الأمم السابقة، ومنها ما أدلى به مشركو هذه الأمة[٢].

ومن هذه الشبه ما يلي:

الشبهة الأولى: الاحتجاج بما كان عليه الآباء والأجداد، وأنهم ورثوا هذه العقيدة خلفًا عن سلف، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن دينهم مبنيٌّ على أصول أعظمها التقليد، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار؛ أولهم

(١) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص٦١-٦٥).

(٢) تناول طائفة من أهل العلم شبهات القبوريين بالرد والنقض، كما في كتاب (الصارم المنكي في الرد على السبكي) لابن عبد الهادي، و(صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان) لمحمد بشير السهسواني، و(غاية الأماني في الرد على النبهاني) لمحمود شكري الآلوسي، وغيرها، وقد تعرض لها أيضًا شيخ الإسلام في (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة)، والألباني في كتابه (التوسل) وغيرها.

وآخرهم»(١)، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [سبأ: ٢٣].

قال تعالى ردًّا عليهم: ﴿قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ﴾ [الزخرف: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وإنما يكون الاقتداء بالآباء محمودًا إذا كانوا على حق، كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام أنه قال: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [يوسف: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [الطور: ٢١].

وشبهة الاحتجاج بما كان عليه الآباء الضالون متغلغلة في نفوس المشركين، يقابلون بها دعوات الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- فقوم نوح لما قال لهم نوح: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [المؤمنون: ٢٣، ٢٤]، فجعلوا ما عليه آباءهم حجة يعارضون بها ما جاءهم به نبيهم نوح عليه السلام، وقوم صالح عليه السلام يقولون له: ﴿أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [هود٦٢]، وقوم إبراهيم يقولون له: ﴿بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤]، وفرعون يقول لموسى عليه السلام: ﴿فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١]، ومشركو العرب يقولون لمحمد ﷺ لما قال لهم: «**قولوا: لا إله إلا الله!**» قالوا: ﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٧]، فـ«أهل الجاهلية كانوا مقيدين بربقة التقليد لا يحكِّمون لهم رأيًا، ولا يستعملون نظرًا، ولا يشغلون فكرًا، فلذلك تاهوا في أودية الجهالة، وقضوا أعمارهم في الضلالة، وهكذا الغلاة وعبدة الأموات قلَّدوا آباءهم في تلك

(١) مسائل الجاهلية (ص٨).

العادات، فلا يمكن نقلهم عنها ولو ظهرت الآيات البينات[(١)]»[(٢)].

الشبهة الثانية: ظنهم أن مجرد النطق بلا إله إلا الله يكفي لدخول الجنة، ولو فعل الإنسان ما فعل؛ فإنه لا يكفر وهو يقول: لا إله إلا الله، متمسكين بظواهر الأحاديث التي ورد فيها أن من نطق بالشهادتين حرم على النار.

والجواب عن هذه الشبهة: أن هذه الأحاديث ليست على إطلاقها، وإنما هي مقيدة بأحاديث أخرى جاء فيها أنه لا بد لمن قال: لا إله إلا الله: أن يعتقد معناها بقلبه ويعمل بمقتضاها فيكفر بما يعبد من دون الله، كما في حديث عتبان: «**فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»[(٣)]، وإلا فالمنافقون يقولون: لا إله إلا الله بألسنتهم وهم في الدرك الأسفل من النار، ولم ينفعهم النطق بها؛ لأنهم لا يعتقدون ما دلت عليه بقلوبهم.

وفي صحيح مسلم: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله**»[(٤)].

فعلق النبي ﷺ حرمة المال والدم على أمرين: الأول: قول لا إله إلا الله.

والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله، ولم يكتفِ بمجرد النطق بلا إله إلا الله، فدل على أن الذي يقول: لا إله إلا الله ولا يترك عبادة الموتى والتعلق بالأضرحة؛ لم يأتِ بحق هذه الكلمة، بل فعل ما يناقضها ويهدمها[(٥)].

الشبهة الثالثة: دعواهم أنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية شرك وهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وزعموا أن هذا الذي يمارسونه عند الأضرحة من عبادة الموتى ودعائهم من دون الله لا يسمى شركًا عندهم.

والجواب عن هذه الشبهة: أن النبي ﷺ أخبر أنه سيكون في هذه الأمة مشابهة

---

(١) إلا من أراد الله هدايته.

(٢) غاية الأماني في الرد على النبهاني (١/ ٣٤-٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (ح٤٢٥)، ومسلم (ح٢٦٣). (٤) أخرجه مسلم (ح٣٧).

(٥) انظر: كشف الشبهات (ص٤٦-٤٧).

لليهود والنصارى فيما هم عليه، ومن جملة ذلكم اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وأخبر ﷺ أنه لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمته بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمته الأوثان، فعن ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**»(١).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: «فيه الرد على من قال بخلافه من عبَّاد القبور الذين ينكرون وقوع الشرك، وعبادة الأوثان في هذه الأمة»(٢)، وقد حدث في هذه الأمة من الشرك والمبادئ الهدامة والنِّحَل الضالة ما خرج به بعض الناس عن دين الإسلام، وهم يقولون: لا إله إلا الله.

الشبهة الرابعة: قولهم: نحن لا نريد من الأولياء والصالحين قضاء الحاجات من دون الله، ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله؛ لأنهم أهل صلاح ومكانة عند الله؛ فنحن نريد بجاههم شفاعتهم.

والجواب: أن هذا هو عين ما قاله المشركون من قبل في تبرير ما هم عليه، وقد كفَّرهم الله وسماهم مشركين؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، والشفاعة حق، ولكنها ملك لله وحده؛ كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]؛ فهي تطلب من الله لا من الأموات؛ لأن الله لم يرخص في طلب الشفاعة من الملائكة ولا من الأنبياء ولا غيرهم؛ لأنها ملكه سبحانه، وتطلب منه؛ ليأذن للشافع أن يشفع، وليس الأمر كما هو عند المخلوقين من تقدم الشفعاء لديهم بدون إذنهم، ويضطرون إلى قبول الشفاعة لحاجتهم إليهم، وإن لم يرضوا عن المشفوع فيه؛ لأنهم يحتاجون إلى الأعوان

---

(١) أخرجه أبو داود (ح٤٢٥٢)، والترمذي (ح٢٢١٩)، وصححه، وصححه الألباني (صحيح الجامع رقم ١٧٧٣).

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص٣٢٠).

والوزراء، أما الله سبحانه؛ فلا يشفع أحد إلا بإذنه ورضاه عن المشفوع فيه؛ قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد؛ تبين لك أن الشفاعة كلَّها لله، فأطلُبها منه، فأقولُ: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفِّعه فيَّ، وأمثال هذا»[(١)(٢)].



(١) كشف الشبهات (ص٢٥).

(٢) راجع للتوسع: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لابن تيمية، كشف الشبهات، للشيخ محمد ابن عبد الوهاب، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، لمحمد بشير السهسواني.



المبحث الثالث

مظاهر الانحراف في توحيد الألوهية

للانحراف في توحيد الألوهية مظاهر؛ أعظمها: الشرك الأكبر الناقض لأصل التوحيد، ودونه الشرك الأصغر المنافي لكماله الواجب، ثم البدع والمعاصي؛ ذلك أن تحقيق التوحيد إنما يحصل بالسلامة من الشرك الأكبر الناقض لأصل التوحيد، ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله الواجب، وبالسلامة من البدع والمعاصي، ومن حقق التوحيد؛ دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

وفيما يلي ذكر أمثلة من الشرك المتعلقة بتوحيد الألوهية[١]:

۞ أولًا: الذبح لغير الله:

وهو الذبح الذي يقع على سبيل التعبد لغير الله، تعظيمًا، وتقربًا، وتذللًا؛ فمن ذبح لغير الله فهو كمن صلى أو صام لغير الله؛ لأن الذبح عبادة، بدليل أن الله أمر به، فقال سبحانه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢]، وصرف العبادة لغير الله شرك.

(١) **لا بد من التنبيه على أن المقصود هنا:** بيان الحكم الشرعي، لا تنزيل الحكم على الأعيان؛ إذ لا بد لتنزيل الحكم على المعين من ثبوت شروط وانتفاء موانع، كما هو معلوم من معتقد أهل السنة في التفريق في الحكم بين المقالة والقائل، والفعل والفاعل. انظر: مباحث في العقيدة، للمؤلف (ص١٩٧) وما بعدها.

قال ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»(١).

قال النووي: «وأما الذبح لغير الله؛ فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى كمن ذبح للصنم أو الصليب أو لموسى أو لعيسى -صلى الله عليهما- أو للكعبة ونحو ذلك، فكل هذا حرام، ولا تحل هذه الذبيحة، سواء كان الذابح مسلمًا أو نصرانيًّا أو يهوديًّا؛ نص عليه الشافعي، واتفق عليه أصحابنا، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى، والعبادة له؛ كان ذلك كفرًا، فإن كان الذابح مسلمًا قبل ذلك صار بالذبح مرتدًّا»(٢).

ولا يدخل في ذلك ما يقصد به إكرام الضيف أو الأكل والتجارة ونحو ذلك، والفرق بينهما: أنه في حال التعبد بالذبح لغير الله- الذي هو شرك- لا يقصد بالذبح اللحم، بل يقصد: التعبد للمذبوح له، جاء في (الدر المختار): «والفارق أنه إن قدمها ليأكل منها كان الذبح لله والمنفعة للضيف، أو للوليمة، أو للربح، وإن لم يقدمها ليأكل منها بل يدفعها لغيره كان لتعظيم غير الله فتحرم، وهل يكفر؟ قولان»(٣).

ويبين ذلك شيخنا ابن عثيمين، وذلك بتقسيم الذبح من حيث المقصود منه إلى ثلاثة أنواع، فيقول: «**ويقع [يعني: الذبح] على وجوه:**

الأول: أن يقع عبادة؛ بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه، فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر، ودليله قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

الثاني: أن يقع إكرامًا لضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك، فهذا مأمور به، إما وجوبًا أو استحبابًا؛ لقوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم**

(١) أخرجه مسلم (ح١٩٧٨).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٣/ ١٤١).
(٣) الدر المختار مع حاشية ابن عابدين (٦/ ٣٠٩-٣١٠).

ضيفه»[١]، وقوله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف: «**أَوْلِمْ ولو بشاة**»[٢].

الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الاتِّجار به ونحو ذلك، فهذا من قسم المباح، فالأصل فيه الإباحة؛ لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [سورة يس: ٧١، ٧٢] وقد يكون مطلوبًا أو منهيًّا عنه حسبما يكون وسيلة له»[٣].

۞ ثانيًا: النذر لغير الله:

النذر عبادة، بدليل أن الله مدح الموفين به في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]، وأمر النبي ﷺ بالوفاء بنذر الطاعة، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه**»[٤]، وكل أمر مدحه الشارع أو أثنى على من قام به أو أمر به فهو عبادة، وما دام أنه عبادة فصرفه لغير الله شرك أكبر لما عرفت من ضابط الشرك الأكبر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق العلماء على أنه لا يجوز لأحد أن ينذر لغير الله لا لنبي ولا لغير نبي، وأن هذا النذر شرك لا يوفى به»[٥]، «فمن نذر لغير الله فهو مشرك، كمن صام لغير الله، وسجد لغير الله»[٦].

۞ ثالثًا: دعاء غير الله:

وهو الدعاء الذي يقع على سبيل التعبد لغير الله، تعظيمًا، وتقربًا، وتذللًا؛ **ذلك أن الدعاء ينقسم إلى قسمين**[٧]:

الأول: ما يقع عبادة، وهذا صرفه لغير الله شرك، وهو المقرون بالرجاء والخوف والحب والتعظيم.

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦٠١٨)، ومسلم (ح٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (ح٢٠٤٨)، ومسلم (ح١٤٢٧).

(٣) شرح ثلاثة الأصول (ص٦٦-٦٧).

(٤) أخرجه البخاري (ح٦٦٩٦).

(٥) مجموع الفتاوى (١/ ٢٨٦).

(٦) منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٤٠).

(٧) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٦١).

الثاني: ما لا يقع عبادة، فهذا يجوز أن يوجه إلى المخلوق، قال النبي ﷺ: «**من دعاكم فأجيبوه**»[(١)].

وكلا المعنيين جاء في اللغة، قال الفيومي: «دعوتُ الله أدعوه دعاء: ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيدًا: ناديته وطلبت إقباله»[(٢)].

ودعاء الله نوعان؛ دعاء عبادة ودعاء مسألة، وهما متلازمان. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره ودفعه... فهو يدعو للنفع والضر دعاء المسألة، ويدعو خوفًا ورجاء دعاء العبادة، فعلم أن النوعين متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة»[(٣)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وبهذا التحقيق يندفع عنك ما يقوله عباد القبور إذا احتج عليهم بما ذكر الله في القرآن من الأمر بإخلاص الدعاء له، قالوا: المراد به: العبادة، فيقولون في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨]؛ أي: لا تعبدوا مع الله أحدًا، فيقال لهم: وإن أريد به دعاء العبادة، فلا ينفي دخول دعاء المسألة في العبادة؛ لأن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، كما أن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، هذا لو لم يرد في دعاء المسألة بخصوصه من القرآن إلا الآيات التي ذكر فيها دعاء العبادة، فكيف وقد ذكر الله في القرآن في غير موضع. قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾»[(٤)] [الأعراف: ٥٦].

(١) أخرجه أحمد في المسند (ح٥٣٦٢)، وأبو داود (ح١٦٧٢)، وإسناده صحيح على شرط الشيخين (انظر: صحيح أبي داود للألباني ١٤٦٩).

(٢) المصباح المنير (ص١٩٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٠-١١).

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص١٧٦).

فثبت بهذا أن الدعاء عبادة من أجلِّ العبادات، فإن لم يكن الإشراك فيه شركًا، فليس في الأرض شرك، وإن كان في الأرض شرك فالشرك في الدعاء أولى أن يكون شركًا من الإشراك في غيره من أنواع العبادة، بل الإشراك في الدعاء هو أكبر شرك المشركين الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ فإنهم كانوا يدعون الأنبياء والصالحين والملائكة، ويتقربون إليهم ليشفعوا لهم عند الله؛ ولهذا يخلصون في الشدائد لله وينسون ما يشركون؛ لعلمهم أن آلهتهم لا تكشف الضر ولا تجيب المضطر، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝٦٥﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [النمل: ٦٢] فهم كانوا يعلمون أن ذلك لله وحده، وأن آلهتهم ليس عندها شيء من ذلك؛ ولهذا احتج سبحانه وتعالى عليهم بذلك أنه هو الإله الحق، وعلى بطلان إلهية ما سواه[(١)].

۞ رابعًا: الاستعاذة بغير الله:

الاستعاذة: الالتجاء، والاعتصام، والتحرز، وحقيقتها: الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه؛ ولهذا يسمى المستعاذ به: معاذًا[(٢)].

والاستعاذة بالمخلوق فيها تفصيل:

١- فإن كانت الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهي من الشرك، كالاستعاذة بأصحاب القبور في شفاء المرضى ونحوه، وقد أجمع العلماء على أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله[(٣)].

٢- أما الاستعاذة بالمخلوق الحي فيما يقدر عليه، فهي جائزة؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستكون فتن القاعد فيها خير من**

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص١٧٩-١٨٠).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص١٧٠).

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص١٧٣).

القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذًا فليعذ به»(١).

وكذلك قصة المرأة التي عاذت بأم سلمة(٢)، والغلام الذي عاذ بالنبي ﷺ(٣)، وكذلك في قصة الذين يستعيذون بالحرم والكعبة(٤)، وما أشبه ذلك(٥).

۞ خامسًا: الاستغاثة بغير الله:

الاستغاثة: هي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة، كالاستنصار: طلب النصر، والاستعانة: طلب العون.

والفرق بين الاستغاثة والدعاء: أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

وقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، والدعاء أعم من الاستغاثة؛ لأنه يكون من المكروب وغيره(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٦٠١)، ومسلم (ح٢٨٨٦).

(٢) عن أبي الزبير، عن جابر، أن امرأة من بني مخزوم سرقت، فأتي بها النبي ﷺ، فعاذت بأم سلمة زوج النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: **«والله لو كانت فاطمة لقطعت يدها»**، فقطعت. أخرجه مسلم (ح١٦٨٩).

(٣) عن أبي مسعود، أنه كان يضرب غلامه، فجعل يقول: أعوذ بالله، قال: فجعل يضربه، فقال: أعوذ برسول الله، فتركه، فقال رسول الله ﷺ: **«والله، لله أقدر عليك منك عليه»**، قال: فأعتقه. أخرجه مسلم (ح١٦٥٩).

(٤) عن عبيد الله ابن القبطية، قال: دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان وأنا معهما، على أم سلمة أم المؤمنين، فسألاها عن الجيش الذي يخسف به، وكان ذلك في أيام ابن الزبير، فقالت: قال رسول الله ﷺ: **«يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم»** فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارهًا؟ قال: **«يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته»**. أخرجه مسلم (ح٢٨٨٢).

(٥) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٥٥-٢٥٦).

(٦) تيسير العزيز الحميد (ص١٧٥).

والاستغاثة قسمان:

١- الاستغاثة الشركية، وهي الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، كالاستغاثة بالأموات في طلب نصر أو رزق أو ولد.

٢- الاستغاثة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه فهي جائزة، قال الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾.

۞ سادسًا: شرك المحبة:

محبة الله سبحانه هي أصل دين الإسلام، الذي يدور عليه قطب رحاها، فبكمالها يكمل الإيمان، وبنقصانها ينقص توحيد الإنسان(١).

والمقصود بشرك المحبة: أن يحب المخلوق كمحبة الله جل وعلا، وهي محبة العبودية المبنية على الحب والتعظيم والخوف والرجاء، ومتى أحب العبد بها غير الله، كان شركًا أكبر، وهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلًا، وهي التي سوَّى المشركون بين الله تعالى وبين آلهتهم فيها، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ومعنى ﴿أَندَادٗا﴾؛ أي: أمثالًا ونظراء، يحبونهم كحبه، ويعبدونهم معه. وهو الله الذي لا إله إلا هو، ولا ند له، ولا شريك معه.

وقوله: ﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ في تفسيره قولان:

أحدهما: يحبونهم كحب المؤمنين لله.

والثاني: يحبونهم كما يحبون الله(٢).

❊ ❊ ❊

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٤٠١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٣٥٧-٣٥٨).

أنواع المحبة:

قال الإمام ابن القيم: «**وهاهنا أربعة أنواع من المحبة يجب التفريق بينها، وإنما ضل من ضل بعدم التمييز بينها:**

أحدها: محبة الله، ولا تكفي وحدها في النجاة من عذابه والفوز بثوابه، فإن المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله.

الثاني: محبة ما يحبه الله، وهذه هي التي تدخله في الإسلام، وتخرجه من الكفر، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة وأشدهم فيها.

الثالث: الحب لله وفيه، وهي من لوازم محبة ما يحب، ولا يستقيم محبة ما يحب إلا بالحب فيه وله.

الرابع: المحبة مع الله، وهي المحبة الشركية، وكل من أحب شيئًا مع الله، لا لله ولا من أجله ولا فيه، فقد اتخذه ندًّا من دون الله، وهذه محبة المشركين.

وبقي قسم خامس: ليس مما نحن فيه، وهو المحبة الطبعية، وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة العطشان للماء، والجائع للطعام، ومحبة النوم والزوجة والولد، فتلك لا تذم إلا إذا ألهت عن ذكر الله وشغلت عن محبته، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩﴾ [المنافقون: ٩]، وقال: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]»[(١)].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «**المحبة تنقسم إلى أربعة أنواع:**

محبة شركية، وهي محبة الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٥ - ١٦٧].

---

(١) الداء والدواء (١/ ٤٤٣-٤٤٤).

المحبة الثانية: حب الباطل وأهله، وبغض الحق وأهله، وهذه صفة المنافقين.

والمحبة الثالثة: طبيعية، وهي محبة المال والولد، فإذا لم تشغل عن طاعة الله، ولم تعن على محارم الله، فهي مباحة.

والمحبة الرابعة: حب أهل التوحيد، وبغض أهل الشرك، وهي أوثق عرى الإيمان، وأعظم ما يعبد بها الإنسان ربه»[(١)].

وكل هذه الأقسام حق ولا مشاحة في التقسيم.

۞ سابعًا: شرك الخوف:

والمراد بشرك الخوف هو أن يخاف من المخلوق كما يخاف من الله، وهو خوف التعبد والتأله إلى من يخافه، وهو ما يسميه بعض أهل العلم بخوف السر.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «خوف السر، وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما يشاء من مرض أو فقر أو قتل ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، سواء ادعى أن ذلك كرامة للمخوف بالشفاعة، أو على سبيل الاستقلال، فهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله أصلًا؛ لأن هذا من لوازم الإلهية، فمن اتخذ مع الله ندًّا يخافه هذا الخوف فهو مشرك، وهذا هو الذي كان المشركون يعتقدونه في أصنامهم وآلهتهم؛ ولهذا يخوفون بها أولياء الرحمن كما خوفوا إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام- فقال لهم: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾[الأنعام: ٨٠، ٨١]، وقال تعالى عن قوم هود أنهم قالوا له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٣/ ٧٣).

أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [هود: ٥٤، ٥٥].
وقال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ٣٦].

وهذا القسم هو الواقع اليوم من عباد القبور، فإنهم يخافون الصالحين، بل الطواغيت كما يخافون الله بل أشد؛ ولهذا إذا توجهت على أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان كاذبًا أو صادقًا، فإن كان اليمين بصاحب التربة لم يقدم على اليمين إن كان كاذبًا، وما ذاك إلا لأن المدفون في التراب أخوف عنده من الله، ولا ريب أن هذا ما بلغ إليه شرك الأولين، بل جهد أيمانهم اليمين بالله تعالى، وكذلك لو أصاب أحدًا منهم ظلم لم يطلب كشفه إلا من المدفونين في التراب، وإذا أراد أن يظلم أحدًا فاستعاذ بالله أو ببيته لم يعذه، ولو استعاذ بصاحب التربة أو بتربته لم يقدم عليه أحدًا ولم يتعرض له بالأذى حتى إن بعض الناس أخذ من التجار أموالًا عظيمة أيام موسم الحج، ثم بعد أيام أظهر الإفلاس، فقام عليه أهل الأموال، فالتجأ إلى قبر في جدة يقال له: المظلوم[(١)]، فما تعرض له أحد بمكروه خوفًا من سر المظلوم وأشباه هذا من الكفر، وهذا الخوف لا يكون العبد مسلمًا إلا بإخلاصه لله تعالى وإفراده بذلك دون من سواه»[(٢)].

فهذا هو الخوف الذي يعد من الشرك، أما ما يقع طبيعة وعادة فليس مقصودًا هنا.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «اعلم أن الخوف والخشية تارة يقع عبادة، وتارة يقع طبيعة وعادة، وذلك بحسب أسبابه ومتعلقاته.

فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد وتقرب بذلك الخوف إلى من

---

(١) كان هذا في الماضي، أما اليوم ولله الحمد فلا يوجد شيء من ذلك لا في جدة ولا في غيرها من مدن هذه البلاد، حرسها الله من كل شرك وفتنة وسائر بلاد المسلمين.

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص٤١٦- ٤١٨)، وانظر: القول السديد، السعدي (ص١٣٢)، القول المفيد (٢/ ٦٧-٦٨).

يخافه، وكان يدعو إلى طاعة باطنة وخوف سري يزجر عن معصية من يخافه، كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان، وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله؛ لأنه أشرك في هذه العبادة -التي هي من أعظم واجبات القلب- غير الله مع الله، وربما زاد خوفه من غير الله على خوفه لله.

وأيضًا فمن خشي الله وحده على هذا الوجه فهو مخلص موحد، ومن خشي غيره فقد جعل لله ندًّا في الخشية، كمن جعل لله ندًّا في المحبة؛ وذلك كمن يخشى من صاحب القبر أن يوقع به مكروهًا، أو يغضب عليه فيسلبه نعمة أو نحو ذلك، مما هو واقع من عباد القبور.

وإن كان الخوف طبيعيًّا كمن يخشى من عدو أو سبع أو حية أو نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهري، فهذا النوع ليس عبادة، وقد يوجد من كثير من المؤمنين ولا ينافي الإيمان، وهذا إذا كان خوفًا محققًا قد انعقدت أسبابه فليس بمذموم، وإن كان هذا خوفًا وهميًّا كالخوف الذي ليس له سبب أصلا، أو له سبب ضعيف فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء، وقد تعوذ ﷺ من الجبن فهو من الأخلاق الرذيلة؛ ولهذا كان الإيمان التام والتوكل والشجاعة تدفع هذا النوع، حتى إن خواص المؤمنين وأقوياءهم تنقلب المخاوف في حقهم أمنًا وطمأنينة لقوة إيمانهم وشجاعتهم الشجاعة القلبية، وكمال توكلهم»[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «**الخوف أقسام:**

الأول: خوف العبادة والتذلل والتعظيم والخضوع، وهو ما يسمى بخوف السر؛ وهذا لا يصلح إلا لله سبحانه، فمن أشرك فيه مع الله غيره؛ فهو مشرك شركًا أكبر، وذلك مثل: من يخاف من الأصنام أو الأموات، أو من يزعمونهم أولياء ويعتقدون نفعهم وضرهم؛ كما يفعله بعض عباد القبور: يخاف من صاحب القبر أكثر مما يخاف الله.

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص١٣٢).

الثاني: الخوف الطبيعي والجِبِلِّي، فهذا في الأصل مباح؛ لقوله تعالى عن موسى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١]، وقوله عنه أيضًا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ [القصص:٣٣]، لكن إن حمل على ترك واجب أو فعل محرم فهو محرم، وإن استلزم شيئًا مباحًا كان مباحًا، فمثلًا من خاف من شيء لا يؤثر عليه وحمله هذا الخوف على ترك صلاة الجماعة مع وجوبها؛ فهذا الخوف محرم، والواجب عليه ألا يتأثر به. وإن هدده إنسان على فعل محرم، فخافه وهو لا يستطيع أن ينفذ ما هدده به؛ فهذا خوف محرم لأنه يؤدي إلى فعل محرم بلا عذر، وإن رأى نارًا ثم هرب منها ونجا بنفسه؛ فهذا خوف مباح، وقد يكون واجبًا إذا كان يتوصل به إلى إنقاذ نفسه»[١].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «**الخوف كما عرفه العلماء: توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، وهو ثلاثة أقسام:**

الأول: خوف السر، وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أو ميت أو غائب من جن أو إنس أن يصيبه بما يكره... وهذا الخوف من غير الله هو الواقع اليوم من عباد القبور وغيرها من الأوثان؛ يخافونها ويخوِّفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة لله، وهذا النوع من الخوف من أهم أنواع العبادة، يجب إخلاصه لله وحده؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٣]، وهذا الخوف من أعظم مقامات الدين وأجلها، فمن صرفه لغير الله؛ فقد أشرك بالله الشرك الأكبر، والعياذ بالله.

الثاني من أنواع الخوف: أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفًا من بعض الناس. فهذا محرم، وهو شرك أصغر، وهذا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٦٧-٦٨).

ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥]، وهذا أيضًا هو الخوف المذكور في الحديث الذي رواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يحقر أحدكم نفسه**». قالوا: يا رسول الله، كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «**يرى أمرًا لله عليه فيه مقال، ثم لا يقول فيه، فيقول الله عز وجل له يوم القيامة: ما منعك أن تقول فيَّ كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس. فيقول الله عز وجل: فإياي كنت أحق أن تخشى**».

الثالث من أنواع الخوف: الخوف الطبيعي، وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك. فهذا ليس بمذموم؛ كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ﴾»[1].

۞ ثامنًا: شرك الرجاء:

وهو رجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ كمَنْ يدعو الأموات أو غيرهم راجيًا حصول مطلوبه من جهتهم، فهذا شرك أكبر[2]؛ لأن الرجاء عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فدلت الآيتان على أن الرجاء عبادة؛ لأن الله قد مدح أهله المتصفين به.

۞ تاسعًا: شرك الرياء:

قال الحافظ ابن حجر: «الرياء -بكسر الراء وتخفيف التحتانية والمد- وهو مشتق من الرؤية، والمراد به: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص٦٥-٦٦).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٢٣).

صاحبها، والسمعة -بضم المهملة وسكون الميم- مشتقة من سمع، والمراد بها نحو ما في الرياء، لكنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر»[(١)].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [الكهف: ١١٠]، والعمل الصالح هو الخالي من الرياء، المقيَّد بالسنَّة[(٢)]. قال الحافظ ابن كثير: «﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ ما كان موافقًا لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصًا لله، صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ»[(٣)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ألا أنبئكم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه**»[(٤)]، وسمي الرياء شركًا خفيًّا؛ لأن صاحبه يظهر أن عمله لله، ويخفي في قلبه أنه لغيره، وإنما تزين بإظهاره أنه لله بخلاف الشرك الجلي[(٥)].

حكم العمل الذي خالطه رياء:

اعلم أن العمل لغير الله أقسام[(٦)]:

١- أن يكون العمل رياء محضًا، فلا يراد به سوى مراءاة المخلوقين لغرض دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]، وكذلك وصف الله الكفار بالرياء في

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٣٦)، وانظر: تيسير العزيز الحميد (ص٤٥٢).

(٢) الداء والدواء (ص٣٠٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٠٥).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (ح١١٢٥٢)، وابن ماجه (ح٤٢٠٢)، وإسناده حسن (انظر: مصباح الزجاجة ٤/ ٢٣٧، صحيح الجامع رقم ٢٦٠٧).

(٥) تيسير العزيز الحميد (ص٤٥٩).

(٦) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٧٩-٨٤).

قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧]، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.

٢- أن يكون العمل لله ويشاركه الرياء، **وله أحوال:**

أ- فإن شاركه من أصله، فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه، ومنها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركَه**»[١].

ب- وإن كان أصل العمل لله، ثم طرأ عليه نية الرياء، فإن كان خاطرًا ودفعه، فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه، فهل يحبط عمله أم لا يضره ذلك، ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف، حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري، ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يجازى بنيته الأولى، وهو مروي عن الحسن البصري وغيره، وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو في عمل مرتبط آخره بأوله، كالصلاة والصيام والحج، فأما ما لا ارتباط فيه، كالقراءة والذكر، وإنفاق المال ونشر العلم، فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه، ويحتاج إلى تجديد نية.

أما إذا عمل العمل لله خالصًا، ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك، لم يضره ذلك، وهذا المعنى جاء في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**»[٢].

۞ عاشرًا: إرادة الإنسان بعمله الدنيا:

والمراد به: أن يعمل الإنسان عملًا صالحًا يريد به الدنيا[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٩٨٥). (٢) أخرجه مسلم (ح٢٦٤٢).

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٤٦١).

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [هود: ١٥، ١٦]، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ وأثاثها[١] ﴿وَزِينَتَهَا﴾ يطلب به ﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ﴾ أجور ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا﴾ وثوابها ﴿وَهُمۡ فِيهَا﴾ يقول: وهم في الدنيا ﴿لَا يُبۡخَسُونَ﴾، يقول: لا ينقصون أجرها، ولكنهم يوفونه فيها»[٢].

وبين الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا عموم وخصوص مطلق، يجتمعان فيما إذا أراد الإنسان بعمله التزين عند الناس، والتصنع لهم والثناء، فهذا رياء، وهو أيضًا إرادة الدنيا بالتصنع عند الناس، وطلب المدحة منهم والإكرام، ويفارق الرياء لكونه عمل عملًا صالحًا أراد به عرضًا من الدنيا، كمن يجاهد ليأخذ مالًا، أو يجاهد للمغنم، أو غير ذلك، بخلاف المرائي؛ فإنه إنما يعمل ليراه الناس ويعظموه، والذي يعمل لأجل الدراهم أعقل من المرائي، وكلاهما خاسر[٣].

وحكم العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها فيه تفصيل[٤]:

١- فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا المقصد، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة، فهذا ليس له في الآخرة من نصيب، وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن؛ فإن المؤمن ولو كان ضعيف الإيمان لا بد أن يريد الله والدار الآخرة.

٢- وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا، والقصدان متساويان أو متقاربان، فهذا وإن كان مؤمنًا فإنه ناقص الإيمان، وعمله ناقص لفقده كمال

(١) كذا في نسخة د. التركي! وفي نسخة الشيخ شاكر (١٥/ ٢٦٢): «إياها».
(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٣٤٦).
(٣) انظر: حاشية كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن قاسم (ص٢٦٨).
(٤) انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص١٣٠).

الإخلاص.

٣- وأما من عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصًا تامًّا، ولكنه يأخذ على عمله جُعلًا يستعين به على العمل والدين، كالجعالات التي تُجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يترتب على جهاده غنيمة أو رزق، وكالأوقاف التي تجعل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها، فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده لكونه لم يرد بعمله الدنيا، وإنما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له معينًا له على قيام الدين؛ ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية كالزكوات وأموال الفيء وغيرها جزءًا لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة(١).

۞ حادي عشر: شرك الطاعة:

وهو طاعة المخلوق في تحريم الحلال وتحليل الحرام، واعتقاد جواز ذلك فهذا شرك بهذا الاعتبار؛ حيث جعل التحليل والتحريم لغير الله، كما بينه الله تعالى في قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾ أي: علماءهم ﴿أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وفسرها النبي ﷺ بطاعتهم في تحريم الحلال، وتحليل الحرام في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه، قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «**يا عدي، اطرح عنك هذا الوثن**»، وسمعته يقرأ في «سورة براءة»: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال: «**أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه**»(٢).

❋ ❋ ❋

(١) كان شيخنا صالح البليهي وهو يقرر لنا هذه المسألة يقربها لنا بالمثال، فيقول: فرق بين من يحج ليأخذ، ومن يأخذ ليحج، فالأول مذموم والثاني محمود.

(٢) سبق تخريجه.

وحكم هؤلاء الذين أطاعوا رؤساءهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكون على وجوه:

الأول: أن يعلموا أن رؤساءهم بدلوا دين الله فيتبعوهم مختارين على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعًا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا الرسول ﷺ، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركًا، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين، فاعتقد أن ما قاله ذلك المحلِّل أو المحرِّم أفضل مما قاله الله ورسوله، أو مثله فإنه يكون مشركًا.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتًا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ؛ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف**»(١).

الثالث: إن كان المتبع للمجتهد عاجزًا عن معرفة الحق على التفصيل، وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد؛ فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ كما في القبلة.

الرابع: إن قلد شخصًا دون نظيره بمجرد هواه ونصره بيده ولسانه من غير علم أن معه الحق؛ فهذا من أهل الجاهلية، وإن كان متبوعه مصيبًا لم يكن عمله صالحًا، وإن كان متبوعه مخطئًا كان آثمًا.

وأما حكم المحرِّم للحلال والمحلِّل للحرام:

١- فإن كان مجتهدًا قصده اتباع الرسول ﷺ، لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر، وقد اتقى الله ما استطاع؛ فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه، بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه.

---

(١) أخرجه البخاري (ح٧٢٥٧)، ومسلم (ح١٨٤٠).

٢- وإن كان عاجزًا عن إظهار الحق الذي يعلمه؛ فهذا يكون كَمَنْ عرف أن دين الإسلام حق وهو بين النصارى؛ فإذا فعل ما يقدر عليه من الحق؛ لا يؤاخذ بما عجز عنه.

٣- وإن كان يحرم الحلال ويحلل الحرام معتقدًا أن ذلك أفضل من شرع الله أو مثله أو مستحلًّا له، فهو كفر.

٤- أن يحرم الحلال ويحلل الحرام لغلبة هوى مع اعتقاده أن شرع الله هو الحق فهذا عاصٍ[١].

۞ ثاني عشر: شرك الطواف:

وهو أن يطوف لغير الله، وذلك أن الطواف عبادة لله؛ لأن الله قد أمر به، وما أمر الله به أمر إيجاب أو استحباب فهو عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك، قال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

أما إن طاف لله بغير ما شرع الله الطواف به، فهذا بدعة، ووسيلة إلى الوقوع في الشرك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قد اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الطواف إلا بالبيت المعمور، فلا يجوز الطواف بصخرة بيت المقدس، ولا بحجرة النبي ﷺ، ولا بالقبة التي في جبل عرفات ولا غير ذلك، وكذلك اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الاستلام ولا التقبيل إلا للركنين اليمانيين؛ فالحجر الأسود يستلم ويقبل واليماني يستلم، وقد قيل: إنه يقبل، وهو ضعيف، وأما غير ذلك فلا يشرع استلامه ولا تقبيله؛ كجوانب البيت والركنين الشاميين؛ ومقام إبراهيم والصخرة والحجرة النبوية وسائر قبور الأنبياء والصالحين»[٢].

والطواف بغير ما شرعه الله هو من فعل أهل الجاهلية، عن أبي رجاء العطاردي، قال: «كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرًا هو أخير منه ألقيناه،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٧٠-٧٢)، فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ١٨٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٢١).

وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا جثوة من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه، ثم طُفنا به»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة**[(٢)]»[(٣)]، قال البغوي: «ومعنى الخبر: حتى ترجع دوس عن الإسلام، فتطوف نساؤهم بذي الخَلَصَة، وتضطرب ألياتها، كذلك فعلهم في الجاهلية»[(٤)].

قال الإمام النووي: «لا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ... هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه، ولا يغترُّ بمخالفة كثيرين من العوامِّ وفعلهم ذلك»[(٥)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الطواف بالأنبياء والصالحين فحرام بإجماع المسلمين، ومن اعتقد ذلك دينًا فهو كافر، سواء طاف ببدنه أو بقبره»[(٦)].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: «أما الطواف بالقبور وتظليلها فبدعة يحرم فعلها، ووسيلة عظمى لعبادة أهلها من دون الله، وقد تكون شركًا إذا قصد أن الميت بذلك يجلب له نفعًا أو يدفع عنه ضرًّا أو قصد بالطواف التقرب إلى الميت»[(٧)].

۞ ثالث عشر: شرك الحلف بغير الله:

الحلف بغير الله من الشرك الأصغر؛ لحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رجلًا

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٣٧٦).

(٢) **الخلصة** -بفتح الخاء واللام والصاد- هو: بيت صنم كان ببلاد دَوس. انظر: فتح الباري، ابن حجر (١/ ١١٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح٧١١٦)، ومسلم (ح٢٩٠٦).

(٤) شرح السنة (١٥/ ٩٠).

(٥) المجموع شرح المهذب (٨/ ٢٧٥).

(٦) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٠٨).

(٧) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ١٨٦).

يقول: والكعبة، فقال: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»(١)، وقد حمل العلماء ذلك على الشرك الأصغر، ويؤيد ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله**»(٢).

قال الإمام البخاري: «ولم ينسبه إلى الكفر»(٣)، «فأمر ﷺ من حلف من المسلمين باللات والعزى أن يقول بعد ذلك: لا إله إلا الله؛ لمنافاة الحلف بغير الله كمال التوحيد الواجب؛ وذلك لما فيه من إعظام غير الله بما هو مختص بالله وهو الحلف به، وما ورد في بعض الأحاديث من الحلف بالآباء فهو قبل النهي عن ذلك جريًا على ما كان معتادًا في العرب في الجاهلية»(٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ركب وهو يحلف بأبيه، فناداهم رسول الله ﷺ: «**ألا، إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله، أو ليصمت**»(٥).

قال الإمام ابن عبد البر: «وفي هذا الحديث من الفقه أنه لا يجوز الحلف بغير الله عز وجل في شيء من الأشياء، ولا على حال من الأحوال، وهذا أمر مجتمع عليه»(٦).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليَّ من أن أحلف بغيره وأنا صادق»(٧).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (ح٦٠٧٢)، وأبو داود (ح٣٢٥١)، والترمذي (ح١٥٣٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع برقم ٦٢٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (ح٦٦٥٠)، ومسلم (ح١٦٤٧).

(٣) صحيح البخاري (٨/ ١٣٣).

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٣٤٥).

(٥) أخرجه البخاري (ح٦١٠٨)، ومسلم (ح١٦٤٦).

(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٤/ ٣٦٦)، وانظر: الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار (١٥/ ٩٥).

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٨٣)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد =

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «أجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله، أو بصفاته، وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره. . . ولا اعتبار بمن قال من المتأخرين: إن ذلك على سبيل كراهة التنزيه، فإن هذا قول باطل، وكيف يقال ذلك لما أطلق عليه الرسول ﷺ أنه كفر أو شرك، بل ذلك محرم؛ ولهذا اختار ابن مسعود رضي الله عنه أن يحلف بالله كاذبًا، ولا يحلف بغيره صادقًا، فهذا يدل على أن الحلف بغير الله أكبر من الكذب، مع أن الكذب من المحرمات في جميع الملل، فدل ذلك أن الحلف بغير الله من أكبر المحرمات»(١).

لكن الحلف بغير الله قد يكون شركًا أكبر، وذلك إذا اقترن به تعظيم المحلوف به كتعظيم الله.

يقول الشيخ ابن عثيمين: «والحلف بغير الله شرك أكبر؛ إن اعتقد أن المحلوف به مساوٍ لله تعالى في التعظيم والعظمة، وإلا فهو شرك أصغر»(٢).

۞ رابع عشر: الشرك في الألفاظ:

والمراد به: التشريك بين الله وبين خلقه في الألفاظ، كقول: لولا الله وفلان، وهذا بالله وبك، وكإضافة الأشياء ووقوعها لغير الله، كقول: لولا الحارس لأتانا اللصوص، ولولا الدواء الفلاني لهلكت، ولولا حذق فلان في المكسب الفلاني لما حصل، فكل هذا ينافي التوحيد.

والواجب أن تضاف الأمور ووقوعها ونفع الأسباب إلى إرادة الله، وإلى الله ابتداء، ويذكر مع ذلك مرتبة السبب ونفعه، فيقول: لولا الله ثم كذا؛ ليعلم أن الأسباب مربوطة بقضاء الله وقدره، فلا يتم توحيد العبد حتى لا يجعل لله ندًّا في قلبه وقوله وفعله(٣).

= (٤/ ١٧٧)، وصححه الألباني (إرواء الغليل برقم ٢٥٦٢).

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٥١١). (٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٢١٤).

(٣) انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص١٤٣).

عن ابن عباس في قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢] قال: «الأنداد هو: الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء، في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله، وحياتك يا فلانة، وحياتي. ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلان، فإن هذا كله به شرك»(١).

عن ابن عباس، أن رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله، وشئت، فقال له النبي ﷺ: «**أجعلتني واللهَ عدلًا، بل ما شاء الله وحده**»(٢).

وعن قتيلة بنت صيفي الجهنية قالت: أتى حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون، قال: «**سبحان الله، وما ذاك؟**»، قال: تقولون إذا حلفتم: والكعبة، قالت: فأمهل رسول الله ﷺ شيئًا(٣)، ثم قال: «**إنه قد قال: فمن حلف فليحلف برب الكعبة**»، ثم قال: يا محمد، نعم القوم أنتم، لولا أنكم تجعلون لله ندًّا، قال: «**سبحان الله، وما ذاك؟**»، قال: تقولون: ما شاء الله وشئت، قال: فأمهل رسول الله ﷺ شيئًا، ثم قال: «**إنه قد قال، فمن قال: ما شاء الله، فليفصل بينهما، ثم شئت**»(٤).

لكن التشريك في الألفاظ قد يكون شركًا أكبر إذا اعتقد القائل أن من أشركه مع الله مساوٍ لله في تدبيره جل وعلا.

يقول الشيخ ابن عثيمين: «وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، فيه شرك؛ لأنه شَرَكَ غير الله مع الله بالواو؛ فإن اعتقد أنه يساوي الله عز وجل في

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٦٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) **أي**: أخَّر الجواب عن اليهودي شيئًا من الزمن. (الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ١٤/ ١٦٦).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (ح٢٧٠٩٣)، والنسائي بنحوه (ح٣٧٧٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٣١)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة برقم ١٣٦).

التدبير والمشيئة فهو شرك أكبر، وإن لم يعتقد ذلك، واعتقد أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء فهو شرك أصغر، وكذلك قوله: لولا الله وفلان»[1].



(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٢١٢).



المبحث الرابع

السحر

تعريفه وأنواعه وحكم الشرع في السحر والساحر وبعض صوره المعاصرة والوقاية منه وعلاجه

۞ أولًا: تعريف السحر:

السحر في اللغة: عبارة عمَّا خفي ولَطُف سببه[(١)].

وأما في الاصطلاح فهو -كما قال الإمام الشافعي: «السحر: اسم جامع لمعانٍ مختلفة»[(٢)]؛ ولذا يتعذر تعريفه بتعريف جامع مانع.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «اعلم أن السحر في الاصطلاح لا يمكن حده بحدٍّ جامع مانع؛ لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعًا لها مانعًا لغيرها، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافًا متباينًا»[(٣)].

ومن أحسن تعاريفه قول الإمام ابن قدامة بأن: «السحر: عزائم ورقى وعقد تؤثر في الأبدان، والقلوب، فيمرض، ويقتل، ويفرق بين المرء

---

(١) لسان العرب (٤/ ٣٤٨).

(٢) الأم (٢/ ٥٦٦).

(٣) أضواء البيان (٤/ ٤١).

وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه[١]»[٢].

۞ ثانيًا: أنواع السحر:

للسحر أنواع كثيرة جدًّا، قال الرازي: «**اعلم أن السحر على أقسام:**

الأول: سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر، وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم، ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة، وهم الذين بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام مبطلًا لمقالتهم ورادًّا عليهم في مذهبهم[٣].

النوع الثاني: سحر أصحاب الأوهام والنفس القوية[٤].

النوع الثالث: الاستعانة بالأرواح الأرضية[٥].

النوع الرابع: التخيلات والأخذ بالعيون[٦].

النوع الخامس: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية تارة وعلى ضروب الخيلاء أخرى[٧].

النوع السادس: الاستعانة بخواص الأدوية مثل أن يجعل في طعامه بعض الأدوية المبلدة المزيلة للعقل والدخن المسكرة نحو دماغ الحمار إذا تناوله الإنسان تبلد عقله وقلَّت فطنته[٨].

النوع السابع: تعليق القلب، وهو أن يدعي الساحر أنه قد عرف الاسم

---

(١) **أي:** يمنع الجماع بينهما.

(٢) الكافي في فقه الإمام أحمد (٤/ ٦٤)، وانظر في تعريفه أيضًا: أحكام القرآن (١/ ٤٨)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٩٧)، كشاف اصطلاحات الفنون (١/ ٩٣٥).

(٣) وهذا سحر التنجيم.

(٤) وهذا أقرب إلى العين.

(٥) وهذا هو السحر الذي يستعين صاحبه بالجن.

(٦) وهذا سحر التخييل.

(٧) وهذا ضرب من الرياضة ومهارة الحركة وخفة اليد.

(٨) وهذا سحر الأدوية وتسميته سحرًا مجاز؛ لأنه لا يعتمد على الاستعانة بالشياطين، بل على الأدوية، ومنه المخدرات والمسكرات

الأعظم، وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور، فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك، وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة، وإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة، فحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل حينئذٍ ما يشاء[(١)].

النوع الثامن: السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفية لطيفة، وذلك شائع في الناس[(٢)]، فهذا جملة الكلام في أقسام السحر»[(٣)].

قال الشيخ الشنقيطي بعدما ساق كلام الرازي: «ولأهل العلم فيه تقسيمات متعددة يرجع غالبها إلى هذه الأقسام المذكورة»[(٤)]، **وهذه الأقسام ترجع في الغالب إلى نوعين: (١)** سحر الحقيقة، **(٢)** سحر التخييل.

١ - **أما سحر الحقيقة** فيدل عليه قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الناس: ١، ٤] قال ابن قدامة: «يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه»[(٥)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ سحر، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا، فقال: «**يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب**[(٦)]، **قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم** - رجل من بني زريق حليف

---

(١) وهذه إحدى وسائل السحرة في الوصول إلى أغراضهم، وهي تقوم على محض الكذب والادعاء.

(٢) وتسمية النميمة سحرًا لمشابهتها السحر في الأثر، وهو التفريق بين الناس.

(٣) تفسير الرازي (٣/ ٦١٩-٦٢٥) باختصار.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٤٧).

(٥) الكافي في فقه الإمام أحمد (٤/ ٦٤).

(٦) مطبوب أي: مسحور (فتح الباري ١٠/ ٢٢٨).

ليهود كان منافقًا - **قال: وفيم؟ قال: في مُشْطٍ ومُشَاطة**[١]، **قال: وأين؟ قال: في جُفِّ**[٢] **طَلْعَةِ ذَكَر، تحت رَاعُوفَةَ**[٣] **في بئر ذَرْوَان**[٤]» قالت: فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه، فقال: «**هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نُقَاعَة الحِنَّاء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين**» قال: فاستخرج، قالت: فقلت: أفلا؟ - أي: تَنَشَّرْت - فقال: «**أما الله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرًّا**»[٥].

٢- وأما سحر التخييل، فيدل عليه قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٥، ٦٦]، قال ابن كثير: «وذلك أنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد، بحيث يخيل للناظر أنها تسعى باختيارها، وإنما كانت حيلة»[٦].

وقد زعم قوم من المعتزلة وغيرهم أن السحر كله تخييل لا حقيقة له مطلقًا[٧]، وهذا ليس بصحيح على إطلاقه، بل منه ما هو تخييل، ومنه ما له حقيقة[٨]، وقد سبق ذكر النصوص الدالة على ذلك، والواقع يؤكد حقيقته وتأثيره.

---

(١) **المشاطة** -بضم الميم- هي الشعر الذي يسقط من الرأس أو اللحية عند تسريحه (شرح النووي على مسلم ١٤/ ١٧٧).

(٢) هو وعاء طلع النخل، وهو الغشاء الذي يكون عليه، ويطلق على الذكر والأنثى؛ فلهذا قيده في الحديث بقوله: «**طلعة ذكر**» (شرح النووي على مسلم ١٤/ ١٧٧).

(٣) **الراعوفة:** حجر يوضع على رأس البئر لا يستطاع قلعه، يقوم عليه المستقي، وقد يكون في أسفل البئر (فتح الباري ١٠/ ٢٣٤).

(٤) هي بئر بالمدينة في بستان بني زريق (شرح النووي على مسلم ١٤/ ١٧٧).

(٥) أخرجه البخاري (ح٥٧٦٥)، ومسلم (ح٢١٨٩).

(٦) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٠٢).

(٧) انظر: متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار (١/ ١٠١).

(٨) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٣٢٥-٣٢٦).

۞ ثالثًا: حكم الشرع في السحر:

ذهب الجمهور؛ أبو حنيفة[١]، ومالك[٢]، وأحمد[٣] إلى أن السحر كفر، وذهب الشافعي إلى أنه ليس بكفر إلا إذا تضمن ما يقتضي الكفر، فقال: «يقال للساحر: صِفِ السحر الذي تسحر به؛ فإن كان ما يسحر به كلام كفر صريح استتيب منه، فإن تاب وإلا قتل، وأخذ ماله فيئًا، وإن كان ما يسحر به كلامًا لا يكون كفرًا وكان غير معروف، ولم يضر به أحدًا نهي عنه، فإن عاد عزِّر»[٤].

وأما حكم تعلمه وتعليمه فإن العلماء اتفقوا على حرمته، قال ابن قدامة: «تَعَلُّم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافًا بين أهل العلم»[٥]، واختلفوا في تكفيره، فالجمهور لم يفرقوا في الحكم بين تعلمه وتعليمه وفعله، وقالوا: كل ذلك كفر[٦]، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، قال الحافظ ابن حجر: «فإن ظاهرها أنهم كفروا بذلك، ولا يكفر بتعليم الشيء إلا وذلك الشيء كفر»[٧].

وأما الشافعية فذهبوا إلى التفصيل في حكم تعلمه وتعليمه كما فصلوا في فعله، قال النووي: «وأما تعلمه وتعليمه فحرام، فإن تضمن ما يقتضي الكفر كفر وإلا فلا»[٨].

الترجيح:

«وعند التحقيق ليس بين القولين اختلاف، فإن من لم يكفِّر لظنه أنه يتأتى بدون الشرك، وليس كذلك، بل لا يأتي السحر الذي من قِبَل الشياطين إلا

---

(١) انظر: البناية شرح الهداية (٧/ ٢٩٧).
(٢) انظر: النوادر والزيادات على ما في المدونة من الأمهات (١٤/ ٥٣٢).
(٣) انظر: المغني (١٢/ ٣٠٠).
(٤) الأم (٢/ ٥٦٦-٥٦٧)، وانظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٦).
(٥) المغني (١٢/ ٣٠٠).
(٦) انظر: المغني (١٢/ ٣٠٠).
(٧) فتح الباري (١٠/ ٢٢٥).
(٨) شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٦).

بالشرك وعبادة الشيطان والكواكب، ولهذا سماه الله كفرًا في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، وقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢] . . . وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه فليس بسحر، وإن سمي سحرًا فعلى سبيل المجاز كتسمية القول البليغ والنميمة سحرًا، ولكنه يكون حرامًا لمضرته، ويعزر من يفعله تعزيرًا بليغًا»[(١)].

رابعًا: عقوبة الساحر:

اختلف في عقوبة الساحر على قولين:

القول الأول: أنه يقتل حدًّا لردته، وهذا هو قول أبي حنيفة ومالك وأحمد -رحمهم الله- لكفره بسحره مطلقًا، وهو اختيار اللجنة الدائمة، حيث قالت: «إذا أتى الساحر في سحره بمكفر قتل لردته حدًّا، وإن ثبت أنه قتل بسحره نفسًا معصومة قتل قصاصًا، وإن لم يأت في سحره بمكفر ولم يقتل نفسًا؛ ففي قتله بسحره خلاف، والصحيح: أنه يقتل حدًّا لردته، وهذا هو قول أبي حنيفة ومالك وأحمد - رحمهم الله؛ لكفره بسحره مطلقًا لدلالة آية: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ الآية [البقرة: ١٠٢]، على كفر الساحر مطلقًا؛ ولِمَا ثبت في صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة أنه قال: «كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، فقتلنا ثلاث سواحر»، ولِمَا صح عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها «أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت»، رواه مالك في الموطأ»[(٢)].

ومما يدل على ذلك أيضًا حديث جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**حد الساحر ضربة بالسيف**»[(٣)].

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٣٢٦-٣٢٧).
(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٥٥١- ٥٥٢).
(٣) أخرجه الترمذي (ح١٤٦٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ١٦١)، والحاكم (٤/ ٤٠١)=

قال الترمذي: «هذا حديث، لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه... والصحيح عن جندب موقوفًا، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس»[(١)].

وقال ابن قدامة: «حد الساحر القتل، روي ذلك عن عمر، وعثمان بن عفان، وابن عمر، وحفصة، وجندب بن عبد الله، وجندب بن كعب، وقيس ابن سعد، وعمر بن عبد العزيز، وهو قول أبي حنيفة ومالك»[(٢)].

القول الثاني: أنه لا يقتل إلا إذا قتل بسحره أو تضمن سحره كفرًا كالاستعانة بالشياطين، وهو قول الشافعي، قال ابن قدامة: «ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر»[(٣)]، وقال الترمذي: «قال الشافعي: إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر، فإذا عمل عملًا دون الكفر فلم نر عليه قتلًا»[(٤)].

وقال الشيخ الشنقيطي: «الأظهر عندي أن الساحر الذي لم يبلغ به سحره الكفر ولم يقتل به إنسانًا أنه لا يقتل؛ لدلالة النصوص القطعية، والإجماع على عصمة دماء المسلمين عامة إلا بدليل واضح، وقتل الساحر الذي لم يكفر بسحره لم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ، والتجرؤ على دم مسلم من غير دليل صحيح من كتاب أو سنة مرفوعة غير ظاهر عندي، والعلم عند الله تعالى، مع أن القول بقتله مطلقًا قوي جدًّا لفعل الصحابة له من غير نكير»[(٥)].

وعند التحقيق يتضح أن ليس بين القولين اختلاف، فليس بين من يحكم بقتله مطلقًا وبين من لم يحكم بقتله إلا إذا أتى بمكفر خلاف حقيقي؛ ذلك أن

= وضعفه الألباني مرفوعًا وصحَّحه موقوفًا (سلسلة الأحاديث الضعيفة ح١٤٤٦).

(١) سنن الترمذي (٣/ ١١٢).

(٢) المغني لابن قدامة (١٢/ ٣٠٢)، وانظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤٩٠).

(٣) المغني (١٢/ ٣٠٢).

(٤) سنن الترمذي (٣/ ١١٢).

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٥٥)، وانظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٥٥١-٥٥٣).

من لم يحكم بقتله فلظنه أن السحر يتأتى بدون الشرك، وليس كذلك، بل لا يأتى السحر الذي من قِبَل الشياطين إلا بالشرك وعبادة الشيطان والكواكب، ولهذا سماه الله كفرًا في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، وقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾؛ وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه فليس بسحر، وإن سمي سحرًا فعلى سبيل المجاز؛ كتسمية القول البليغ والنميمة سحرًا، ولكنه يكون حرامًا لمضرته، وهذا لايحكم بقتله إلا إن قتل بما يستخدم من الأدوية ونحوها، بل يعزر من يفعله تعزيرًا بليغًا. كما تبين هذا في القول الراجح في حكم السحر[(١)].

قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد قال: «فمن كان سحره بواسطة الشياطين فإنه يكفر لأنه لا يتأتى ذلك إلا بالشرك غالبًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ومن كان سحره بالأدوية والعقاقير ونحوها فلا يكفر، ولكن يعتبر عاصيًا معتديًا»[(٢)].

واختلف في قبول توبته، قال ابن قدامة: «هل يستتاب الساحر؟ فيه روايتان **إحداهما:** لا يستتاب، وهو ظاهر ما نقل عن الصحابة، فإنه لم ينقل عن أحد منهم أنه استتاب ساحرًا، وفي الحديث الذي رواه هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة أن الساحرة سألت أصحاب النبي ﷺ وهم متوافرون، هل لها من توبة؟ فما أفتاها أحد. ولأن السحر معنى في قلبه، لا يزول بالتوبة، فيشبه من لم يتب.

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٣٢٦-٣٢٧).
(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤٩٠).

والرواية الثانية: يستتاب، فإن تاب قبلت توبته؛ لأنه ليس بأعظم من الشرك، والمشرك يستتاب، ومعرفته السحر لا تمنع قبول توبته، فإن الله تعالى قبل توبة سحرة فرعون وجعلهم من أوليائه في ساعة، ولأن الساحر لو كان كافرًا فأسلم صح إسلامه وتوبته، فإذا صحت التوبة منهما صحت من أحدهما، كالكفر، ولأن الكفر والقتل إنما هو بعمله بالسحر، لا بعلمه، بدليل الساحر إذا أسلم، والعمل به يمكن التوبة منه، وكذلك اعتقاد ما يكفر باعتقاده، يمكن التوبة منه كالشرك»[(١)].

ومحل الخلاف في سقوط عقوبة القتل عنه في الدنيا إذا تاب، أما قبول توبته عند الله فليس بينهم خلاف في ذلك، فإن الله يتوب على من تاب، ولذا قال ابن قدامة في التعقيب على الخلاف في هذه المسألة: «وهاتان الروايتان في ثبوت حكم التوبة في الدنيا، من سقوط القتل ونحوه، فأما فيما بينه وبين الله تعالى، وسقوط عقوبة الدار الآخرة عنه فتصح، فإن الله تعالى لم يسد باب التوبة عن أحد من خلقه، ومن تاب إلى الله قَبِل توبته، لا نعلم في هذا خلافًا»[(٢)].

وقال الشيخ ابن باز: «إذا تاب الساحر توبة صادقة فيما بينه وبين الله نفعه ذلك عند الله، فالله يقبل التوبة من المشركين وغيرهم، كما قال جل وعلا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥]، وقال جل وعلا: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، لكن في الدنيا لا تقبل.

الصحيح: أنه يقتل، فإذا ثبت عند حاكم المحكمة أنه ساحر يقتل، ولو قال: إنه تائب، فالتوبة فيما بينه وبين الله صحيحة، إن كان صادقًا تنفعه عند الله، أما في الحكم الشرعي فيقتل، كما أمر عمر بقتل السحرة؛ لأن شرهم عظيم، قد يقولون: تبنا، وهم يكذبون، يضرون الناس، فلا يسلم من شرهم بتوبتهم

---

(١) المغني (١٢/ ٣٠٣).

(٢) المغني (١٢/ ٣٠٣)، وانظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٦).

التي أظهروها ولكن يقتلون، وتوبتهم إن كانوا صادقين تنفعهم عند الله»[(١)].

۞ خامسًا: بعض صور السحر المعاصرة:

صور السحر المعاصرة هي نفس صور السحر القديمة، ولا تختلف عنها إلا فيما يلي:

١- استخدام التقنية لتعليمه والترويج له:

وقد أعلن بعض العاملين في هذا المجال[(٢)] عن أن معظم ما يتم تعليمه من السحر يتمُّ من خلال الإنترنت ووسائل التعليم المتطورة والتكنولوجية، وذلك خوفًا من الملاحقات الأمنية، كما أشار الدكتور عبد الهادى حماد (أستاذ التاريخ الحديث) أن كنيسة الويكان في الولايات المتحدة هي الأكبر في العالم والأسرع نموًّا في تعليم السحر ونشره، مؤكدًا أن هذه الكنيسة سجلت فى الفترة الأخيرة عددًا من الطلاب وصل لربع مليون دارس على مستوى العالم، مؤكدًا أن فكر هذه الطائفة يأخذ من البوذية والهندوسية، وأنها تمارس السحر، كما تقوم بتعليمه ونشره في أنحاء العالم المختلفة، وقامت بتعليم نحو ١٠ آلاف شخص ما بين مصري وعربي وأوربي[(٣)].

٢- زيادة انتشارها لدى أكثر شعوب العالم:

تزداد ظاهرة السحر نفوذًا وانتشارًا في هذا العصر - عصر التقدم المادي - فأكثر شعوب العالم تقدمًا ماديًّا تجري فيها طقوس السحر على نطاق واسع وبطرق متنوعة كأمريكا وفرنسا وألمانيا، فما يظنه بعض الناس من أن هذا اللون من الدجل مقصور اليوم على الأمم المتخلفة، فهو غير صحيح[(٤)].

«ويقدر عدد السحرة والمشعوذين في فرنسا بحوالي ثلاثين ألفًا، ويتجاوز

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٨/ ١١١).

(٢) وهو المهندس نادر إبراهيم زينهم (مهندس اتصالات ويعمل في عالم الروحانيات).

(٣) انظر: «https//:fmisr.com/showthread.php?t=427757» بتاريخ: ٩/ ١٢/ ٢٠١٩م.

(٤) انظر: عالم السحر والشعوذة، د. عمر الأشقر (ص٥٥).

مجموع مبيعاتهم السنوية الثلاثة مليارات فرنك، مع أنه يستحيل معرفة الأرقام بدقة، لأن المادة ٤٠٥ من القانون الجزائي حظرت السحر؛ إذ نصت على عقوبات بالسجن من سنة إلى خمس سنوات بحق المشعوذين والعرافين»[(١)]، «وتحوي ألمانيا ٨٠ ألف ساحرة»[(٢)]، «وفي عام ١٩٨٨ ألقت الشرطة الفرنسية القبض في مدن عديدة وخاصة في مدينة باريس على عدد كبير من النصابين والمحتالين، كانوا يدعون السحر والتنبؤ بالمستقبل والكتابة لابتزاز الأموال»[(٣)].

وإضافة إلى ذلك فإن كثيرًا من بلدان المسلمين تنتشر فيها مظاهر السحر وأنواعه بسبب ضعف الإيمان بالله تعالى، وظهور الجهل بأحكام الشريعة، وسذاجة الكثير من المسلمين وجهلهم بحال هؤلاء السحرة المشعوذين، وتعطيل أحكام الله تعالى في هؤلاء السحرة.

٣- إنشاء الجمعيات والمعاهد وعقد المؤتمرات والندوات:

إن السحر قد واكب التطور المادي في هذا العصر، فأقيمت الجمعيات والمعاهد لتعليم السحر سواء عن طريق الانتظام أو الانتساب، كما نظمت المؤتمرات والندوات في هذا المجال[(٤)].

٤- ظهوره بأسماء وعناوين خادعة:

«الأغرب من كل شيء هو أن السواد الأعظم من هؤلاء السحرة يمارسون نشاطهم بشكل علني أو شبه علني تحت عناوين خادعة، فقسم منهم يملك مكاتب أو عيادات معروفة، والقسم الآخر يجلب الزبائن إليه عبر إعلانات مبوبة في بعض الصحف والمجلات الهامشية أو المتخصصة في مجال العلوم

---

(١) عالم السحر والشعوذة (ص٥٦-٥٧).

(٢) عالم السحر والشعوذة (ص٥٨).

(٣) عالم السحر والشعوذة (ص٦٠).

(٤) انظر: نواقض الإيمان القولية والعملية (ص٥٠١).

غير الطبيعية»[(١)].

قال د. عمر الأشقر: «وهؤلاء المشعوذون يستخدمون في أداء طقوسهم السحرية أمورًا كثيرة مثل الميدالية الملفوفة بخيط، والخرزة لجلب الحظ وللمحبة، أو لجلب الرزق، أو للتفريق بين الزوجين، كما يستخدمون الفنجان وقراءة الكف، والبخور والودع، ويطلبون من زبائنهم مطالب غريبة، فقد يطلب الواحد منهم نعجة سوداء أو خروفًا أبيض، أو ذا قرون، وقد يطلبون ذبح ديك ودفنه في المقبرة»[(٢)].

۞ سادسًا: الوقاية من السحر:

من أهم الأسباب التي يُتقَى بها السحر قبل حصوله التحصين بالأذكار الشرعية كأذكار الصباح والمساء، وأذكار دخول المنزل والخلاء والخروج منهما وعند النوم ونحو ذلك مما يقي الإنسان شر الشيطان.

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح**»[(٣)]، وصح عنه أيضًا ﷺ أنه قال: «**من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**»[(٤)]، وقال النبي ﷺ: «**من نزل منزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**»[(٥)]، ومن ذلك أن يقول المسلم في أول النهار وأول الليل ثلاث مرات: «**باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم**»[(٦)].

(١) عالم السحر والشعوذة (ص٦١).
(٢) عالم السحر والشعوذة (ص٦٨) بتصرف يسير.
(٣) أخرجه البخاري (ح٢٣١١).
(٤) أخرجه البخاري (ح٤٠٠٨)، ومسلم (ح٨٠٧).
(٥) أخرجه مسلم (ح٢٧٠٨).
(٦) أخرجه أحمد في المسند (ح٤٤٦)، وأبو داود (ح٥٠٨٨) والترمذي (ح٣٣٨٨)، وصحَّحه الألباني.

قال الشيخ ابن باز: «وهذه الأذكار والتعوذات من أعظم الأسباب في اتقاء شر السحر وغيره من الشرور لمن حافظ عليها بصدق وإيمان وثقة بالله واعتماد عليه وانشراح صدر لما دلت عليه»[(١)].

۞ سابعًا: علاج السحر:

من أهم الأسباب في علاج السحر ما يلي:

١- «القراءة؛ فإن لها أثرًا عظيمًا في إزالة السحر؛ وهو أن يقرأ على المسحور أو في إناء آية الكرسي وآيات السحر التي في سورة الأعراف، وفي سورة يونس، وفي سورة طه، ومعها سورة الكافرون، وسورة الإخلاص، والمعوذتين، ويدعو له بالشفاء والعافية»[(٢)].

٢- بذل الجهود في معرفة موضع السحر في أرض أو جبل أو غير ذلك، فإذا عرف واستخرج وأتلف بطل السحر[(٣)]، لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسولَ الله ﷺ رجلٌ من بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيَّل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: «**يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف طلع نخلة ذكر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان**» فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: «**يا عائشة، كأن ماءها نقاعة الحناء، أو كأن رؤوس نخلها رءوس الشياطين**» **قلت: يا رسول الله: أفلا استخرجته؟ قال:** «**قد عافاني الله، فكرهت أن أثور على الناس فيه شرًّا**» فأمر بها فدفنت[(٤)].

---

(١) حكم السحر والكهانة (٣/ ٢٧٧-٢٧٨)، ضمن مجموع فتاوى ابن باز.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٨/ ١٤٤). (٣) انظر: حكم السحر والكهانة (٣/ ٢٨٠).

(٤) أخرجه البخاري (ح٥٧٦٣)، ومسلم (ح٢١٨٩).

٣- الإكثار من الضراعة إلى الله، وسؤاله سبحانه أن يكشف الضرَّ ويزيل البأس[١].

٤- «ذكر ابن بطال أن في كتب وهب بن منبه: أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين، ثم يضربه بالماء، ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل[٢] ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ثم يغتسل به، فإنه يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله»[٣].



(١) انظر: حكم السحر والكهانة (٣/ ٢٧٨)، ضمن مجموع فتاوى ابن باز.

(٢) **أي:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ...﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ ...﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ...﴾.

(٣) فتح الباري (١٠/ ٢٣٣)، وانظر: مجموع فتاوى ابن باز (٢٦/ ١٦٨).



المبحث الخامس

الشعوذة

تعريفها، وصورها، والفرق بينها وبين السحر

۞ أولًا: تعريفها:

قال ابن منظور: «الشعوذة: خفة في اليد، وأَخْذٌ كالسحر يُري الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين»[(١)]، وتسمى أيضًا الشعبذة، «ومعنى الشعبذة: تخيل الخيالات الباطلة، ويتوهم لأشياء حقائق، كما يفعل المشعبذ بأخذ ثوب أحد، وتمزيقه تخييلًا، ثم ينفضه صحيحًا، فهو أحد الحيل»[(٢)].

قال أبو السعود: «وأما الشعوذة وما يجري مجراها من إظهار الأمور العجيبة بواسطة ترتيب الآلات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الأدوية والأحجار، فإطلاق السحر عليها بطريق التجوز، أو لما فيها من الدقة»[(٣)].

قال ابن الهمام الحنفي: «ولا تقبل شهادة أهل الشعبذة، وهو الذي يسمى في ديارنا دِكَاكًا؛ لأنه إما ساحر أو كذاب، أعني: الذي يأكل منها ويتخذها

---

(١) لسان العرب (٣/ ٤٩٥).

(٢) المفاتيح في شرح المصابيح (٥/ ٤١٣).

(٣) تفسير أبي السعود (١/ ١٣٧-١٣٨).

مكسبة»[١].

وقال الحافظ ابن حجر: «وأما النوع الآخر [أي: من السحر] الذي هو من باب الشعوذة، فلا يكفر به من تعلمه أصلًا»[٢].

۞ ثانيًا: صور الشعوذة:

صورها كثيرة لا حصر لها؛ لأنها تعتمد على الحيل والخداع، **ومن صورها ما يلي:**

١- دخول النار بعد دهن الجسم بمادة واقية غير مرئية، وقد استخدم هذه الحيلة فرقة البطائحية من غلاة الصوفية، كما حكى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في حكاية مناظرته لهم[٣].

٢- حمام يطير من قبعة فارغة في نظر المشاهد، لكنه في حقيقة الحال قد وضع في كمِّ قميصه الواسع حمامة.

۞ ثالثًا: الفرق بين الشعوذة والسحر:

الفرق بينهما من وجوه:

١- أن الشعوذة لا حقيقة لها، بل هي أعمال خادعة وحيل متنوعة، بخلاف السحر فإن له حقيقة.

٢- أن السحر له تأثير فيقتل ويؤذي ويمرض، بخلاف الشعوذة.

٣- أن الشعوذة تعتمد على خفة اليد والحيلة، أما السحر فيعتمد على الاستعانة بالشياطين.

٤- أن السحر كفر بخلاف الشعوذة فإنها محرمة.

٥- أن الساحر يقتل عند جماهير أهل العلم، بخلاف المشعوذ، فلا يقتل

---

(١) فتح القدير، للكمال ابن الهمام (٧/ ٤١٤).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ٢٢٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٤٥) وما بعدها.

إجماعًا، بل يعزر، قال البهوتي: «ويعزَّر من يدخل النار ونحوه ممن يعمل الشعبذة ونحوها»[١].

٦- أن الشعوذة لا تسمى سحرًا إلا بطريق التجوز، بخلاف السحر فلا يسمى شعوذة.



(١) كشاف القناع عن متن الإقناع (١٤/ ١٢٥).



المبحث السادس

النُّشرة

تعريفها وأقسامها وحكمها

۞ أولًا: تعريف النشرة:

قال ابن القيم: «النشرة: حل السحر عن المسحور»(١).

وقال ابن حجر: «النُّشرة بالضم، وهي ضرب من العلاج يعالج به من يظن أن به سحرًا أو مسًّا من الجن، قيل لها ذلك لأنه يُكشَف بها عنه ما خالطه من الداء»(٢).

۞ ثانيًا: أقسامها وحكمها:

النشرة نوعان:

الأول: حَلُّ السحر بسحر مثله، وهو محرم.

الثاني: حلُّ السحر بالرقى والأدعية المباحة، وهو جائز.

قال ابن القيم: «وهي نوعان: حل سحر بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان؛ فإن السحر من عمله، فيتقرب إليه الناشر والمنتشر بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور، والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات

(١) إعلام الموقعين (٤/ ٣٠١).

(٢) فتح الباري، ابن حجر (١٠/ ٢٣٣)، وانظر: المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٦٤).

والأدوية المباحة، فهذا جائز، بل مستحب، وعلى النوع المذموم يحمل قول الحسن: لا يحلُّ السحرَ إلا ساحر»[(١)].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «التحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه في هذه المسألة: أن استخراج السحر إن كان بالقرآن كالمعوذتين، وآية الكرسي ونحو ذلك مما تجوز الرقية به فلا مانع من ذلك، وإن كان بسحر أو بألفاظ عجمية، أو بما لا يفهم معناه، أو بنوع آخر مما لا يجوز فإنه ممنوع»[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «حَلُّ السحر عن المسحور (النشرة) الأصح فيها أنها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أن تكون بالقرآن الكريم، والأدعية الشرعية، والأدوية المباحة فهذه لا بأس بها؛ لما فيها من المصلحة وعدم المفسدة، بل ربما تكون مطلوبة؛ لأنها مصلحة بلا مضرة.

القسم الثاني: إذا كانت النشرة بشيء محرم كنقض السحر بسحر مثله، فهذا موضع خلاف بين أهل العلم: فمن العلماء من أجازه للضرورة[(٣)]، ومنهم من منعه؛ لأن النبي ﷺ سئل عن النشرة فقال: «**هي من عمل الشيطان**»[(٤)] وإسناده

---

(١) إعلام الموقعين (٤/ ٣٠١).

(٢) أضواء البيان (٤/ ٥٧)، وانظر: حكم السحر والكهانة (٣/ ٢٨٠)، ضمن مجموع فتاوى ابن باز، التحصين من كيد الشياطين (ص٩٥- ٩٦).

(٣) جاء في الروض المربع: «ويجوز الحل بسحر ضرورة» (الروض المربع، ص: ٦٨٤)، وفي كشاف القناع: «والمذهب جوازه ضرورة» (كشاف القناع ١٤/ ٢٧٦)، وقال ابن كثير: «وهل يسأل الساحر حلَّ سحره؟ فأجاز سعيد بن المسيب فيما نقله عنه البخاري، وقال عامر الشعبي: لا بأس بالنشرة، وكره ذلك الحسن البصري، وفي الصحيح عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله، هلا تنشَّرت، فقال: «**أما الله فقد شفاني، وخشيت أن أفتح على الناس شرًّا**» [أخرجه البخاري (ح٥٧٦٥)]» (تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ح١٤١٣٥)، وأبو داود (ح٣٨٦٨)، وصححه الحاكم ووافقه=

جيد رواه أبو داود، وعلى هذا يكون حل السحر بالسحر محرمًا، وعلى المرء أن يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والتضرع لإزالة ضرره، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ويقول الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]»[(١)].



= الذهبي (٤/ ٤٦٤)، وقال الهيثمي: «رواه البزار، والطبراني في الأوسط... ورجال البزار رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ٥/ ١٠٢).

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ١٧٧).



المبحث السابع

الكهانة

تعريفها وحكمها

۞ أولًا: تعريف الكهانة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الكهانة... الإخبار ببعض الغائبات عن الجن»[(١)]، يعني: بواسطة الجن.

والكاهن: هو الذي يدعي مطالعة عالم الغيب، ويُخبر الناس عن الكوائن[(٢)].

ويطلق اسم الكاهن على العراف والذي يضرب الحصى والمنجم[(٣)].

والعرَّاف: صيغة مبالغة من العارف، أو نسبة؛ أي: من ينتسب إلى العرافة[(٤)].

وبعض العلماء يفرق بينهما، فيقول بأن الكاهن يخبر عمَّا يكون في المستقبل، والعراف هو الذي يكتشف بعض ما يقع في الماضي، كالدلالة على المسروق أو مكان الضالة. قال الإمام البغوي: «الكاهن: هو الذي يخبر

---

(١) النبوات (١/ ١٦٦).

(٢) انظر: معالم السنن (٤/ ٢٢٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٣-١٩٤).

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٣٢).

عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار، ومطالعة علم الغيب، وكان في العرب كهنة يدعون معرفة الأمور، فمنهم من كان يزعم أن له رئيسًا من الجن، وتابعة تلقي إليه الأخبار، ومنهم من كان يدعي أنه يستدرك الأمور بفهم أعطيه، والعرَّاف هو الذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها، كالمسروق من الذي سرقها، ومعرفة مكان الضالة، وتتهم المرأة بالزنا، فيقول: من صاحبها؟ ونحو ذلك من الأمور، ومنهم من يسمي المنجِّم كاهنًا»[(١)].

أما الفرق بين الساحر والكاهن، فإن الكاهن يخبر بالمغيبات بزعمه، والساحر يفعل، قال الإمام أحمد: «الكاهن يدعي الغيب، والساحر يعقد ويفعل كذا»[(٢)]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الكاهن إنما عنده أخبار، والساحر عنده تصرف؛ بقتل، وإمراض، وغير ذلك»[(٣)].

۞ ثانيًا: حكم سؤال الكاهن:

سؤال العراف أو الكاهن ونحوهما ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: أن يسأله عن شيء وإن لم يصدقه فيما يقول فهذا حرام؛ لحديث صفية، عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»[(٤)]، فإثبات العقوبة على سؤاله يدل على تحريمه؛ إذ لا عقوبة إلا على فعل محرم.

القسم الثاني: أن يسأله فيصدقه، فهذا كفر؛ لحديث أبي هريرة، والحسن، عن النبي ﷺ قال: «**من أتى كاهنًا، أو عرافًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**»[(٥)]، ولأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن، حيث قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

---

(١) شرح السنة (١٢/ ١٨٢).
(٢) أحكام أهل الملل للخلال (ص٢٠٨).
(٣) النبوات (٢/ ١٠٤٥).
(٤) أخرجه مسلم (ح٢٢٣٠).
(٥) أخرجه أحمد في المسند (ح٩٥٣٦)، وإسناده صحيح (انظر: صحيح الجامع برقم ٥٩٣٩).

القسم الثالث: أن يسأله ليظهر عجزه وكذبه، فهذا مطلوب، وقد يكون واجبًا، ولا يدخل في النهي بحالٍ، كما يدل على ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ لابن صائد: «**قد خبأت لك خبيئًا، فما هو؟**» قال: الدخ، قال: «**اخسأ**»[1][2].

قال الإمام النووي: «والصحيح المشهور أنه ﷺ أضمر له آية الدخان، وهي قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ [الدخان: ١٠]، قال القاضي: وأصح الأقوال أنه لم يهتد من الآية التي أضمر النبي ﷺ إلا لهذا اللفظ الناقص على عادة الكهان إذا ألقى الشيطان إليهم بقدر ما يخطف قبل أن يدركه الشهاب»[3].



(١) أخرجه البخاري (ح٦١٧٢).
(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٣٣-٥٣٤).
(٣) شرح النووي على مسلم (١٨/ ٤٩).



المبحث الثامن

التنجيم

تعريفه وأنواعه وأحكامه

۞ أولًا: معنى التنجيم:

التنجيم: لغة: النظر في النجوم[(١)]، قال الزمخشري: «نجَّم فلان تنجيمًا: قضى في النجوم»[(٢)]؛ أي: حكم في الحوادث والقضايا بما يدعيه من علم التنجيم.

وأما اصطلاحًا، فهو: «الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية»[(٣)].

۞ ثانيًا: أنواع التنجيم وأحكامه:

علم التنجيم نوعان:

١- مباح، وتعلمه مستحب، ويسمى علم التسيير.

٢- محظور، وتعلمه محرم، ويسمى علم التأثير.

---

(١) جمهرة اللغة (١/ ٤٩٥).

(٢) أساس البلاغة (٢/ ٢٥٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٢)، وانظر في تعريفه أيضًا: معالم السنن (٤/ ٢٢٩)، شرح السنة (١٢/ ١٨٣).

وقد ذكر هذا التقسيم غير واحد من أهل العلم كالخطابي[١]، والخطيب البغدادي[٢]، والبغوي[٣].

قال ابن رجب: «علم تأثير النجوم باطل محرم، والعمل بمقتضاه كالتقرب إلى النجوم وتقريب القرابين لها كفر، وأما علم التسيير فإذا تعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق كان جائزًا عند الجمهور»[٤].

وقال الشيخ السعدي: «**التنجيم نوعان:**

نوع يسمى علم التأثير: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية، فهذا باطل ودعوى لمشاركة الله في علم الغيب الذي انفرد به، أو تصديق لمن ادعى ذلك، وهذا ينافي التوحيد؛ لما فيه من هذه الدعوى الباطلة، ولما فيه من تعلق القلب بغير الله، ولما فيه من فساد العقل لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان.

النوع الثاني: علم التسيير: وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات، فهذا النوع لا بأس به، بل كثير منه نافع قد حث عليه الشارع، إذا كان وسيلة إلى معرفة أوقات العبادات، أو إلى الاهتداء به في الجهات. فيجب التفريق بين ما نهى عنه الشارع وحرمه، وبين ما أباحه أو استحبه أو أوجبه، فالأول هو المنافي للتوحيد دون الثاني»[٥].

۞ ثالثًا: صور التنجيم المعاصرة:

حقيقة التنجيم واحدة في الماضي والحاضر، ولا اختلاف إلا في الوسائل، حيث يتم نشر التنجيم والدعاية له في العصر الحاضر عبر وسائل مختلفة

(١) انظر: معالم السنن، للخطابي (٤/ ٢٢٩-٢٣٠).
(٢) انظر: القول في النجوم (ص١٢٦، ١٦٩).
(٣) انظر: شرح السنة (١٢/ ١٨٣).
(٤) بيان فضل علم السلف على علم الخلف (ص٤٧).
(٥) القول السديد (ص١٠٨)، وانظر: تيسير العزيز الحميد (ص٣٧٨-٣٧٩، ٣٨٤).

وأساليب متنوعة، **ومنها:**

١- نشر التنجيم عبر المجلات والصحف، تحت عنوان: الأبراج، أو الحظ والأبراج، أو حظك والنجوم، أو حظك من السماء، أو نحو هذه العناوين.

٢- تأليف الكتب ونشرها، وقد تخصصت بعض دور النشر بطباعة هذا الدجل.

٣- إنشاء معاهد لتعليم هذه الخرافات، وتنتشر الآن في كثير من أنحاء العالم؛ معاهد تتيح للباحث دراسات في كيفية صناعة التنجيم.

٤- إنشاء اتحاد للمنجمين، فقد أنشئ في العالم أكثر من اتحاد للمنجمين، ولكن أشهرها وأوسعها صيتًا هو الاتحاد العالمي للفلكيين الروحانيين في فرنسا[(١)].



(١) للتوسع انظر: التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام، عبد المجيد المشعبي (ص١٣٥) وما بعدها.



المبحث التاسع

المراد بالجن وحكم الإيمان بوجودهم وأصل خلقهم وصفاتهم

وجوانب ضعفهم وأصنافهم والفرق بينهم وبين الشياطين وطرق الاحتراز منهم

۞ أولًا: المراد بالجن:

قال ابن فارس: «الجيم والنون أصل واحد، وهو **الستر والتستر**»[(١)].

والجن عالم غير عالم الإنسان سموا بذلك؛ لاجتنانهم عن الأبصار، أي: استتارهم، ولأنهم استجنوا من الناس فلا يُرَون، والجمع جِنَان، والجِنِّيُّ منسوبٌ إلى الجِنِّ أَو الجِنَّةِ[(٢)].

أما الجن اصطلاحًا فقد اختلفت عبارات أهل العلم في تعريفهم، قال ابن حزم: «هم أجسام رقاق صافية هوائية، لا ألوان لها، وعنصرهم النار»[(٣)].

وقال الرازي: «أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، ولها عقول وأفهام وقدرة على أعمال صعبة شاقة»[(٤)].

(١) مقاييس اللغة (١/ ٤٢١).
(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور (١/ ٧٠٣).
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ٩)، وانظر: تفسير ابن فورك (٣/ ٥٨).
(٤) تفسير الرازي (١/ ٧٩).

وقال البيضاوي: «الجن أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية»[(١)].

وقال الخازن: «اختلفوا في ماهيتهم، فقيل: الجن حيوان هوائي يتشكل بأشكال مختلفة»[(٢)].

وقال أبو حيان: «هم أجسام لطيفة معلوم من هذه الشريعة وجودهم»[(٣)].

وهذه التعاريف تدور على ذكر شيء من أوصافهم، والحق أنه لا يعلم كيفيتهم إلا الله تعالى، ولذا لا يُعْلم تعريف دقيق لهم سوى ما جاءت به نصوص القرآن والسنة من أنهم عالم غير عالم الإنسان خلقهم الله من نار، وعقلاء مكلفون، وأعطاهم الله قدرة على التشكل في صور مختلفة.

۞ ثانيًا: حكم الإيمان بوجود الجن:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجود الجن ثابت بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، واتفاق سلف الأمة وأئمتها»[(٤)].

❊ أما الكتاب، فقد جاء ذكر الجن في كثير من آيات القرآن، منها قوله تعالى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢﴾ [الجن: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، وغيرها من الآيات.

❊ وكذلك وردت السنة النبوية بذكر الجن في أحاديث كثيرة، منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن عفريتًا من الجن تفلَّت عليَّ البارحة** -أو كلمة نحوها- **ليقطع عليَّ الصلاة، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي**

---

(١) تفسير البيضاوي (٥/ ٢٥١).

(٢) تفسير الخازن (٤/ ٣٤٨).

(٣) البحر المحيط (٥/ ٣٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٧٦).

سليمان: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص: ٣٥]»[١].

❋ وأما الإجماع، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، ولا في أن الله أرسل محمدًا ﷺ إليهم... وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواترًا معلومًا بالاضطرار، ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة، بل مأمورون منهيون، ليسوا صفاتٍ وأعراضًا قائمةً بالإنسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة، فلما كان أمر الجن متواترًا عن الأنبياء تواترًا ظاهرًا تعرفه العامة والخاصة لم يمكن طائفة كبيرة من الطوائف المؤمنين بالرسل أن تنكرهم»[٢].

۞ ثالثًا: أصل خلق الجن:

خلق الجن من نار، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر: ٢٦، ٢٧]؛ «أي: من النار الشديدة الحرارة»[٣]، وقال ابن عباس: «الجانُّ خلق من لهب النار»[٤].

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن: ١٥].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»[٥].

قال الإمام النووي: «الجانُّ: الجن، والمارج: اللهب المختلط بسواد النار»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٦١)، ومسلم (ح٥٤١).
(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٠).
(٣) تفسير السعدي (ص٤٣١).
(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٣).
(٥) أخرجه مسلم (ح٢٩٩٦).
(٦) شرح النووي على مسلم (١٨/ ١٢٣-١٢٤).

وكان خلق الجن قبل خلق الإنس، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ قال: «وهو إبليس، خلق قبل آدم، وإنما خلق آدم آخر الخلق»(١).

۞ رابعًا: صفات الجن:

للجن صفات كثيرة وردت في الكتاب والسنة، ومن أهمها ما يلي:

١- أنهم يتشكلون في صور مختلفة:

للجن قدرة على التشكل في صور وأشكال مختلفة، منها:

أ) أنهم يتصورون أحيانًا في صورة إنسان، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج، وعليَّ عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي ﷺ: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة**»، قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة، وعيالًا، فرحمته، فخليت سبيله، قال: «**أما إنه قد كذبك، وسيعود**»، فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعليَّ عيال، لا أعود، فرحمته، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك**»، قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة، وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله، قال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**»، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات، أنك تزعم لا تعود، ثم تعود. قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٦٣).

من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة**»، قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله، قال: «**ما هي؟**»، قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال النبي ﷺ: «**أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة**»، قال: لا، قال: «**ذاك شيطان**»(١).

قال ابن هبيرة: «فيه إثبات وجود الجن، وأنهم يتصورون في الصور الكثيرة»(٢).

وقال الحافظ ابن حجر في ذكر فوائد الحديث: «إنه [يعني الشيطان] قد يتصور ببعض الصور فتمكن رؤيته، وأن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾ [الأعراف: ٢٧]؛ مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق عليها... وأن الجن يأكلون من طعام الإنس وأنهم يظهرون للإنس لكن بالشرط المذكور(٣)، وأنهم يتكلمون بكلام الإنس، وأنهم يسرقون ويخدعون»(٤).

ب) وقد يتصورون في صورة حيوان من بعير أو حمار أو كلب أو قط أسود أو حية ونحو ذلك، فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قام أحدكم يصلي، فإنه يستره إذا كان بين يديه مثلُ آخرة الرحل، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل، فإنه يقطع صلاتَه الحمارُ، والمرأةُ، والكلبُ الأسود**» قلت: يا أبا ذر، ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ قال:

---

(١) أخرجه البخاري (ح٢٣١١).
(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ٧).
(٣) يعني بتشكلهم في غير صورهم الحقيقية التي خلقوا عليها.
(٤) فتح الباري لابن حجر (٤/ ٤٨٩).

يا بن أخي، سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال: «**الكلب الأسود شيطان**»[(١)].

وعن نافع قال: كان عبد الله بن عمر يومًا عند هدم له، فرأى وبيص جان فقال: اتبعوا هذا الجان فاقتلوه، قال أبو لبابة الأنصاري: إني سمعت رسول الله ﷺ «نهى عن قتل الجِنَّان التي تكون في البيوت، إلا الأَبْتَر وذا الطُّفْيَتين، فإنهما اللذان يخطفان البصر، ويتتبعان ما في بطون النساء»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الجن يتصورون في صور الإنس والبهائم، فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها، وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير، وفي صور الطير، وفي صور بني آدم»[(٣)].

٢- أنهم يرون الإنس، والإنس لا يرونهم في صورهم الحقيقية:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وعن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَتْرُ ما بين أعين الجِنِّ وعورات بني آدم إذا دخل أحدهم الخلاء، أن يقول: باسم الله**»[(٤)].

أما رؤية الإنس للجن، فيروى عن الإمام الشافعي أنه قال: «من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته، يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]»[(٥)].

ولعل الشافعي يعني: من زعم أنه رآهم في صورهم التي خلقوا عليها، وإلا فلا ريب في رؤية الإنس لهم في صورهم التي يتشكلون؛ بها كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة، ولهذا قال الحافظ ابن حجر: «وهذا محمول على من يدعي رؤيتهم على صورهم التي خلقوا عليها، وأما من ادَّعى أنه يرى شيئًا منهم بعد أن يتصوَّر على صور شتى من الحيوان فلا يقدح فيه، وقد تواردت

---

(١) أخرجه مسلم (ح٥١٠).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٢٣٣).
(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ٤٤).
(٤) أخرجه الترمذي (ح٦٠٦)، وابن ماجه (ح٢٩٧)، وصححه الألباني (إرواء الغليل ح٥٠).
(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١٤١)، مناقب الشافعي، للآبري (ص٩١).

الأخبار بتصورهم في الصور»[(١)].

٣- أنهم يأكلون ويشربون:

سبق في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن**» قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال: «**لكم كل عظم ذُكِر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم**»، فقال رسول الله ﷺ: «**فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم**»[(٢)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه؛ فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله**»[(٣)].

٤- أنهم يتناكحون ويتناسلون:

قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ [الكهف: ٥٠].

قال الحسن البصري: «هم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم»[(٤)].

روى مجالد عن الشعبي قال: إني لقاعد يوما إذ أقبل رجل فقال: أخبرني هل لإبليس زوجة؟ قلت: إن ذلك العرس ما شهدته، ثم ذكرت قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ فعلمت أنه لا تكون الذرية إلا من الزوجة، فقلت: نعم[(٥)].

وقال الألوسي: «الظاهر أن المراد من الذرية الأولاد، فتكون الآية دالة على أن له أولادًا، وبذلك قال جماعة»[(٦)].

---

(١) فتح الباري (٦/ ٣٤٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٠٢٠).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٥٤٠).

(٥) تفسير البغوي (٥/ ١٧٩).

(٦) تفسير الألوسي (٨/ ٢٧٨).

٥- أن لهم قدراتٍ وأعمالًا خارقة للعادة:

منها: سرعة الحركة والانتقال، كما يدل عليه قوله سبحانه: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٌ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾﴾ [النمل: ٣٩].

ومنها: الصعود إلى السماء، قال جل وعلا: ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ﴿٩﴾﴾ [الجن: ٨، ٩].

ومنها: علمهم بالصناعات، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٢، ١٣].

ومنها: قدرتهم على الوسوسة لبني آدم وإغوائهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وعن صفية بنت حيي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم**»(١).

٦- أنهم مكلفون:

قال تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ

(١) أخرجه البخاري (ح٢٠٣٨)، ومسلم (ح٢١٧٥).

طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣١].

قال القرطبي: «الجن مخاطبون مكلفون مأمورون منهيون مثابون معاقبون كالإنس سواء، مؤمنهم كمؤمنهم، وكافرهم ككافرهم، لا فرق بيننا وبينهم في شيء من ذلك»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هم [أي: الجن] مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم؛ فإنهم ليسوا مماثلي الإنس في الحد والحقيقة، فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساويًا لما على الإنس في الحد، لكنهم مشاركون الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي والتحليل والتحريم، وهذا ما لم أعلم فيه نزاعًا بين المسلمين»[(٢)].

۞ خامسًا: جوانب ضعف الجن:

يظهر ضعف الجن وعجزهم من خلال ما يلي:

١- ما أخبرنا الله به جل وعلا من ضعف كيدهم، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، «أي: مكره ومكر من اتبعه»[(٣)]، «فالشيطان وإن بلغ مكره مهما بلغ فإنه في غاية الضعف»[(٤)].

٢- ما جاء في السنة من أنه يضعف ويخنس إذا ذكر العبد ربه، فعن أبي المليح، عن رجل، قال: كنت رديف النبي ﷺ، فعثرت دابة، فقلت: تَعِس الشيطان، فقال: «**لا تقل: تعس الشيطان، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت، ويقول: بقوتي، ولكن قل: باسم الله، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب**»[(٥)]، وأنه يهرب من البيت الذي تقرأ فيه «سورة البقرة»، فعن

(١) تفسير القرطبي (١٧/ ١٦٩).
(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٣٣).
(٣) تفسير القرطبي (٥/ ٢٨٠).
(٤) تفسير السعدي (ص١٨٧).
(٥) أخرجه أحمد في المسند (٣٤/ ١٩٨)، وأبو داود (ح٤٩٨٢)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٧٤٠١).

أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**»(١)، وأنه لا يستطيع فتح باب مغلق ذكر اسم الله عليه، فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا كان جُنْح الليل، أو أمسيتم، فكفُّوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعةٌ من الليل فحلُّوهم، فأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا، وأَوْكُوا قِرَبَكم واذكروا اسم الله، وخمِّروا آنيتكم واذكروا اسم الله، ولو أن تَعرُضُوا عليها شيئًا، وأطفئوا مصابيحكم**»(٢)، قال النووي: «هذا الحديث فيه جمل من أنواع الخير والآداب الجامعة لمصالح الآخرة والدنيا، فأمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الآداب التي هي سبب للسلامة من إيذاء الشيطان، وجعل الله عَزَّ وَجَلَّ هذه الأسباب أسبابًا للسلامة من إيذائه فلا يقدر على كشف إناء، ولا حل سقاء، ولا فتح باب، ولا إيذاء صبي وغيره إذا وجدت هذه الأسباب»(٣).

٣- أنه ليس له سلطان إلا على من اتبعه من الغاوين، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: ٤٢]، قال ابن كثير: «أي: الذين قدرت لهم الهداية، فلا سبيل لك عليهم، ولا وصول لك إليهم»(٤)، وقد اعترف الشيطان بذلك، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠].

٤- خوف الشيطان من عباد الله الصالحين، كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**والذي نفسي بيده، ما لقيكَ الشيطان قط سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجِّك**»(٥)، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن المؤمن ليُنْضي شياطينَه، كما يُنْضي أحدكم بعيره في السفر**»(٦)، قال المناوي: «أي:

---

(١) أخرجه مسلم (ح٧٨٠).
(٢) أخرجه البخاري (ح٥٦٢٣)، ومسلم (ح٢٠١٢).
(٣) شرح النووي على مسلم (١٣/ ١٨٥). (٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٥).
(٥) أخرجه البخاري (ح٣٢٩٤)، ومسلم (ح٢٣٩٦).
(٦) أخرجه أحمد في المسند (١٤/ ٥٠٤)، وحسنه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٣٥٨٦).

يُهزله ويجعله نضوًا؛ أي: مهزولًا؛ لكثرة إذلاله له وجعله أسيرًا تحت قهره وتصرفه، ومن أعز سلطان الله أعزه الله، وسلطه على عدوه، وحكم عكسه عكس حكمه»[(١)].

٥- الشيطان لا يستطيع التمثل في صورة النبي ﷺ في الرؤيا: فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي**»[(٢)]، قال الحافظ ابن حجر: «يشير إلى أن الله تعالى وإن أمكنه من التصور في أي صورة أراد، فإنه لم يمكنه من التصور في صورة النبي ﷺ»[(٣)].

٦- لهم حدود معينة لا يستطيعون تجاوزها، قال تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ [الرحمن: ٣٣ - ٣٥]، قال ابن جزي: «أي: لا تقدرون على النفوذ إلا بقوة، وليس لكم قوة»[(٤)].

سادسًا: أصناف الجن:

الجن أصناف مختلفة من حيث تشكلهم وقدرتهم وأماكنهم وأديانهم ومذاهبهم وصلاحهم وفسادهم، **ويتبين ذلك فيما يلي:**

١- الجن من حيث تشكلهم على ثلاثة أصناف، فعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الجنُّ ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيَّات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون**»[(٥)].

---

(١) فيض القدير (٢/ ٣٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (ح١١٠)، ومسلم (ح٢٢٦٦).

(٣) فتح الباري (١٢/ ٣٨٦).

(٤) تفسير ابن جزي (٢/ ٣٢٩).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٥)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: «رجاله وُثِّقوا، وفي بعضهم خلاف» (مجمع الزوائد ٨/ ١٣٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٣١١٤).

٢- ومن حيث قدرتهم، فإن فيهم الضعفاء وفيهم الأقوياء، قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٣٩، ٤٠]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إن عفريتًا من الجن تَفَلَّت عليَّ البارحة** -أو كلمة نحوها- **ليقطع عليَّ الصلاة، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان:** ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ﴾ [ص: ٣٥]»[(١)].

٣- ومن حيث مواطنهم؛ فإنهم ينتسبون إلى أماكن ومواطن مختلفة، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يحمل مع النبي ﷺ إِدَاوَةً لِوَضُوئه وحاجته، فبينما هو يتبعه بها، فقال: «**من هذا؟**» فقال: أنا أبو هريرة، فقال: «**ابغني أحجارًا أستنفض بها، ولا تأتني بعظم ولا بروثة**». فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي، حتى وضعتها إلى جنبه، ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيت، فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال: «**هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبين**[(٢)]**، ونعم الجن، فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم ألا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعامًا**»[(٣)].

٤- ومن حيث دياناتهم وفرقهم؛ فإن فيهم المؤمن والكافر والصالح والفاسد والسني والبدعي، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن: ١١]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أي: على مذاهب شتى

(١) سبق تخريجه.

(٢) «هي مدينة بالشام مباركة وجنها سادات الجن وأكثر عددًا... وحكي أنهم من نصيبين قرية باليمن غير التي في العراق، وقيل: إنهم من نينوى وأن جن نصيبين أتوه بعد ذلك بمكة» (بهجة المحافل وبغية الأماثل ليحيى العامري ١/ ١٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح٣٨٦٠).

كما قال العلماء، منهم المسلم والمشرك والنصراني والسني والبدعي»[(١)]،
وقال القرطبي: «المعنى: أي: لم يكن كل الجن كفارًا، بل كانوا مختلفين، منهم كفار، ومنهم مؤمنون صلحاء، ومنهم مؤمنون غير صلحاء، وقال المسيب: كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوسًا، وقال السدي في قوله تعالى: ﴿طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ قال: في الجن مثلكم؛ قدرية، ومرجئة، وخوارج، ورافضة، وشيعة، وسنية»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن: ١٤، ١٥]، قال ابن القيم: «قد تضمنت هذه الآيات انقسامهم إلى ثلاث طبقات: صالحين، ودون الصالحين، وكفار، وهذه الطبقات بإزاء طبقات بني آدم؛ فإنها ثلاثة: أبرار، ومقتصدون، وكفار، فالصالحون بإزاء الأبرار، ومن دونهم بإزاء المقتصدين، والقاسطون بإزاء الكفار... ولما كان الإنس أكمل من الجن وأتم عقولًا ازدادوا عليهم بثلاثة أصناف أخر ليس شيء منها للجن، وهم: الرسل، والأنبياء، والمقربون، فليس في الجن صنف من هؤلاء»[(٣)].

۞ سابعًا: الفرق بين الجن والشياطين:

الفرق بين الجن والشياطين من وجهين:

الوجه الأول: أن لفظ (الجن) يشمل المؤمن والكافر منهم، بخلاف لفظ (الشيطان) فإنه مختص بالكافر، ذكر الحافظ ابن حجر أن الجن والشياطين اسمان «لمسمى واحد، وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان، فلا يقال لمن آمن منهم: إنه شيطان»[(٤)]، وقال ابن عقيل: «الشياطين العصاة من الجن، وهم ولد إبليس، والمردة أعتاهم وأغواهم، وهم أعوان إبليس ينفذون

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٠٥).
(٢) تفسير القرطبي (١٩/ ١٥).
(٣) طريق الهجرتين (ص٤١٥-٤١٦).
(٤) فتح الباري (٨/ ٦٧٥).

بين يديه في الإغواء كأعوان الشياطين»[(١)].

الوجه الثاني: أن الشياطين يكونون من الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢]، أما اسم الجن فمختص بهم، قال الحافظ ابن كثير: «الشيطان مشتق من البُعْد -على الصحيح؛ ولهذا يسمُّون كل ما تمرد من جني وإنسي وحيوان: شيطانًا»[(٢)].

وقال ابن رسلان: «العاصي يقال له في اللغة: شيطان؛ سواء كان من الجن أو الإنس؛ إذ العرب في لغتها توقع اسم الشيطنة على العصاة من أولاد آدم كما توقع مثله في العصاة من الجن، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾»[(٣)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: الشياطين يكونون من الجن والإنس؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾، بل يكون الشيطان من غير العقلاء؛ كما قال النبي ﷺ: «**الكلب الأسود شيطان**»[(٤)]، وأما الجن فإنهم من ذرية إبليس، كما قال تعالى ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]»[(٥)].

❊ ❊ ❊

---

(١) آكام المرجان في أحكام الجان (ص٢٣-٢٤).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١١٥)، وانظر: تفسير الرازي (١٩/ ١٣٨)، لسان العرب (١٣/ ٢٣٧)، المصباح المنير (١/ ٣١٣).

(٣) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (٤/ ٢٧٩)، وانظر: مجموع فتاوى ابن باز (٩/ ٣٧٠).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين، على هذا الرابط:
https//:binothaimeen.net/content/11625.

۞ ثامنًا: طرق الاحتراز منهم:

١- الإخلاص لله:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

قال الإمام الواحدي: «قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ أي: الذين أخلصوا دينهم وعبادتهم لك عن كل شائب يناقض الإيمان والتوحيد»(١).

وقال الإمام الطبري: «﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٤٠]، يقول: إلا من أخلصته بتوفيقك فهديته، فإن ذلك ممن لا سلطان لي عليه، ولا طاقة لي به، وقد قرئ: «إلَّا عِبَادَك مِنْهُمُ المُخْلِصِين»، فمن قرأ ذلك كذلك، فإنه يعني به: إلا من أخلص طاعتك، فإنه لا سبيل لي عليه»(٢).

٢- قراءة القرآن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**»(٣).

وسبق حديث أبي هريرة وقول الشيطان له: «إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح»، وتصديق النبي ﷺ له(٤).

وعن عائشة: أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم

---

(١) التفسير البسيط (١٢/ ٦٠٦).

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٦٨).

(٣) أخرجه مسلم (ح٧٨٠).

(٤) سبق تخريجه.

نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ...﴾ [سورة الإخلاص] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ ...﴾ [سورة الفلق] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ...﴾ [سورة الناس]، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات[١].

٣- ذِكْر الله تعالى:

عن أبي المليح، عن رجل، قال: كنت رديف النبي ﷺ، فعثرت دابة، فقلت: تَعِس الشيطان، فقال: «**لا تقل: تَعِس الشيطان، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت، ويقول: بقوتي، ولكن قل: باسم الله، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة؛ عليك ليلٌ طويلٌ فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»[٣].

٤- الاستعاذة بالله:

وقد ورد الحث على الاستعاذة بالله في مواضع، منها:

عند تلاوة القرآن: قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل: ٩٨].

عند وسوسة الشيطان وإغوائه: قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾ [فصلت: ٣٦].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٥٠١٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (ح١١٤٢)، ومسلم (ح٧٧٦).

عند وسوسة الشيطان بالشبهات والشكوك: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله ﷺ: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**»[(١)].

عند الوسوسة في الصلاة: عن عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليَّ، فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك شيطان يقال له: خنزب**[(٢)]**، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفُل على يسارك ثلاثًا**» قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني[(٣)].

عند الغضب: عن سليمان بن صُرَدٍ، قال: كنت جالسًا مع النبي ﷺ ورجلان يستبَّان، فأحدهما احمر وجهه، وانتفخت أَوْداجه، فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان، ذهب عنه ما يجد**» فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: تعوذ بالله من الشيطان، فقال: وهل بي جنون؟![(٤)].

عند دخول الخلاء: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»[(٥)]، **والمراد:** ذكران الشياطين وإناثهم[(٦)].

عند رؤية ما يكره في النوم: عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**الرؤيا الصالحة من الله، والحُلْم من الشيطان، فإذا حَلَم أحدكم حُلْمًا يخافه؛ فليبصق عن يساره، وليتعوذ بالله من شرها، فإنها لا تضره**»[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٢٧٦)، ومسلم (ح١٣٤).

(٢) ضبطوه بفتح الخاء والزاي وكسرهما وضم الخاء وفتح الزاي. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٩٠).

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٢٠٣).

(٤) أخرجه البخاري (ح٣٢٨٢)، ومسلم (ح٢٦١٠).

(٥) أخرجه البخاري (ح٦٣٢٢)، ومسلم (ح٣٧٥). (٦) انظر: فتح الباري (١/ ٢٤٣).

(٧) أخرجه البخاري (ح٣٢٩٢).

عند نزول دار أو منزل: عن خولة بنت حكيم السلمية، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من نزل منزلًا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء، حتى يرتحل من منزله ذلك**»(١).

تعويذ الأهل والأبناء: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين، ويقول: «**إن أباكما كان يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة**»(٢).

٥- لزوم جماعة المسلمين:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال: «**أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يُستحلف، ويشهد الشاهد ولا يُستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بُحْبُوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن**»(٣).



(١) أخرجه مسلم (ح٢٧٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (ح٣٣٧١).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٦٨-٢٦٩)، الترمذي (ح٢١٦٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح» (مسند أحمد ١/ ٢١٥).



المبحث العاشر

تلبس الجن بالإنس

المراد به ومناقشة منكريه

۞ أولًا: المراد بتلبس الجن بالإنس:

هو دخول الجني بدن الإنسي وتأثيره عليه بدنيًّا أو عقليًّا أو نفسيًّا.

۞ ثانيًا: مناقشة منكري تلبس الجن بالإنس:

ذهب المعتزلة ومن وافقهم إلى إنكار تلبس الجن بالإنس ودخول الجني بدن الإنسي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أنكر طائفة من المعتزلة... دخول الجن في بدن المصروع، ولم ينكروا وجود الجن؛ إذ لم يكن ظهور هذا في المنقول عن الرسول كظهور هذا، وإن كانوا مخطئين في ذلك»[(١)].

وتأولوا ما ورد في ذلك من الآيات على الوسوسة والإغواء، قال القاضي عبد الجبار: «وربما قيل: إن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] كيف يصح ذلك، وعندكم أن الشيطان لا يقدر على مثل ذلك؟

وجوابنا: إن مس الشيطان إنما هو بالوسوسة، كما قال تعالى في قصة أيوب: ﴿مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، كما يقال فيمن تفكر في شيء

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٢).

يغمه: قد مسه التعب، وبين ذلك قوله في صفة الشيطان: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢]، ولو كان يقدر على أن يخبط لصرف همته إلى العلماء والزهاد وأهل العقول، لا إلى من يعتريه الضعف، وإذا وسوس ضعف قلب من يخصه بالوسوسة، فتغلب عليه المِرّة فيتخبط، كما يتفق ذلك في كثير من الإنس إذا فعلوا ذلك بغيرهم»(١).

«والآية التي ذكروها في معرض الاستدلال على مُدَّعاهم لا تدل عليه؛ إذ السلطان المنفي فيها إنما هو القهر والإلجاء إلى متابعته، لا التعرض للإيذاء والتصدي لما يحصل بسببه الهلاك»(٢).

وذهب أهل السنة والجماعة إلى ثبوته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة»(٣).

وقد دل عليه من القرآن قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، قال الإمام ابن حزم: «فذكر عز وجل تأثير الشيطان في المصروع إنما هو بالمماسة»(٤)، وقال القرطبي: «في هذه الآية دليل على فساد إنكار من أنكر الصرع من جهة الجن، وزعم أنه من فعل الطبائع، وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس»(٥)، وقال الألوسي: «اعتقاد السلف وأهل السنة أن ما دلت عليه [يعني آية البقرة] أمور حقيقية واقعة كما أخبر الشرع عنها، والتزام تأويلها كلها يستلزم خبطًا طويلًا لا يميل إليه إلا المعتزلة ومن حذا حذوهم، وبذلك ونحوه خرجوا عن قواعد الشرع القويم، فاحذرهم قاتلهم الله أنَّى يؤفكون»(٦).

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن (ص٥٤)، وانظر: مقالات الإسلاميين (ص٤٣٤-٤٣٥).
(٢) روح المعاني (٢/ ٤٨).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٧٦).
(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ١٠).
(٥) تفسير القرطبي (٣/ ٣٥٥).
(٦) روح المعاني (٢/ ٤٨).

كما دل على ذلك كثير من الأحاديث، منها: حديث عثمان بن أبي العاص قال: لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي، فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله ﷺ فقال: «**ابن أبي العاص؟**» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «**ما جاء بك؟**» قلت: يا رسول الله، عرض لي شيء في صلواتي حتى ما أدري ما أصلي، قال: «**ذاك الشيطان، ادنه**» فدنوت منه، فجلست على صدور قدمي، قال: فضرب صدري بيده، وتفل في فمي وقال: «**اخرج عدو الله**» ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم قال: «**الحَقْ بعملك**» قال: فقال عثمان: «فلعمري ما أحسبه خالطني بعد»[(١)].

قال الشيخ الألباني: «وفي الحديث دلالة صريحة على أن الشيطان قد يتلبس الإنسان، ويدخل فيه ولو كان مؤمنًا صالحًا، وفي ذلك أحاديث كثيرة»[(٢)].

وعن يعلى بن مرة، عن أبيه، أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ معها صبي لها به لَمَمٌ، فقال النبي ﷺ: «**اخرج عدو الله، أنا رسول الله**» قال: فبرئ، فأهدت إليه كبشين، وشيئًا من أقِط، وشيئًا من سمن، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**خذ الأقِط والسمن وأحد الكبشين، ورُدَّ عليها الآخر**»[(٣)].

وعن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**» فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله لي

(١) أخرجه ابن ماجه (ح٣٥٤٨)، وقال البوصيري: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» (مصباح الزجاجة ٤/ ٨٠)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٢٩١٨).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/ ١٠٠٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٩/ ٩٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٧٤) وصححه، وقال الهيثمي: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ٩/ ٦).

ألا أتكشف، فدعا لها[(١)].

قال الحافظ ابن حجر بعد أن جمع طرق الحديث ورواياته: «وقد يؤخذ من الطرق التي أوردتها أن الذي كان بأم زفر كان من صرع الجن، لا من صرع الخلط»[(٢)].

وقال أبوسلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، من همزه ونفثه ونفخه**»، قال: وكان رسول الله ﷺ يقول: «**تعوذوا بالله من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه**» قالوا: يا رسول الله، وما همزه ونفخه ونفثه؟ قال: «**أما همزه، فهذه الموتة التي تأخذ بني آدم، وأما نفخه فالكِبْر، وأما نفثه فالشِّعر**»[(٣)].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»[(٤)].

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل قلت لأبي: إن أقوامًا يقولون: إن الجني لا يدخل في بدن المصروع فقال: «يا بُني يكذبون، هذا يتكلم على لسانه». قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقًا: «وهذا الذي قاله أمر مشهور؛ فإنه يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه، ويُضرب على بدنه ضربًا عظيمًا لو ضرب به جمل لأثر به أثرًا عظيمًا، والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب ولا بالكلام الذي يقوله، وقد يجر المصروع وغير المصروع، ويجر البساط الذي يجلس عليه، ويحول آلات ويَنْقُل من مكان إلى مكان، ويجري غير ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علمًا ضروريًّا بأن الناطق على لسان الإنسي،

---

(١) أخرجه البخاري (ح٥٦٥٢).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١١٥).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤٢/ ١٢٨-١٢٩)، وقال الشيخ الألباني: «رجال إسناده ثقات رجال الصحيح، لكنه مرسل» (أصل صفة صلاة النبي ﷺ ١/ ٢٧١).

(٤) سبق تخريجه.

والمحرك لهذه الأجسام جنس آخر غير الإنسان، وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في بدن المصروع وغيره، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك»[1].



(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٧٦-٢٧٧).



المبحث الحادي عشر

الاستعانة بالجن

صورها وأحكامها

للاستعانة بالجن صور متعددة:

الصورة الأولى: أن يستعين بهم كالإنس في أمر لا يقدر عليه إلا الله؛ فهذا شرك بالإجماع، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦]، قال الإمام ابن أبي العز: «لا يجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾، قالوا: كان الإنسي إذا نزل بالوادي يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، فيبيت في أمن وجوار حتى يصبح، ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ يعني الإنس للجن باستعاذتهم بهم، ﴿رَهَقًا﴾ أي: إثمًا وطغيانًا وجراءة وشرًّا، وذلك أنهم قالوا: قد سُدْنا الجن والإنس! فالجن تعاظم في أنفسها، وتزداد كفرًا إذا عاملتها الإنس بهذه المعاملة»[١].

الصورة الثانية: الاستعانة بهم في أمور محرمة دون الشرك، كالتسبب في أذى آدمي مسلم من أكل ماله أو إزهاق روحه، فهذا من الكبائر، وهو من التعاون على الإثم والعدوان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن كان يستعمل

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٧٦٥).

الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله؛ إما في الشرك، وإما في قتل معصوم الدم، أو في العدوان عليهم بغير القتل، كتمريضه وإنسائه العلم وغير ذلك من الظلم، وإما في فاحشة كجلب من يطلب منه الفاحشة، فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاص؛ إما فاسق، وإما مذنب غير فاسق»(١).

الصورة الثالثة: أن يستعمل الإنس الجن في طاعة الله تعالى، فهذا مشروع، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «من كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله ﷺ من عبادة الله وحده وطاعة نبيه ويأمر الإنس بذلك، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ونوابه»(٢).

الصورة الرابعة: الاستعانة بهم في أمور مباحة، وبأسباب مباحة، **فهذا فيه خلاف بين أهل العلم على قولين:**

القول الأول: الجواز، وهو ما يفهم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال: «ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له فهو كمن استعمل الإنس في أمور مباحة له»(٣).

واستدل لهذا القول بما يلي:

أولًا: النقل، وهو أن نبي الله سليمان عليه السلام كان يسخر الجن ويستخدمهم، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٢، ١٣]، وشرع من قبلنا شرع

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٠٧-٣٠٨)، وانظر: النبوات (١/ ٥٢٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٠٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٠٧)، وانظر: النبوات لابن تيمية (١/ ٥٢٨)، مجلة المنار (٩/ ١٥٨).

لنا ما لم يأت في شرعنا ما يخالفه.

ثانيًا: القياس، وهو أن استعانة الإنس بالجن في الأمور المباحة كاستعانة الإنس بالإنس[(١)].

القول الثاني: التحريم، وهو قول الإمام مالك[(٢)]، والإمام أحمد[(٣)]، واختاره الشيخ الألباني[(٤)]، واللجنة الدائمة[(٥)]، **واستدلوا بما يلي:**

١- عموم قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

٢- أنه لم ينقل عن الرسول ﷺ ولا عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أنه استعان بهم، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه.

٣- الجهل بحال الجن من الصدق والكذب، كما جاء في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال عن الشيطان الذي كان يأتيه ليسرق من طعام الزكاة: «**صدقك وهو كذوب**»[(٦)].

٤- أن استخدام سليمان عليه السلام للجن كان من خصائصه التي خصه الله بها، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن عفريتًا من الجن تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي، فأمكنني الله منه فأخذته، فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان؛ رب هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي فرددته خاسئًا**»[(٧)].

الترجيح: الراجح هو القول بالتحريم لعموم الآيات ولجهالة حالهم، وسدًّا

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٨٧).
(٢) انظر: الذخيرة، للقرافي (١٠/ ٥٧).
(٣) انظر: الأحكام السلطانية، لأبي يعلى الفراء (ص٣٠٨)، الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ١٩٨).
(٤) انظر: موسوعة الألباني في العقيدة (٣/ ١٠٦٧).
(٥) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٢٠٧).
(٦) أخرجه البخاري (ح٢٣١١).
(٧) أخرجه البخاري (ح٣٤٢٣).

لذريعة الشرك وأسبابه.

معونة الجني للإنسي بدون طلب:

قد ينفع الجني الإنسي دون طلب منه، فيكون معونة وليس استعانة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من الجن المؤمنين من يعاون المؤمنين، ومن الجن الفساق والكفار من يعاون الفساق، كما يعاون الإنس بعضهم بعضًا»[(١)].

ومن شواهد معونة الجني المؤمن قصة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه بعث جيشًا، وأمَّر عليهم رجلًا يدعى: سارية قال: فبينا عمر يخطب، فجعل يصيح وهو على المنبر: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، قال: فقدم رسول الجيش فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدونا فهزمونا، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتًا ينادي: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فشددنا ظهورنا بالجبل[(٢)]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما نادى: يا سارية الجبل قال: إن لله جنودًا يبلغون صوتي. وجنود الله هم من الملائكة ومن صالحي الجن فجنود الله بلغوا صوت عمر إلى سارية وهو أنهم نادوه بمثل صوت عمر وإلا نفس صوت عمر لا يصل نفسه في هذه المسافة البعيدة»[(٣)].

وفي خبر آخر أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرسل جيشًا، فقدم شخص إلى المدينة، فأخبر أنهم انتصروا على عدوهم، وشاع الخبر فسأل عمر عن ذلك فذكر له، فقال: هذا أبو الهيثم بريد المسلمين من الجن، وسيأتي بريد الإنس، فجاء بعد ذلك بعدة أيام[(٤)].

وقد حكى شيخ الإسلام عن نفسه شيئًا من ذلك، فقال: «وتارة يأتون إلى

---

(١) النبوات لابن تيمية (١/ ٥٢٧).

(٢) أخرجه البيهقي في الاعتقاد (ص٣١٤)، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٨٨).

(٤) آكام المرجان في أحكام الجان (ص١٩٢)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٨٨-٨٩).

من هو خالٍ في البرية، وقد يكون ملكًا أو أميرًا كبيراً، ويكون كافرًا وقد انقطع عن أصحابه وعطش وخاف الموت، فيأتيه في صورة إنسي ويسقيه ويدعوه إلى الإسلام ويتوِّبه، فيسلم على يديه ويتوِّبه ويطعمه ويدله على الطريق، ويقول: من أنت؟ فيقول: أنا فلان، ويكون من مؤمني الجن، كما جرى مثل هذا لي، كنت في مصر في قلعتها، وجرى مثل هذا إلى كثير من الترك من ناحية المشرق، وقال له ذلك الشخص: أنا ابن تيمية، فلم يشك ذلك الأمير أني أنا هو، وأخبر بذلك ملك ماردين، وأرسل بذلك ملك ماردين إلى ملك مصر رسولًا وكنت في الحبس، فاستعظموا ذلك، وأنا لم أخرج من الحبس، ولكن كان هذا جنيًّا يحبنا، فيصنع بالترك التتر مثل ما كنت أصنع بهم لما جاؤوا إلى دمشق؛ كنت أدعوهم إلى الإسلام، فإذا نطق أحدهم بالشهادتين أطعمتهم ما تيسر، فعمل معهم مثل ما كنت أعمل، وأراد بذلك إكرامي ليظن ذاك أني أنا الذي فعلت ذلك، قال لي طائفة من الناس: فلم لا يجوز أن يكون مَلَكًا؟ قلت: لا، إن الملَك لا يكذب، وهذا قد قال: أنا ابن تيمية، وهو يعلم أنه كاذب في ذلك»[(١)].

وبهذه المناسبة أذكر أني سألت شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في منزله: هل كان لكم صلة بالجن أو سؤال منهم لكم في مسائل من العلم؟ فنفى ذلك بطرافة قائلًا: (بسم الله الرحمن الرحيم!!)[(٢)].



(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٩٢-٩٣).

(٢) وحدثني والدي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان إذا حان وقت الصلاة ولم يستيقظ سمع صوتًا يناديه: (عبد الله قم للصلاة)، قال: وربما غمز رجلي لإيقاظي، وذكر الشيخ ابن جبرين أن مثل هذا مما تواتر نقله عن بعض الصالحين. انظر: فتوى مكتوبة بتاريخ ٢٤ شعبان سنة ١٤١٨ هـ، بواسطة: كتاب القول المعين (ص١٢٧). رابط الموضوع:

https//:www.alukah.net/sharia/0٤40559/#ixzz67acoJnuI



المبحث الثاني عشر

التطير

تعريفه وأمثلته وأحكامه وكفارته

۞ أولًا: تعريف التطير:

هو: التشاؤم عند سماع شيء أو رؤيته، وهو ضد الفأل، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء[(١)].

وقال ابن الأثير: «الطِّيَرة -بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تُسكن: هي التشاؤم بالشيء»[(٢)].

قال ابن القيم: «التطير هو: التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع»[(٣)]، وأصله مأخوذ من الطير؛ لأن العرب في الجاهلية كانوا يتشاءمون ويتفاءلون بالطير[(٤)]، فكان الواحد من أهل الجاهلية إذا أراد سفرًا نَفَّر الطير، فإذا اتجهت يمنة مضى في سفره، وإذا اتجهت يسرة تشاءم ورجع، قال النووي: «كانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح[(٥)]، فينفرون الظباء والطيور؛ فإن أخذت

---

(١) انظر: لسان العرب (٤/ ٥١١)، (١١/ ٥١٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٥٢).

(٣) مفتاح دار السعادة (٣/ ١٥٢٣).

(٤) فصار المعنى اللغوي أضيق من المعنى الاصطلاحي، وهذا خلاف الأصل الغالب.

(٥) «هو من البارح ضد السانح، فالسانح ما مر من الطير والوحش بين يديك من جهة يسارك =

ذات اليمين تبركوا به ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بها، فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم»[(١)].

وقال ابن حجر: «وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير، فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها، فجاء الشرع بالنهي عن ذلك»[(٢)].

وأحسن ما قيل في تعريفه: هو ما ورد في حديث الفضل بن عباس، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يومًا فبرح ظبي، فمال في شقه، فاحتضنته، فقلت: يا رسول الله، تطيرت؟ قال: «**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**»[(٣)].

فالتطير هو: ترك ما عزم المرء على فعله تشاؤمًا من مرئي، أو مسموع، أو معلوم[(٤)].

۞ ثانيًا: أمثلته:

من أمثلة التطير: «التشاؤم ببعض الطيور كالبومة وما شاكلها إذا صاحت، قالوا: إنها ناعبة أو مخبرة بشر، وكذا التشاؤم بملاقاة الأعور أو الأعرج أو المهزول، أو الشيخ الهرم أو العجوز الشمطاء، وكثير من الناس إذا لقيه وهو

= إلى يمينك، والعرب تتيمن به لأنه أمكن للرمي والصيد، والبارح ما مر من يمينك إلى يسارك، والعرب تتطير به لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف». النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١١٤).

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢١٨-٢١٩)، وانظر: فتح الباري (١٠/ ٢١٢-٢١٣).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢١٢-٢١٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٢٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده ضعيف». انظر: مسند أحمد (٢/ ٤١١).

(٤) **المرئي:** كرؤية قبيح. **والمسموع:** كسماع كلمة سيئة. **والمعلوم:** كالتشاؤم من يوم، أو شهر، أو عدد، كما سيأتي في أمثلته.

ذاهب لحاجة صده ذلك عنها ورجع معتقدًا عدمَ نجاحها، وكثير من أهل البيع لا يبيع ممن هذه صفته إذا جاءه أول النهار، حتى يبيع من غيره تشاؤمًا به وكراهة له، وكثير منهم يعتقد أنه لا ينال في ذلك اليوم خيرًا قط، وكثير من الناس يتشاءم بما يعرض له نفسه في حال خروجه كما إذا عثر أو شِيِكَ يرى أنه لا يجد خيرًا، ومن ذلك التشاؤم ببعض الأيام، أو ببعض الساعات كالحادي والعشرين من الشهر، وآخر أربعاء فيه ونحو ذلك؛ فلا يسافر فيها كثير من الناس ولا يعقد فيها نكاحًا، ولا يعمل فيها عملًا مهمًّا ابتداء، يظن أو يعتقد أن تلك الساعة نحس، وكذا التشاؤم ببعض الجهات في بعض الساعات فلا يستقبلها في سفر ولا أمر حتى تنقضي تلك الساعة أو الساعات»[(١)].

ومن أمثلة التطير المعاصرة: تشاؤم كثير من الناس بالرقم (١٣)، لدرجة أن بعض شركات الطيران في الغرب قامت بإلغاء هذا الرقم من مقاعدها، وكذا بعض الفنادق مما أدى إلى حدوث ارتباك واضطراب، وبعض المرضى يخشون على حياتهم إذا هم رقدوا في أَسِرَّة أو غُرف تحمل رقم (١٣)[(٢)].

ومن أمثلة التطير ما عليه بعض الفرق كالإثني عشرية الرافضة الذين يعتقدون بتأثير الأيام والليالي في النفع والضر، ويدَّعون أن في بعض الأيام شؤمًا لا تقضى فيه الحاجات. ونسبوا هذا التشاؤم كذبًا إلى بعض أئمة آل البيت- وحاشاهم من ذلك- فقالوا- كما جاء في مصادرهم المعتمدة لديهم: قال أبو عبد الله- يعنون جعفرًا الصادق: «لا تخرج يوم الجمعة في حاجة، فإذا كان يوم السبت وطلعت الشمس فاخرج في حاجتك»[(٣)]، وقال: «السبت لنا، والأحد لبني أمية»[(٤)]، وقال: «فأي يوم أعظم شؤمًا من يوم الإثنين.. لا

(١) معارج القبول (٣/ ٩٩٠).

(٢) انظر: دراسة حديث الشؤم في ثلاثة، د. صالح العصيمي (ص٢٣-٢٤).

(٣) من لا يحضره الفقيه (١/ ٩٥)، وسائل الشيعة (٨/ ٢٥٣).

(٤) من لا يحضره الفقيه (٢/ ٣٤٢)، وسائل الشيعة (٨/ ٢٥٣).

تخرجوا يوم الإثنين، واخرجوا يوم الثلاثاء»[(١)]، وقال أبو عبد الله: «لا تسافر يوم الإثنين ولا تطلب فيه حاجة»[(٢)]، وقال: «آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر»[(٣)].

ولا يزال هؤلاء الرافضة يتعلقون بهذه الأوهام، فقد زعم كبيرهم خميني أن هناك أيامًا منحوسة من كل شهر، وأن لانتقال القمر إلى بعض الأبراج تأثيرًا سلبيًّا، يستلزم التوقف عن إيقاع الزواج فيه حتى يتجاوز القمر ذلك البرج المعين، فيقول: «يكره إيقاعه [يعني الزواج] والقمر في برج العقرب، وفي محاق الشهر، وفي أحد الأيام المنحوسة في كل شهر وهي سبعة: يوم (٣)، ويوم (٥)، ويوم (١٣)، ويوم (١٦)، ويوم (٢١)، ويوم (٢٤)، ويوم (٢٥) [وذلك من كل شهر]»[(٤)].

۞ ثالثًا: أحكامه:

التطير محرم وهو من الشرك؛ لحديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الطيرة شرك، الطيرة شرك**» ثلاثًا، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل[(٥)].

قال النووي: «أي: اعتقاد أنها تنفع أو تضر؛ إذا عملوا بمقتضاها معتقدين تأثيرها فهو شرك؛ لأنهم جعلوا لها أثرًا في الفعل والإيجاد»[(٦)].

وقال ابن حجر: «وقوله: (وما منَّا إلا) من كلام ابن مسعود أدرج في الخبر، وقد بينه سليمان بن حرب شيخ البخاري فيما حكاه الترمذي عن

---

(١) من لا يحضره الفقيه (١/ ٩٥)، وسائل الشيعة (٨/ ٢٥٤).

(٢) المحاسن (ص٣٤٦)، وسائل الشيعة (٨/ ٢٥٥).

(٣) الخصال (٢/ ٢٧)، وسائل الشيعة (٨/ ٢٥٧).

(٤) تحرير الوسيلة (٢/ ٢٣٨).

(٥) أخرجه أبو داود (ح٣٩١٠)، وصححه الألباني.

(٦) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢١٩).

البخاري عنه، وإنما جعل ذلك شركًا لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعًا أو يدفع ضرًّا فكأنهم أشركوه مع الله تعالى. وقوله: (ولكن الله يذهبه بالتوكل) إشارة إلى أن من وقع له ذلك فسلم لله ولم يعبأ بالطيرة أنه لا يؤاخذ بما عرض له من ذلك»[(١)].

وقال ابن القيم: «الطيرة إنما تتضمن الشرك بالله تعالى والخوف من غيره وعدم التوكل عليه والثقة به»[(٢)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «قوله: «**الطيرة شرك**» صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك لما فيها من تعلق القلب على غير الله»[(٣)].

والطيرة من الشرك الأصغر، إلا إذا اعتقد أن ما تشاءم به مؤثر بذاته دون الله تعالى، فيكون شركًا أكبر، قال الشيخ ابن عثيمين: «هي نوع من أنواع الشرك... فإذا تطير إنسان بشيء رآه أو سمعه، فإنه لا يعد مشركًا شركًا يخرجه من الملة، لكنه أشرك من حيث إنه اعتمد على هذا السبب الذي لم يجعله الله سببًا، وهذا يضعف التوكل على الله ويوهن العزيمة، وبذلك يعتبر شركًا من هذه الناحية... لكن لو اعتقد هذا المتشائم المتطير أن هذا فاعل بنفسه دون الله، فهو مشرك شركًا أكبر؛ لأنه جعل لله شريكًا في الخلق والإيجاد»[(٤)].

ومما يدل على تحريم التطير أيضًا ما يلي:

أولًا: أن الله تعالى لم يحكِ «التطير إلا عن أعداء الرسل، كما قالوا لرسلهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾ [يس: ١٨، ١٩]، وكذلك حكى الله سبحانه عن قوم فرعون، فقال: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢١٣) (٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٥٦).

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص٣٧٥).

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٧٤-٥٧٥).

وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١]، يعني: إذا أصابهم الخصب والسعة والعافية ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ﴾ أي: نحن الجديرون الحقيقون به، ونحن أهله، وإن أصابهم بلاء وضيق وقحط ونحوه قالوا: هذه بسبب موسى وأصحابه أصبنا بشؤمهم، ونفض علينا غبارهم، كما يقوله المتطير لمن يتطير به؛ فأخبر سبحانه أن طائرهم عنده، كما قال تعالى عن أعداء رسوله ﷺ: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ﴾ [النساء: ٧٨]، فهذه ثلاثة مواضع حكى فيها التطير عن أعدائه، وأجاب سبحانه عن تطيرهم بموسى وقومه بأن طائرهم عند الله، لا بسبب موسى، وأجاب عن تطير أعداء رسول الله ﷺ بقوله: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾، وأجاب عن الرسل -لمن تطير بهم- بقوله: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾، وأما قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فقال ابن عباس: طائرهم ما قضى عليهم وقدر لهم»[(١)]، «يعني نحسكم وشركم معكم، وهو كفركم وضلالكم هو الذي أصابكم وحصل به البلاء عليكم»[(٢)].

ثانيًا: جاءت السنة بالنهي عن التطير، ومن ذلك حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه السابق.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا طيرة، وخيرها الفأل**» قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**»[(٣)].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح: الكلمة الحسنة**»[(٤)].

قال النووي: «وأما الفأل... وقد فسره النبي ﷺ بالكلمة الصالحة

---

(١) مفتاح دار السعادة (٣/ ١٤٧٦-١٤٧٧).

(٢) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز، على هذا الرابط: «https//:2u.pw/WOHqc».

(٣) أخرجه البخاري (ح٥٧٥٤)، ومسلم (ح٢٢٢٣).

(٤) أخرجه البخاري (ح٥٧٥٦)، ومسلم (ح٢٢٢٤).

والحسنة والطيبة، قال العلماء: يكون الفأل فيما يسر وفيما يسوء والغالب في السرور، والطيرة لا يكون إلا فيما يسوء. قالوا: وقد يستعمل مجازًا في السرور»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كان ﷺ يعجبه الفأل ويكره الطيرة؛ لأن الفأل تقوية لما فعله بإذن الله والتوكل عليه، والطيرة معارضة لذلك، فيكره للإنسان أن يتطير، وإنما تضر الطيرة من تطير؛ لأنه أضر نفسه، فأما المتوكل على الله فلا»[(٢)].

والفأل لا يطلب بل إذا سمعه أو رآه استبشر به، قال شهاب الدين النفراوي: «وأما إذا قصد سماع الفأل ليعمل على ما يسمع من خير أو شر فلا يجوز؛ لأنه من الأزلام المحرمة التي كانت تفعلها الجاهلية، وهي قداح يكون في بعضها: افعل، وفي بعضها: لا تفعل، والثالث: لا شيء فيه، فإن خرج الذي فيه: افعل مَشى، وإن خرج الذي فيه: لا تفعل رجع، وإن خرج: الذي لا شيء فيه أعاد الاستقسام»[(٣)].

۞ رابعًا: معنى حديث: «الشؤم في ثلاثة»:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طيرة، والشؤم في ثلاث: في المرأة، والدار، والدابة**»[(٤)]، **وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث:**

١- «فقال مالك وطائفة: هو على ظاهره، وإن الدار قد يجعل الله تعالى سكناها سببًا للضرر أو الهلاك، وكذا اتخاذ المرأة المعينة أو الفرس أو الخادم قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله تعالى، ومعناه: قد يحصل الشؤم في هذه الثلاثة كما صرح به في رواية: «**إن يكن الشؤم في شيء**»[(٥)]، وقال الخطابي

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢١٩-٢٢٠). (٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٨١).
(٣) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٢/ ٣٤٢).
(٤) أخرجه البخاري (ح٥٧٥٣)، ومسلم (ح٢٢٢٥).
(٥) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢٢٠-٢٢٢).

وكثيرون: هو في معنى الاستثناء من الطيرة، أي: الطيرة منهي عنها إلا أن يكون له دار يكره سكناها، أو امرأة يكره صحبتها، أو فرس أو خادم فليفارق الجميع بالبيع ونحوه وطلاق المرأة[(١)]، وقال الحافظ ابن رجب: «والتحقيق أن يقال في إثبات الشؤم في هذه الثلاث: . . . إن هذه الثلاث أسباب يقدر الله تعالى بها الشؤم واليمن»[(٢)]، وقد رجح هذا القول الشوكاني، فقال: «والراجح ما قاله مالك، وهو الذي يدل عليه حديث أنس الذي ذكرنا[(٣)]، فيكون حديث الشؤم مخصصًا لعموم حديث: «**لا طيرة**» فهو في قوة: «**لا طيرة إلا في هذه الثلاث**»[(٤)]، واختاره الشيخ ابن باز، فقال: «وهذه هي المستثناة وليست من الطيرة الممنوعة؛ لأن بعضهم يقول: إن بعض النساء أو الدواب فيهن شؤم وشر بإذن الله، وهو شر قدري، فإذا ترك البيت الذي لم يناسبه، أو طلق المرأة التي لم تناسبه، أو الدابة أيضًا التي لم تناسبه فلا بأس فليس هذا من الطيرة»[(٥)].

٢- وقالت طائفة أخرى: الشؤم في هذه الثلاثة إنما يلحق من تشاءم بها وتطير بها، فيكون شؤمها عليه، ومن توكل على الله ولم يتشاءم ولم يتطير لم تكن مشؤومة عليه، قالوا: ويدل عليه حديث أنس: «**الطيرة على من تطير**»[(٦)]، وقد يجعل الله سبحانه تطير العبد وتشاؤمه سببًا لحلول المكروه به، كما

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢٢٠-٢٢٢).

(٢) لطائف المعارف (ص٧٥).

(٣) يعني حديث أنس بن مالك، قال: قال رجل يا رسول الله: إنا كنا في دار كثير فيها عددنا، وكثير فيها أموالنا، فتحولنا إلى دار أخرى فقل فيها عددنا، وقَلَّت فيها أموالنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ذروها ذميمة**» أخرجه أبو داود (ح٣٩٢٤)، والبزار في مسنده (ح٦٤٢٧)، وابن حبان (ح٦١٢٤)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٧٩٠).

(٤) نيل الأوطار (٧/ ٢١٩).

(٥) مجموع فتاوى ابن باز (٢٥/ ٩٨).

(٦) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٦/ ٩٨)، وابن حبان (ح٦١٢٣)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٧٨٩).

يجعل الثقة به والتوكل عليه وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر المتطير به[١].

٣- وقالت طائفة: ليس المقصود بالشؤم هنا التطير المنهي عنه، بل المقصود بشؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم، وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب، وشؤم الفرس ألا يغزى عليها، وقيل: غلاء ثمنها وجماحها، وشؤم الخادم: سوء خلقه وقلة تعهده لما فوض إليه[٢]. قال الشيخ حافظ حكمي: «الشؤم ضد اليمن، وهو عدم البركة، والمراد به الأمر المحسوس المشاهد كالمرأة العاقر التي لا تلد أو اللَّسِنة المؤذية أو المبذرة بمال زوجها سفاهة ونحو ذلك. وكذا الدار الجدبة أو الضيقة أو الوبيئة الوخيمة المشرب أو السيئة الجيران وما في معنى ذلك، وكذا الدابة التي لا تلد ولا نسل لها، أو الكثيرة العيوب الشينة الطبع وما في معنى ذلك، فهذا كله شيء ضروري مشاهد معلوم ليس هو من باب الطيرة المنفية؛ فإن ذلك أمر آخر عند من يعتقده ليس من هذا؛ لأنهم يعتقدون أنها نحس على صاحبها لذاتها لا لعدم مصلحتها وانتفائها، فيعتقدون أنه إن كان غنيًّا افتقر ليس بتبذيرها بل لنحاستها عليه، وإنه إن يأخذها يموت بمجرد دخولها عليه لا بسبب محسوس، بل عندهم أن لها نجمًا لا يوافق نجمه بل ينطحه ويكسره، وذلك من وحي الشيطان يوحيه إلى أوليائه من المشركين، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، حتى إن رجلًا في زماننا هذا كان يشعوذ على الناس بذلك ويفرق به بين المرء وزوجه، فتنبه له بعض العامة ممن يحضر مجالس الذكر ويسمع ذم المنجمين وتكذيبهم بالآيات والأحاديث

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (٣/ ١٥٥٣).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢٢٠-٢٢٢)، وانظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول (٣/ ٩٩٢- ٩٩٣).

فقال له: إني أريد أن أنكح امرأة، ما ترى فيها هل هي سعد لي أو نحس علي؟ فعرض ذلك على قواعده الشيطانية ثم قال له: دعها فإنك إن أخذتها لا تبلي معها ثوبًا، يعني يموت سريعًا لا تطول معها صحبته، وكانت تلك المرأة التي سأله عنها وسمَّاها له هي زوجته، وقد طالت صحبته معها وله منها نحو خمسة من الأولاد، فدعاهم كلهم بأسمائهم حتى حضروا فقال له: هؤلاء أولادي منها.

ولهذا نظائر كثيرة من خرافاتهم، والمقصود: أن الشؤم المثبت في هذا الحديث أمر محسوس ضروري مشاهد ليس من باب الطيرة المنفية التي يعتقدها أهل الجاهلية ومن وافقهم»(١).

٤- وقيل: إن المقصود بالتطير هنا هو: الإخبار عما تعتقده الجاهلية(٢)، ويدل على ذلك ما جاء عن أبي حسان الأعرج، أن رجلين دخلا على عائشة فقالا: إن أبا هريرة رضي الله عنه يحدث أن نبي الله ﷺ، كان يقول: «**إنما الطيرة في المرأة، والدابة، والدار**» قال: فطارت شقة منها في السماء، وشقة في الأرض(٣)، فقالت: والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما هكذا كان يقول، ولكن نبي الله ﷺ كان يقول: «**كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة في المرأة والدار والدابة**»، ثم قرأت عائشة: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ إلى آخر الآية [الحديد: ٢٢](٤).

٥- وقالت طائفة أخرى: لم يجزم النبي ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة، بل علقه على الشرط، فقال: «**إن يكن الشؤم في شيء**»، قالوا: ولعل الوهم وقع

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٣/ ٩٩٢-٩٩٣).
(٢) انظر: عارضة الأحوذي، ابن العربي (١٠/ ٢٦٤)، فتح الباري (٦/ ٦١).
(٣) قال ابن الأثير: «هو مبالغة في الغضب والغيظ، يقال: قد انشق فلان من الغضب والغيظ، كأنه امتلأ باطنه منه حتى انشق» (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٤٩١).
(٤) أخرجه أحمد في المسند (٤٣/ ١٩٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢١) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٤٤٥٢).

من ذلك، وهو أن الراوي غلط، وقال: الشؤم في ثلاثة[١]، وإنما الحديث عن ابن عمر، قال: ذكروا الشؤم عند النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**إن كان الشؤم في شيء ففي الدار، والمرأة، والفرس**»[٢].

قال الشيخ الألباني: «الحديث يعطي بمفهومه أن لا شؤم في شيء، لأن معناه: لو كان الشؤم ثابتًا في شيء ما، لكان في هذه الثلاثة، لكنه ليس ثابتًا في شيء أصلًا، وعليه فما في بعض الروايات بلفظ: «**الشؤم في ثلاثة**»، أو «**إنما الشؤم في ثلاثة**» فهو اختصار، وتصرف من بعض الرواة. والله أعلم»[٣].

الترجيح:

ولعل الراجح هو ما ذهبت إليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من تفسير الحديث وأقسمت على صحته بأن هذا كان من اعتقاد أهل الجاهلية، ويثبت ذلك عموم النهي عن التطير، وأن رسول الله ﷺ كان يكره الطيرة ويعجبه الفأل، وأنه لم يعهد أن الصحابة كانوا يتطيرون بهذه الثلاث، فلم يعرف عنهم أن منهم من طلق امرأته متعلِّلًا بشؤمها الذاتي؛ لأن «من اعتقد أن رسول الله ﷺ نسب الطيرة والشؤم إلى شيء من الأشياء على سبيل أنه مؤثر لذلك دون الله، فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله وضل ضلالًا بعيدًا»[٤]، وقد تكون هذه الثلاث مصدر خير وبركة، «ولهذا يشرع لمن استفاد زوجة أو أمة أو دابة أن يسأل الله تعالى من خيرها وخير ما جبلت عليه، ويستعيذ به تعالى من شرها وشر ما جبلت عليه»[٥].

ثم إنني بعد اختياري لقول عائشة رضي الله عنها وقفت فيما بعد على ترجيح الإمام الطحاوي له، حيث قال: «وقد روي عن عائشة إنكارها لذلك، وإخبارها أن

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٣/ ١٥٥٠-١٥٥١).

(٢) أخرجه البخاري (ح٥٠٩٤)، ومسلم (ح٢٢٢٥).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٨٠٤). (٤) مفتاح دار السعادة (٣/ ١٥٥٥).

(٥) لطائف المعارف (ص٧٥).

رسول الله ﷺ إنما قال ذلك إخبارًا منه عن أهل الجاهلية أنهم كانوا يقولونه غير أنها ذكرته عنه عليه السلام بالطيرة لا بالشؤم، والمعنى فيهما واحد، وإذا كان ذلك كذلك كان ما روي عنها مما حفظته عن رسول الله ﷺ من إضافته ذلك الكلام إلى أهل الجاهلية أولى مما روي عن غيرها فيه عنه ﷺ؛ لحفظها عنه في ذلك ما قصر غيرها عن حفظه عنه فيه، فكانت بذلك أولى من غيرها، لا سيما وقد روي عن رسول الله ﷺ في نفي الطيرة والشؤم»[(١)].

أو أن يفسر حديث: «**الشؤم في ثلاث**»؛ بأن المقصود بشؤم الدار: ضيقها، وشؤم المرأة: سوء خلقها، وشؤم الدابة: كثرة عيوبها، كما جاء في القول الثالث، فإن هذا ليس من التطير؛ لأن ذلك يستند إلى أمر محسوس مشاهد، فلا علاقة له بالتطير المذموم؛ لأن التطير وَهْمٌ وهذه العيوب أمور محسوسة وواقعة.

وقد يستدل على ذلك بحديث: «**من سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقوة ابن آدم ثلاثة، من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، ومن شقوة ابن آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء**»[(٢)]. وهذا والذي قبله هما أولى ما يحمل عليه الحديث، والله أعلم.

۞ خامسًا: كفارة التطير:

عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ردته الطيرة من حاجة، فقد أشرك**»، قالوا: يا رسول الله، ما كفارة ذلك؟ قال: «**أن يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**»[(٣)]، «يعني: أن الأمر كله بيدك،

(١) شرح مشكل الآثار (٢/ ٢٥٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (ح ١٤٤٥)، قال محققوه: حديث صحيح، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح ١٠٤٧).

(٣) أخرجه أحمد (١١/ ٦٢٣)، والطبراني في الكبير (١٣/ ٢٢)، قال الهيثمي: «رواه أحمد، والطبراني، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات»، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ٣/ ٥٤).

ولا إله غيرك»[(١)].

وعن عروة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: ذُكِرَت الطيرة عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**أحسنها الفأل ولا ترد مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**»[(٢)]، والمراد بالحسنات هنا: النعم، وبالسيئات هنا: المصائب[(٣)].



(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (٦/ ٤١٦).

(٢) أخرجه أبو داود (ح٣٩١٩)، وضعفه الألباني (ضعيف الجامع ح١٩٩).

(٣) انظر: مرقاة المفاتيح (٧/ ٢٩٠٢).



المبحث الثالث عشر

التمائم

تعريفها وحكمها وصورها المعاصرة

۞ أولًا: تعريف التمائم:

التمائم في اللغة جمع تميمة، وهي عوذة تعلق على الإنسان[١].

قال ابن الأثير: «التمائم جمع تميمة، وهي: خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم، فأبطلها الإسلام»[٢].

وقال ابن عبد البر: «ومعناها عند أهل العلم: ما علق في الأعناق من القلائد خشية العين أو غيرها من أنواع البلاء»[٣].

وكل ما علق على الإنسان لدفع العين يُسمى: تميمة، قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «إن ما علق لدفع العين وغيرها فهو تميمة من أي شيء كان، وهذا هو الصحيح»[٤].

---

(١) انظر: لسان العرب (١٢/ ٦٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٩٧)، وانظر: معالم السنن (٤/ ٢٢٠).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٧/ ١٦٢)، وانظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٨٧٨)، تيسير العزيز الحميد (ص١٣٣).

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص١٣٣).

۞ ثانيًا: حكم تعليق التمائم:

لا يجوز تعليق التمائم لعموم حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وتركت هذا؟ قال: «**إن عليه تميمة**»، فأدخل يده فقطعها، فبايعه، وقال: «**من علّق تميمة فقد أشرك**»(١).

وعن أبي بشير الأنصاري (أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره؛ فأرسل رسولًا: ألا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة إلا قطعت(٢).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من تعلق تميمة، فلا أتمَّ الله له، ومن تعلق ودعة، فلا ودع الله له**»(٣).

قال ابن عبد البر: «فكأن المعنى في هذا الحديث: أن من تعلق تميمة خشية ما عسى أن ينزل أو لا ينزل قبل أن ينزل فلا أتمَّ الله عليه صحته وعافيته، ومن تعلق ودعة - وهي مثلها في المعنى- فلا ودع الله له، أي: فلا ترك الله له ما هو فيه من العافية أو نحو هذا، والله أعلم. وهذا كله تحذير ومنع مما كان أهل الجاهلية يصنعون من تعليق التمائم والقلائد يظنون أنها تقيهم وتصرف البلاء عنهم، وذلك لا يصرفه إلا الله عز وجل وهو المعافي والمبتلي لا شريك له»(٤).

وقال الشيخ ابن باز: «وتسمى الرقى المعلقة: (التمائم) وتسمى: الحروز والجوامع؛ والصواب فيها أنها محرمة ومن أنواع الشرك»(٥)، فإن اعتقد أنها سبب فهو شرك أصغر؛ لأنه جعل ما ليس بسببٍ شرعًا ولا تجربة سببًا، وإن

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ٦٣٧)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٤٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (ح٣٠٠٥)، ومسلم (ح١٠٥).

(٣) أخرجه أحمد (ح١٧٤٠٤)، وابن حبان (ح٦٠٨٦)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، ورجالهم ثقات» (مجمع الزوائد ٥/ ١٠٣).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٧/ ١٦٣)

(٥) مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٣٨١-٣٨٢).

اعتقد أنها تنفع بذاتها فهو شرك أكبر(١).

۞ ثالثًا: حكم تعليق التمائم من القرآن:

أما التمائم التي تكون من القرآن أو من الأدعية المأثورة فقد اختلف أهل العلم في تعليقها، فقالت طائفة بجواز تعليقها، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وبحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «ليست التميمة ما تعلق به بعد البلاء، إنما التميمة ما تعلق به قبل البلاء»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع: «**باسم الله، أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون**» قال: فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه، ومن كان منهم صغيرًا لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه(٣).

وقال آخرون بالتحريم، وهو الصحيح.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: «**هذا هو الصحيح لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل:**

الأول: عموم النهي ولا مخصص للعموم.

والثاني: سد الذريعة؛ فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك.

الثالث: أنه إذا علق فلا بد أن يمتهنه المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك»(٤).

---

(١) انظر: القول المفيد (١/ ١٨٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤٢) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد (١١/ ٢٩٥-٢٩٦)، وأبو داود (ح٣٨٩٣)، والترمذي (ح٣٥٢٨) وحسنه، وقال الألباني: «هذه الزيادة منكرة» (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٥٢٩) يعني قول الراوي: فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده... إلخ.

(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص١٢٧-١٢٨)، وانظر: معارج القبول بشرح سلم =

وفرق بعض العلماء بين تعليق التمائم التي من القرآن والأدعية المباحة قبل نزول البلاء وبعده، فمنعوا تعليقها قبل نزول البلاء وأباحوه بعد نزول البلاء، لحديث عائشة السابق: «ليست التميمة ما تعلق به بعد البلاء، إنما التميمة ما تعلق به قبل البلاء»[(١)].

قال إسحاق بن منصور: قلت لأحمد بن حنبل: ما يكره من المعاليق؟ قال: كل شيء يعلق فهو مكروه، قال: من يعلق تميمة وُكِلَ إليها. قال إسحاق: كما قال، إلا أن يفعله بعد نزول البلاء، فهو حينئذ مباح له؛ لما قالت عائشة رضي الله عنها ذلك[(٢)].

وقال القرطبي: «قال مالك: لا بأس بتعليق الكتب التي فيها أسماء الله عز وجل على أعناق المرضى على وجه التبرك بها إذا لم يرد معلقها بتعليقها مدافعة العين، وهذا معناه: قبل أن ينزل به شيء من العين، وعلى هذا القول جماعة من أهل العلم، لا يجوز عندهم أن يعلق على الصحيح من البهائم أو بنى آدم شيء من العلائق خوف نزول العين، وكل ما يعلق بعد نزول البلاء من أسماء الله عز وجل وكتابه رجاء الفرج والبرء من الله تعالى، فهو كالرقي المباح الذي وردت السنة بإباحته من العين وغيرها»[(٣)].

۞ رابعًا: صور التمائم المعاصرة:

تعددت أسماء التمائم في الماضي[(٤)]، ولم تختلف حقيقتها في العصر الحاضر، فلا تزال التمائم -كما يقول الشيخ الألباني- «فاشية بين البدو والفلاحين وبعض المدنيين، ومثلها الخرزات التي يضعها بعض السائقين

= الوصول (٢/ ٥١٠)، مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٣٨١-٣٨٢).

(١) سبق تخريجه.

(٢) مسائل الإمام أحمد بن حنبل وابن راهويه (٢/ ٦٠٥).

(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٣١٩)، وانظر: التمهيد، لابن عبد البر (١٧/ ١٦٠-١٦٥).

(٤) انظر أسماءها في الماضي في: المفصل في أديان العرب قبل الإسلام (ص٦٧٤) وما بعدها.

أمامهم في السيارة يعلقونها على المرآة! وبعضهم يعلق نعلًا في مقدمة السيارة أو في مؤخرتها! وغيرهم يعلقون نعل فرس في واجهة الدار أو الدكان! كل ذلك لدفع العين زعموا»[(١)].

ومن صور التمائم المعاصرة في بعض البلاد الإسلامية أنه عند الزفاف «تقوم العروس عند دخولها البيت الجديد بتعليق تميمة، تكون عجينة غالبًا على باب البيت، أو خرزة زرقاء، أو ما شابه ذلك، والعبرة في ذلك هو دفع الحسد عن البيت وأهله كما زعموا، وأن تدوم العلاقة بين الزوجين بأفضل حال»[(٢)].



(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٨٩٠).
(٢) منكرات الأفراح، لغانم غالب غانم (ص٩٣).



المبحث الرابع عشر

الرقى

تعريفها وحكمها

۞ أولًا: تعريف الرقى:

الرقى لغة: جمع رقية، والرقية عوذة يتعوذ بها[(١)].

ومعناها في الاصطلاح: هي ما يقرأ على المريض للاستشفاء. قال ابن الأثير: «الرقية: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات»[(٢)].

۞ ثانيًا: حكم الرقى:

الرقية جائزة بالإجماع إذا كانت بالأدعية المشروعة وما في معناها مع اعتقاد أنها لا تؤثر بذاتها، لما ثبت أن النبي ﷺ رَقَى ورُقِيَ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أمرني رسول الله ﷺ، أو أمر أن يسترقى من العين»[(٣)].

وعن عوف بن مالك الأشجعي، قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم**

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢ / ٤٢٦)، لسان العرب (١٤/ ٣٣٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٥٤)، وانظر: فتح الباري (١٠ / ١٩٥).

(٣) صحيح البخاري (٥٧٣٨).

يكن فيه شرك»[١].

قال ابن حجر: «أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: **(١)** أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، **(٢)** وباللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره، **(٣)** وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها؛ بل بذات الله تعالى»[٢].

وجاء في جواب اللجنة الدائمة عن حكم الرقى: «الرقية مشروعة إذا كانت بالقرآن أو بأسماء الله الحسنى وبالأدعية المشروعة وما في معناها، مع اعتقاد أنها أسباب، وأن مالك الضرر والنفع والشفاء هو الله سبحانه... أما الرقى المنهي عنها فهي الرقى المخالفة لما ذكرنا، كما صرح بذلك أهل العلم»[٣].

وأما حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الرقى، والتمائم، والتولة شرك»**[٤]، **فالمراد:** الرقى الشركية، كالرقى بأسماء الشياطين أو الرقى بما لا يفهم معناه لاحتمال أن يكون فيها شرك. قال الهروي القاري - عند شرحه لحديث: **«إن الرقى والتمائم والتولة شرك»**: «**(إن الرقى):** أي: رقية فيها اسم صنم أو شيطان أو كلمة كفر، أو غيرها مما لا يجوز شرعًا، ومنها ما لم يعرف معناها»[٥].

وقال أبو العباس القرطبي: «قول أنس: (رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين، والحمة[٦]، والنملة[٧])؛ دليل على أن الأصل في الرقي كان

(١) أخرجه مسلم (ح٢٢٠٠).
(٢) فتح الباري (١٠ / ١٩٥-١٩٦)، وانظر: النووي على مسلم (١٤/ ١٦٨).
(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٣١٦).
(٤) أخرجه أبو داود (ح٣٨٨٣)؛ وابن ماجه (ح٣٥٣٠)، وصححه الألباني.
(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٨٧٨).
(٦) **الحمة** -بالتخفيف: السم، وقد يشدد (النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٤٦)، والمراد: حصول لدغة من ذوات السموم كالعقرب والحية، فيعالج سمها بالرقية.
(٧) **النملة:** قروح تخرج في الجنب (النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٢٠). =

ممنوعًا، كما قد صرح به حيث قال: نهى رسول الله ﷺ عن الرَّقْي[١]، وإنما نهى عنه مطلقًا؛ لأنهم كانوا يرقون في الجاهلية برقي هو شرك، وبما لا يفهم، وكانوا يعتقدون أن ذلك الرقي يؤثر، ثم إنهم لما أسلموا وزال ذلك عنهم نهاهم النبي ﷺ عن ذلك عمومًا، ليكون أبلغ في المنع، وأسدَّ للذريعة، ثم إنهم لما سألوه، وأخبروه: أنهم ينتفعون بذلك؛ رخص لهم في بعض ذلك، وقال: «**اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك**»[٢]، فجازت الرقية من كل الآفات من الأمراض، والجراح، والقروح، والحمة، والعين، وغير ذلك؛ إذا كان الرقي بما يفهم، ولم يكن فيه شرك، ولا شيء ممنوع. وأفضل ذلك، وأنفعه: ما كان بأسماء الله تعالى وكلامه، وكلام رسوله ﷺ»[٣].

۞ ثالثًا: حكم كتابة آيات قرآنية ووضعها في ماء ثم شربه للاستشفاء:

الأفضل القراءة على المريض والنفث عليه، لكن يجوز أن يقرأ في الماء ثم يشربه المريض أو يغتسل منه، أو يكتب آيات من القرآن ويمحو أثر الكتابة بالماء ثم يشرب منه أو يغتسل به، وذلك في قول طائفة من السلف كابن عباس وأبي قلابة، كما نص على جوازه طائفة من الأئمة كالإمام أحمد وغيره، وعليه عمل السلف، **ومما يدل على ذلك:**

أولًا: عموم قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، قال القرطبي: «اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين: **أحدهما:** أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الريب، ولكشف غطاء القلب من مرض الجهل لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى.

= والحديث أخرجه مسلم (ح٢١٩٦).

(١) أخرجه مسلم (٢١٩٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ٥٨٠-٥٨١).

الثاني: شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحوه»[(١)]، ولا مانع من حمل الآية على المعنيين معًا. وقد استدل بعض أهل العلم[(٢)] على جواز ذلك بحديث ثابت بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٣)].

ثانيًا: عمل جماعة من السلف بذلك، قال الإمام ابن القيم: «ورأى جماعة من السلف أن تكتب له الآيات من القرآن، ثم يشربها، قال مجاهد: لا بأس أن يكتب القرآن، ويغسله، ويسقيه المريض، ومثله عن أبي قلابة، ويذكر عن ابن عباس أنه أمر أن يكتب لامرأة تعسر عليها ولادها أثر من القرآن ثم يغسل وتسقى، وقال أيوب: رأيت أبا قلابة كتب كتابًا من القرآن، ثم غسله بماء وسقاه رجلًا كان به وجع»[(٤)].

ثالثًا: تواردت نصوص الأئمة وفتاوى كبار العلماء على جواز ذلك، قال الإمام النووي: «قال القاضي حسين والبغوي وغيرهما: وإذا كتب قرآنًا على حلوى وطعام فلا بأس بأكله»[(٥)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإذا كُتب شيء من القرآن أو الذكر في إناء أو لوح ومحي بالماء وغيره وشرب ذلك فلا بأس به، نص عليه أحمد وغيره، ونقلوا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان يكتب كلمات من القرآن والذِّكر ويأمر بأن

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ٣١٦).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٥٢)، (٨/ ٩٤).

(٣) ونصه: عن ثابت بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ دخل عليه وهو مريض، فقال: «**اكشف البأس رب الناس عن ثابت بن قيس بن شماس**» ثم أخذ ترابًا من بطحان فجعله في قدح ثم نفث عليه بماء وصبه عليه. أخرجه أبو داود (ح٣٨٨٥)، والنسائي في السنن الكبرى (ح١٠٧٨٩)، وضعفه الألباني (انظر: السلسلة الضعيفة ح١٠٠٥). **لكن يرد على هذا الاستدلال أمران:**

الأول: أن الحديث ضعيف.

الثاني: أن ريقه ﷺ بركة بالإجماع، فلا يقاس عليه سواه.

(٤) زاد المعاد (٤/ ١٥٧).

(٥) المجموع شرح المهذب (٢/ ٧٠)، وانظر: التبيان في آداب حملة القرآن، النووي (ص١٧١-١٧٢).

تسقى لمن به داء، وهذا يقتضي أن لذلك بركة»[(١)].

وقال أيضًا: «يجوز أن يَكتب للمصاب وغيره من المرضى شيئًا من كتاب الله وذكره بالمداد المباح ويغسل ويسقى، كما نص على ذلك أحمد وغيره.

قال عبد الله بن أحمد: قرأت على أبي، ثنا يعلى بن عبيد؛ ثنا سفيان؛ عن محمد بن أبي ليلى عن الحكم؛ عن سعيد بن جبير؛ عن ابن عباس قال: إذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب: باسم الله، لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله، رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾ [النازعات: ٤٦]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

قال أبي: ثنا أسود بن عامر بإسناده بمعناه، وقال: يكتب في إناء نظيف فيسقى، قال أبي: وزاد فيه وكيع: فتسقى وينضح ما دون سرتها[(٢)]»[(٣)].

وقال الإمام ابن مفلح: «قال صالح: ربما اعتلَلْتُ فيأخذ أبي قدَحًا فيه ماء فيقرأ عليه، ويقول لي: اشرب منه واغسل وجهك ويديك، ونقل عبد الله أنه رأى أباه يعوِّذ في الماء ويقرأ عليه ويشربه ويصب على نفسه منه»[(٤)].

وقال الشيخ ابن باز: «لا حرج في القراءة في الماء والزيت في علاج المريض والمسحور والمجنون، ولكن القراءة على المريض بالنفث عليه أولى وأفضل وأكمل»[(٥)].

وجاء في «فتاوى اللجنة الدائمة»: «أما كتابة الآيات بماء الورد والزعفران ونحو ذلك ثم غمرها في الماء وشربها، أو القراءة على العسل واللبن ونحوها ودهن الجسم بالمسك وماء الورد المقروء عليه آيات قرآنية فلا بأس به، وعليه

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٩٩).
(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في مسائل الإمام أحمد بروايته (ص٤٤٧-٤٤٨).
(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٤).
(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٤٥٦).
(٥) مجموع فتاوى ابن باز (٩/ ٤٠٩).

عمل السلف الصالح»[١].



(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٩٧).



المبحث الخامس عشر

التوسل

تعريفه وأقسامه وحكم كل قسم مع أدلته

۞ أولًا: تعريف التوسل:

التوسل لغة: هو التقرب، والوسيلة: هي القربة والواسطة، يقال: توسل إلى ربه بوسيلة: تقرب إليه بعمل[١].

أما التوسل اصطلاحًا: فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لفظ (الوسيلة) و(التوسل) فيه إجمال واشتباه يجب أن تعرف معانيه، ويُعطى كل ذي حق حقه، فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه، وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ومعنى ذلك»[٢]، ثم بين هذا الإجمال فأوضح معنى الوسيلة في القرآن، والسنة، وكلام الصحابة، ومعنى التوسل عند المتأخرين.

معنى الوسيلة في القرآن:

معناها: القربة، ومعنى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: اطلبوا القربة إليه؛ يعني: التقرب إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٣/ ٤٨)، القاموس المحيط (ص١٣٧٩).

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٨٤).

ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥][١]. قال شيخ الإسلام: «الوسيلة التي أمر الله أن تُبتغَى إليه وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي: ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات»[٢].

معنى الوسيلة في السنة:

هي درجة في الجنة للنبي ﷺ خاصة، قال شيخ الإسلام: «لفظ (الوسيلة) في الأحاديث الصحيحة كقوله ﷺ: «**سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد، فمن سأل الله لي الوسيلة حلَّت عليه شفاعتي يوم القيامة**»[٣]، وقوله ﷺ: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد حلت له الشفاعة**»[٤]، فهذه الوسيلة للنبي ﷺ خاصة»[٥]، والوسيلة بهذا المعنى غير مرادة في بحثنا هذا.

معنى التوسل في كلام الصحابة:

قال: «وأما التوسل بالنبي ﷺ... في كلام الصحابة رضي الله عنهم فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته»[٦].

معنى التوسل في كلام المتأخرين:

«التوسل به ﷺ في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به والسؤال به، كما يقسمون ويسألون بغيره من الأنبياء والصالحين، ومن يعتقدون فيه الصلاح»[٧]؛ يعني: «أن يسأل اللهَ عز وجل بذات ذلك المخلوق، ويقسم عليه

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٢٩٠)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٠٣)، زاد المسير، لابن الجوزي (٢/ ٣٤٨)، فتح القدير (٢/ ٣٨).

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٨٤).

(٣) أخرجه مسلم (ح٣٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (ح٦١٤).

(٥) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٨٥).

(٦) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٨٦).

(٧) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٨٦).

تعالى به، أو يسأل ذلك المخلوق نفسه على معنى أنه وسيلة من وسائل الله يتقرب بذاته ويسأل منه شفاعته»[(١)].

۞ ثانيًا: حكم التوسل:

التوسل قسمان: (١) توسل مشروع، (٢) وتوسل ممنوع.

فالمشروع: هو التوسل إلى الله بما شرعه الله ورسوله ﷺ.

والممنوع: هو التوسل إلى الله بما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ.

أنواع التوسل المشروع:

١- **التوسل إلى الله بأسمائه،** قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ أي: ادعوا الله متوسلين بأسمائه وصفاته، قال شيخ الإسلام: «وأما سؤال الله بأسمائه وصفاته التي تقتضي ما يفعله بالعباد من الهدى والرزق والنصر فهذا أعظم ما يسأل الله تعالى به»[(٢)].

٢- **التوسل إلى الله بصفاته العلا،** ومن أمثلة دعاء الله بصفاته ما ورد في دعاء الاستخارة: «**اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك...**»[(٣)].

٣- **التوسل إلى الله بربوبيته،** مثل ما كان النبي ﷺ يقوله إذا قام من الليل يفتتح الصلاة: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض...**» الحديث[(٤)].

٤- **التوسل إلى الله بأفعاله،** ومنه: «**اللهم صلِّ على محمدٍ وآل محمدٍ، كما صلَّيتَ على إبراهيم وآل إبراهيم**»[(٥)]، و«**اللهم أحسنت خَلْقي، فأحسِنْ خُلُقي**»[(٦)].

٥- **التوسل إلى الله بالإيمان بالله سبحانه،** ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٣١٠).

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص١١٥).

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٣٨٢).

(٤) أخرجه مسلم (ح٧٧٠).

(٥) أخرجه البخاري (ح٣٣٧٠).

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٣٧٣)، وقال محققوه: «إسناده حسن».

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران: ١٦]، حيث توسلوا إلى الله بالإيمان به، ثم سألوه المغفرة والرحمة، وقوله سبحانه: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

٦- **التوسل إلى الله بالإيمان برسوله ومحبته واتباعه**، قال ابن أبي العز: «وتارة يقول [يعني: الداعي]: باتباعي لرسولك ﷺ ومحبتي له وإيماني به وسائر أنبيائك ورسلك وتصديقي لهم، ونحو ذلك، فهذا من أحسن ما يكون في الدعاء والتوسل والاستشفاع»(١).

٧- **التوسل بدعاء النبي ﷺ في حياته**، ومنه قول الأعرابي حين أصابت الناسَ سَنَةٌ على عهد رسول الله ﷺ قال: «يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة، فوالذي نفسي بيده ما وضعهما حتى ثار السحاب أمثال الجبال»(٢)، ومنه قول عمر رضي الله عنه: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا»، قال: فيسقون(٣)؛ يعني: نتوسل بدعائه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما التوسل بدعائه وشفاعته -كما قال عمر رضي الله عنه- فإنه توسل بدعائه لا بذاته؛ ولهذا عدلوا عن التوسل به ﷺ إلى التوسُّل بعمه العباس رضي الله عنه، ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالعباس، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس علم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بموته، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له فإنه مشروع دائمًا»(٤)، والتوسل بدعائه إنما يكون في حياته ﷺ لا بعد موته، والتوسل بشفاعته يكون يوم القيامة، يقول شيخ

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٢٩٩).
(٢) أخرجه البخاري (ح٩٣٣).
(٣) أخرجه البخاري (ح١٠١٠).
(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٨٧).

الإسلام ابن تيمية: «التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته، ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته»[(١)].

٨- **التوسل إلى الله بأعمال صالحة معينة عملها العبد**؛ «لأن الأعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل به العبد إلى الله ويتوجه بها ويسأله بها؛ لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله»[(٢)]، كقصة الثلاثة الذين أخبرنا رسول الله ﷺ بحالهم، فقال: «**بينما ثلاثة نفر يمشون، أخذهم المطر، فأووا إلى غار في جبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالًا عملتموها صالحة لله، فادعوا الله بها لعله يفرجها عنكم، قال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار، كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم حلبت، فبدأت بوالدي أسقيهما قبل بني، وإني استأخرت ذات يوم، فلم آتِ حتى أمسيت، فوجدتهما ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما، وأكره أن أسقي الصبية، والصبية يتضاغون عند قدمي حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلته ابتغاء وجهك، فافرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله، فرأوا السماء، وقال الآخر: اللهم إنها كانت لي بنت عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، فطلبت منها، فأبت عليَّ حتى أتيتها بمائة دينار، فبغيت حتى جمعتها، فلما وقعت بين رجليها، قالت: يا عبد الله اتق الله، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمت، فإن كنت تعلم أني فعلته ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة، ففرج، وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجيرًا بفرق أرز، فلما قضى عمله، قال: أعطني حقي، فعرضت عليه، فرغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرًا وراعيها، فجاءني فقال: اتق الله، فقلت: اذهب إلى ذلك البقر ورعاتها، فخذ، فقال: اتق الله ولا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فخذ، فأخذه، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج ما بقي، ففرج الله**»[(٣)]، فهؤلاء الثلاثة

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٨٧). (٢) شرح الطحاوية (١/ ٣٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (ح٢٣٣٣)، ومسلم (ح٢٧٤٣).

توسلوا إلى الله بأعمال صالحة معينة أخلصوا فيها العمل لله، فالأول توسل ببره بوالديه، والثاني توسل إلى الله بعفته عن الحرام، والثالث توسل إلى الله بوفائه وأمانته.

٩- التوسل بدعاء الصالحين، ويدل عليه حديث أم الدرداء رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان يقول: «**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل**»[(١)]، وهذا إنما يكون في حياة الداعي؛ لأنه بموته قد انقطع عمله، وأن يكون في حضوره، فلا يطلب الدعاء من الغائبين؛ لأنهم لا يسمعون.

١٠- التوسل إلى الله بذكر حال الداعي المبينة لاضطراره وحاجته، كقول موسى -عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤][(٢)]، وكقول زكريا -عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤].

أنواع التوسل غير المشروع:

التوسل غير المشروع ينقسم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: التوسل بذات المخلوق، فيدعو المخلوق أو يستغيث به -سواء كان النبي ﷺ أو غيره- فيما لا يقدر عليه إلا الله، كقوله: يا حسين أغثني، يا عبد القادر اشفني من مرضي، ونحو ذلك، فهذا شرك أكبر، وهذا ليس بتوسل في الحقيقة، وإنما سموه توسلًا ليقبل، وإلا فهو عبادة للأموات، والعبادة حق الله جل وعلا، لا يجوز أن يشرك معه غيره في أي نوع من أنواع العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥]،

(١) أخرجه مسلم (ح٢٧٣٣).
(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ٣٤٢).

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧][1].

القسم الثاني: أن يطلب من الميت أن يدعو له، أو يشفع له عند الله، وهذا النوع شرك أيضًا، وهو ما كان عليه أهل الجاهلية الذين قالوا كما حكى الله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقال سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨][2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإن أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحُجَّاب الذين بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم، وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل»[3].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم؛ كفر إجماعًا»[4].

القسم الثالث: التوسل بجاه النبي ﷺ أو غيره من عباد الله الصالحين، كأن يقول المتوسل: بحق فلان أو بجاهه وحرمته ونحو ذلك[5].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٢٤).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٢٦).
(٣) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٦).
(٤) نواقض الإسلام (٢/ ٣٦١)، ضمن (الدرر السنية في الأجوبة النجدية)، وانظر: الفتاوى الكبرى، ابن تيمية (٥/ ٥٣٥)، الإقناع، الحجاوي (٤/ ٢٩٧).
(٥) وقد أجازه العز بن عبد السلام بالنبي ﷺ خاصة، معلقًا القول به على صحة حديث الأعمى. =

وحكم هذا النوع أنه بدعة مذمومة؛ لعدم ورود نص بذلك، قال ابن أبي العز: «وتارة يقول [أي: الداعي]: بجاه فلان عندك، يقول: نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك، ومراده أن فلانًا عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة فأجب دعاءنا، وهذا أيضًا محذور، فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه في حياة النبي ﷺ لفعلوه بعد موته، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه، يطلبون منه أن يدعو لهم، وهم يؤمِّنون على دعائه، كما في الاستسقاء وغيره»[(١)].

وقال الشيخ ابن باز: الدعاء ووسائل الدعاء توقيفية، ولم يرد في الشرع ما يدل على التوسل بجاه محمد ﷺ، بل هذا مما أحدثه الناس، فالتوسل بجاه النبي ﷺ أو بجاه الأنبياء أو بحق النبي أو بحق الأنبياء أو بجاه فلان أو بجاه علي أو بجاه أهل البيت، كل هذا من البدع، والواجب ترك ذلك، لكن ليس بشرك وإنما هو من وسائل الشرك، فلا يكون صاحبه مشركًا، ولكن أتى بدعة تنقص الإيمان وتضعف الإيمان عند جمهور أهل العلم[(٢)].

القسم الرابع: الإقسام على الله بالمتوسل به: كأن يقول: اللهم إني أقسمت عليك بفلان أن تشفي مريضي أو تقضي حاجتي ونحو ذلك.

وحكم هذا النوع التحريم أيضًا؛ وذلك لما يلي:

أولًا: أن الإقسام بالمخلوق لا يجوز شرعًا، وقد قال النبي ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[(٣)]، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**ألا، إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله، أو ليصمت**»[(٤)]. فإذا كان الإقسام

= انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٣١٠).

(١) شرح الطحاوية (١/ ٢٩٨)، وانظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٣٢٣).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٧/ ١٢٩-١٣٠).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (ح٦٠٧٢)، وأبو داود (ح٣٢٥١)، والترمذي (ح١٥٣٥)، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (ح٦١٠٨)، ومسلم (ح١٦٤٦).

بالمخلوق شركًا، فكيف بالإقسام بالمخلوق على الخالق؟! فهذا تقرب إلى الله تعالى بالشرك به.

ثانيًا: أنه ليس لأحد حق على الله ﷻ إلا ما أوجبه الله على نفسه، قال ابن أبي العز: «فإن الداعي تارة يقول: بحق نبيك أو بحق فلان، يقسم على الله بأحد من مخلوقاته، **فهذا محذور من وجهين:**

أحدهما: أنه أقسم بغير الله.

والثاني: اعتقاده أن لأحد على الله حقًّا.

ولا يجوز الحلف بغير الله، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وكذلك ما ثبت في «الصحيحين» من قوله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه، وهو رديفه: «**يا معاذ، أتدري ما حق الله على عباده؟** قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**حقهم عليه أن لا يعذبهم**»[(١)]، فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعده الصادق»[(٢)].

❁ ثالثًا: شبهات دعاة التوسل المحرم والجواب عليها:

اعتمد دعاة التوسل المحرم على بعض «الأحاديث... الضعيفة الواهية، بل الموضوعة، ولا يوجد في أئمة الإسلام من احتج بها ولا اعتمد عليها»[(٣)]، **ومن ذلك ما يلي:**

١- الحديث الذي يُروى عن عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أتى النبي ﷺ فقال: إني أتعلم القرآن وينفلت مني، فقال له رسول الله ﷺ: «**قل: اللهم إني أسألك بمحمد نبيك، وبإبراهيم**

(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٢٩٤-٢٩٥).

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص١٧٧-١٧٨).

خليلك، وبموسى نجيك، وعيسى روحك...» الحديث.

وهذا الحديث لا يصح، قال العراقي: «رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من رواية عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه... وعبد الملك وأبوه ضعيفان، وهو منقطع بين هارون وأبي بكر»(١)، والمصادر التي أخرجت الحديث المذكور تضم أحاديث كثيرة موضوعة، وعبد الملك بن هارون بن عنترة من المعروفين بالكذب، قال يحيى بن معين: كذاب، وقال السعدي: دجال كذاب، وقال البخاري: منكر الحديث(٢).

٢- حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب مرفوعًا وموقوفًا عليه أنه لما اقترف آدم الخطيئة قال: «**يا رب، أسألك بحق محمد لما غفرت لي...**» الحديث.

وهذا الحديث موضوع لا يصح، رواه الحاكم، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد»، لكن تعقبه الذهبي بقوله: «قلت: بل موضوع»(٣)، وقال شيخ الإسلام: «ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه، فإنه نفسه قد قال في كتاب «المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم»: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه(٤)»(٥).

٣- حديث عثمان بن حنيف، أن رجلًا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادعُ الله أن يعافيني، قال: «**إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك**». قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني**

(١) المغني عن حمل الأسفار (ص٣٧٤).

(٢) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص١٧٩).

(٣) المستدرك (٢/ ٦١٥).

(٤) انظر: المدخل إلى الصحيح، للحاكم (ص١٥٤).

(٥) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص١٨٢).

أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمدٍ نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفِّعْه فيَّ»[١].

وهذا من أشهر الأحاديث التي يحتج بها دعاة التوسل الممنوع[٢]، ولا حجة فيه لأهل التوسل المبتدع، فإنه يدل على أنه طلب من الرسول في حياته أن يدعو له، وهذا مما لا خلاف في مشروعيته، ومما يدل عليه قول الأعمى: «**ادع الله أن يعافيني**»، وقوله ﷺ: «**إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت**»، وقول الأعمى: «**فادعه**»، وقوله: «**اللهم فشفِّعْه فيَّ**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فهذا توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، ودعا له النبي ﷺ؛ ولهذا قال: «**وشفِّعْه فيَّ**»، فسأل الله أن يقبل شفاعة رسوله فيه وهو دعاؤه، وهذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، وما أظهر الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات، فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره»[٣].

وقال الشيخ الألباني: «هذا الحديث لا حجة لهم فيه على التوسل المختلف فيه، وهو التوسل بالذات، بل هو دليل آخر على النوع الثالث من أنواع التوسل المشروع الذي أسلفناه[٤]؛ لأن توسل الأعمى إنما كان بدعائه»[٥].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٨/ ٤٧٨)، والترمذي (ح٣٥٧٨)، وابن ماجه (ح١٣٨٥)، والحاكم (١/ ٧٠٠)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) اختلف العلماء في صحة هذا الحديث لاختلافهم في أبي جعفر راوي الحديث، فإن كان الخطمي فهو ثقة والحديث صحيح، وإن كان غيره فهو إذًا الرازي، وهو صدوق، ولكنه سيئ الحفظ، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي» (سنن الترمذي ٥/ ٤٦١)، قال الألباني: «وعلى هذا فالإسناد جيد لا شبهة فيه» (التوسل أنواعه وأحكامه، ص: ٦٩).

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٠١).

(٤) وهو التوسل بدعائه ﷺ.

(٥) التوسل أنواعه وأحكامه (ص٧٠).

وأما رواية الطبراني أن رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف، فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائتِ الميضأة[١] فتوضأ، ثم ائتِ المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم، إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، يا محمد، إني أتوجه بك إلى ربك عز وجل فيقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك[٢]. وقال الطبراني: «لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكي وهو ثقة»[٣]، فالصحيح أنه ضعيف، قال الشيخ الألباني: «إن هذه القصة ضعيفة منكرة؛ لأمور ثلاثة: ضعف حفظ المتفرد بها، والاختلاف عليه فيها، ومخالفته للثقات الذين لم يذكروها في الحديث، وأمر واحد من هذه الأمور كافٍ لإسقاط هذه القصة، فكيف بها مجتمعة؟!»[٤].

٤- حديث: «إذا سألتم اللهَ فاسألوه بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم».

والجواب: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث، مع أن جاهه عند الله تعالى أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين»[٥]، وقال الشيخ الألباني: «هذا باطل لا أصل له في شيء من كتب الحديث البتة، وإنما يرويه بعض الجهال بالسنة»[٦].

٥- حديث: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور أو فاستعينوا بأهل

---

(١) **الميضأة:** ما يتوضأ منه. انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي (٢/ ١٥٢).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ٣٠٦).

(٣) المعجم الصغير للطبراني (١/ ٣٠٦).

(٤) التوسل أنواعه وأحكامه (ص٨٦).

(٥) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٧٥).

(٦) التوسل أنواعه وأحكامه (ص١١٥).

القبور».

والجواب: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فهذا الحديث كذب مفترى على النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه، لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة»(١).

وقال أيضًا: «هذا الحديث من الأكاذيب التي وضعت ليقام بها دين أهل الشرك، كما يقولون: (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله به). وإنما يحسِّن الظنَّ بالأحجار المشركون الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨] وقال تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]»(٢).



(١) مجموع الفتاوى (١/ ٣٥٦)، وانظر: الرد على البكري (٢/ ٥٧٧).

(٢) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، ابن تيمية (ص١٤٢)، تحقيق: سليمان الغصن.



المبحث السادس عشر

التبرك

تعريفه وأنواعه المشروعة والممنوعة

۞ أولًا: تعريف التبرك:

البركة في اللغة تطلق على معنيين:

الأول: الثبوت، قال ابن فارس: «الباء والراء والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشيء»[(١)].

والثاني: الزيادة، قال الخليل: «البركة من الزيادة والنماء»[(٢)].

وقد جمع بينهما ابن القيم، فقال: «البركة: كثرة الخير ودوامه، ولا أحدَ أحقُّ بذلك وصفًا وفعلًا منه تبارك وتعالى، وتفسير السلف يدور على هذين المعنيين»[(٣)].

«والتبرك بالشيء: طلب البركة بواسطته»[(٤)]، والبركة إنما تطلب من الله جل وعلا، لا من المخلوقين؛ لأن كثرة الخير ودوامه إنما تكون من الله، قال

(١) معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٢٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٢٧، ٢٣٠).

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٦٨١)، وانظر أيضًا: المفردات في غريب القرآن (ص١١٩)، تفسير الرازي (١٤/ ٢٧٢)، القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٩٤).

(٤) التبرك أنواعه وأحكامه، د. ناصر الجديع (ص٣٠).

تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

❁ ثانيًا: أنواع التبرك:

التبرك نوعان:

الأول: مشروع، وهو التبرك بما ثبتت بركته بالشرع، كالتبرك بالقرآن الكريم، والتبرك بشرب ماء زمزم، وتبرك الصحابة ﵃ بجسد النبي ﷺ وآثاره، كريقه وعرقه ووَضوئه وفضل شربه وثيابه، والتبرك بمجالسة الصالحين(١).

الثاني: ممنوع، وهو التبرك بأمر غير مشروع التبرك به؛ لعدم ورود الدليل عليه، أو التبرك بأمر مشروع على غير الوجه المشروع؛ لأن التبرك عبادة، والعبادة توقيفية، فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله ورسوله؛ لحديث أبي واقد الليثي ﵁، أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «**سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾** [الأعراف: ١٣٨]، **والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم**»(٢).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «وكان عكوف المشركين عند تلك السدرة تبركًا بها وتعظيمًا لها»(٣).

والتبرك غير المشروع (الممنوع) ينقسم من حيث حكمه إلى قسمين:

الأول: تبرك شركي: وهو أن يعتقد المتبرِّك أن المتبرَّك به -وهو المخلوق- يهَبُ البركة بنفسه، فيبارك في الأشياء بذاته استقلالًا فهذا شرك؛ لأن الله تعالى وحده موجد البركة وواهبها، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**البركة من**

---

(١) انظر تفصيل هذه الأنواع في: التبرك أنواعه وأحكامه (ص٤١) وما بعدها.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (ح٢١٨٩٧)، والترمذي (ح٢١٨٠)، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص١٣٧).

الله»(١)، فطلبها من غيره، أو اعتقاد أن غيره يهبها بذاته شرك أكبر؛ لأن طلب البركة من غير الله هو كطلب الرزق من غير الله، فدعوى أن مخلوقًا بيده البركة من دون الله شرك في الربوبية، وطلبها من المخلوقين شرك في الألوهية، فالله هو الذي بيده البركة، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١]، وقال سبحانه: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ [الصافات: ١١٣]، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١]، وقال النبي ﷺ: «**وبارك لي فيما أعطيت**»(٢).

الثاني: تبرك بدعي: وهو التبرك بما لم يرد دليل شرعي يدل على جواز التبرك به، معتقدًا أن الله جعل فيه بركة، أو التبرك بالشيء الذي ورد التبرك به على غير الوجه المشروع، وهذا بلا شك محرم؛ لأن فيه إحداث عبادة أو كيفية عبادة لا دليل عليها من كتاب أو سنة، ولأنه جعل ما ليس بسبب سببًا، فهو من الشرك الأصغر؛ ولأنه يؤدي إلى الوقوع في الشرك الأكبر، وذلك كالتبرك بالأشجار والأحجار، أو التبرك بقبور الصالحين، وذواتهم، وآثارهم، أو التبرك والغلو بالمقامات والبقع الفاضلة، كمقام إبراهيم، وحجرة النبي ﷺ، وصخرة بيت المقدس، وكل ذلك محرم وطريق للشرك الأكبر(٣).

أما استلام الحجر الأسود وتقبيله، واستلام الركن اليماني من الكعبة المشرفة، فهذا عبودية لله؛ لأنه طاعة لله ورسوله ﷺ؛ ولذا أثر عن عمر رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله، وقال: «إني أعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك»(٤)، فهذا طاعة لأمر الله؛ وذلك تعظيم للمخلوق، وتألُّه له، فالفرق بين الأمرين كالفرق بين الدعاء لله

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٥٧٩).

(٢) أخرجه أبو داود (ح١٤٢٥)، والترمذي (ح٤٦٤)، والنسائي (ح١٧٤٥)، وابن ماجه (ح١١٧٨)، وصححه الألباني (صحيح أبي داود ١٢٨١).

(٣) انظر: مجموع ابن باز (٢٨/ ٢٨٦).

(٤) أخرجه البخاري (ح١٥٩٧).

الذي هو إخلاص وتوحيد، ودعاء المخلوق الذي هو شرك وتنديد.

۞ ثالثًا: حكم التبرك بآثار رسول الله ﷺ:

التبرك بآثار رسول الله ﷺ فيه تفصيل:

١- التبرك بأعضاء جسده الشريف، وهو جائز لفعل الصحابة رضي الله عنهم وإقرار النبي ﷺ لهم، ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها[(١)]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، فربما جاؤوه في الغداة الباردة، فيغمس يده فيها[(٢)].

٢- التبرك بآثار رسول الله ﷺ المنفصلة عن جسده الشريف؛ يعني: التبرك بما مس جسده وانفصل عنه من وَضوء أو عرق أو شعر ونحو ذلك، فهذا جائز لفعل الصحابة رضي الله عنهم مع إقرار النبي ﷺ لذلك، ومن ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى مِنًى، فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال للحلاق: «خذ»، وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس، وفي رواية: فبدأ بالشق الأيمن، فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس، ثم قال بالأيسر فصنع به مثل ذلك، ثم قال: «**ها هنا أبو طلحة؟**» فدفعه إلى أبي طلحة[(٣)].

وفي حديث صلح الحديبية أن عروة بن مسعود قال في وصف أصحاب رسول الله ﷺ: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٥٠١٦)، ومسلم (ح٢١٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (ح٢٣٢٤).

(٣) أخرجه مسلم (ح١٣٠٥).

(٤) أخرجه البخاري (ح٢٧٣١).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها، وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فأُتيت فقيل لها: هذا النبي ﷺ نام في بيتك، على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق، واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها[(١)] فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففزع النبي ﷺ فقال: «**ما تصنعين يا أم سليم؟**» فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال: «**أصبت**»[(٢)].

وهذه الآثار لم يبق منها شيء، فالتبرك بها لا يمكن لعدم وجودها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن صخرة بيت المقدس: «وما يذكره بعض الجهال فيها من أن هناك أثر قدم النبي ﷺ وأثر عمامته وغير ذلك، فكله كذب»[(٣)].

ويقول الشيخ الألباني: «ونحن نعلم أن آثاره ﷺ من ثياب أو شعر أو فضلات قد فقدت، وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيء منها على وجه القطع واليقين، وإذا كان الأمر كذلك فإن التبرك بهذه الآثار يصبح أمرًا غير ذي موضوع في زماننا هذا»[(٤)].

٣- التبرك بآثاره المكانية، كحجرته ومنبره والمواطن التي نزل بها كغار حراء وغار ثور، فلا يشرع التبرك بها؛ إذ لا يعرف عن أحد من الصحابة أنه قصدها للتبرك بها والدعاء عندها، فلم يثبت عن أحد من الصحابة أنهم كانوا «يذهبون إلى غار حراء ليصلوا فيه أو يدعوا، ولم يكونوا يذهبون إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى ليصلوا فيه ويدعوا، أو إلى غير هذه الأمكنة من الجبال التي يقال: إن فيها مقامات الأنبياء أو غيرهم، ولا إلى مشهد مبني على

(١) هي كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها. انظر: شرح النووي على مسلم (١٥/ ٨٧).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٣٣١).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٣)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٦٣).
(٤) التوسل أنواعه وأحكامه (ص١٤٤)، وانظر: الآثار النبوية، أحمد تيمور باشا (ص٧٩، ٩٩).

أثر نبي من الأنبياء. وأيضًا فإن المكان الذي كان النبي ﷺ يصلي فيه بالمدينة النبوية دائمًا لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يقبله، ولا الموضع الذي صلى فيه بمكة وغيرها»(١).

وأما ما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما من تتبعه للأمكنة التي صلى فيها النبي ﷺ ليصلي فيها(٢)، فليس فيه أنه فعل ذلك بقصد التبرك بها، إنما فعله مبالغة منه في الاقتداء والاتباع لرسول الله ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد تنازع العلماء فيما إذا فعل [أي: النبي ﷺ] فعلًا من المباحات لسبب، وفعلناه نحن تشبهًا به مع انتفاء ذلك السبب، فمنهم من يستحب ذلك، ومنهم من لا يستحبه، وعلى هذا يخرَّج فعل ابن عمر رضي الله عنهما، بأن النبي ﷺ كان يصلي في تلك البقاع التي في طريقه؛ لأنها كانت منزلَه، لم يتحرَّ الصلاة فيها لمعنى في البقعة، فنظير هذا: أن يصلي المسافر في منزله، وهذا سنة، فأما قصد الصلاة في تلك البقاع التي صلى فيها اتفاقًا، فهذا لم ينقل عن غير ابن عمر من الصحابة، بل كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار يذهبون من المدينة إلى مكة حجَّاجًا وعُمَّارًا ومسافرين، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرى الصلاة في مصليات النبي ﷺ، ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحبًّا لكانوا إليه أسبق، فإنهم أعلم بسنته وأتبع لها من غيرهم»(٣).

وعن نافع قال: بلغ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه أن ناسًا يأتون الشجرة التي بويع تحتها، قال: فأمر بها فقطعت(٤).

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص٣٣٥).

(٢) انظر: صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب المساجد التي على طرق المدينة، والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ (١/ ١٠٣) وما بعدها.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٧٨).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٣٧٥)، وابن سعد في الطبقات (٢/ ١٠٠)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر (انظر: فتح الباري ٧/ ٤٤٨).

وعن مروان بن سويد الأسدي قال: خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من مكة إلى المدينة، فلما أصبحنا صلى بنا الغداة، ثم رأى الناس يذهبون مذهبًا فقال: أين يذهب هؤلاء؟ قيل: يا أمير المؤمنين، مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ هم يأتون يصلون فيه، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، يتبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبِيَعًا، من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصلِّ، ومن لا فليمضِ، ولا يعتمدها»[(١)]. قال الشيخ ابن باز: «وقد ثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أنكر تتبع آثار الأنبياء، وأمر بقطع الشجرة التي بويع النبي ﷺ تحتها في الحديبية لما قيل له: إن بعض الناس يقصدها؛ حماية لجناب التوحيد، وحسمًا لوسائل الشرك والبدع والخرافات الجاهلية»[(٢)].

٤- التبرك الأسمى والأعلى يكون باتباع شريعته ﷺ والتمسك بسنته والاهتداء بهديه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أهل المدينة لما قدم عليهم النبي ﷺ في بركته لما آمنوا به وأطاعوه فببركة ذلك حصل لهم سعادة الدنيا والآخرة، بل كل مؤمن آمن بالرسول وأطاعه حصل له من بركة الرسول بسبب إيمانه وطاعته من خير الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله»[(٣)].

۞ رابعًا: حكم التبرك بآثار الصالحين:

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «ذكر بعض المتأخرين أن التبرك بآثار الصالحين مستحب كشرب سؤرهم، والتمسح بهم أو بثيابهم، وحمل المولود إلى أحد منهم ليحنكه بتمرة حتى يكون أول ما يدخل جوفه ريق الصالحين، والتبرك بعرقهم ونحو ذلك، وقد أكثر من ذلك أبو زكريا النووي

---

(١) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (٢/ ٨٧)، والطحاوي في مشكل الآثار (١٢/ ٥٤٤)، (١٤/ ٣٩٦)، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، كما قال الألباني (انظر: تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي ص: ٥٠).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٤٠٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ١١٣).

في «شرح مسلم» في الأحاديث التي فيها أن الصحابة فعلوا شيئًا من ذلك مع النبي ﷺ، وظن أن بقية الصالحين في ذلك كالنبي ﷺ، **وهذا خطأ صريح لوجوه:**

منها: عدم المقاربة فضلًا عن المساواة للنبي ﷺ في الفضل والبركة.

ومنها: عدم تحقق الصلاح، فإنه لا يتحقق إلا بصلاح القلب، وهذا أمر لا يمكن الاطلاع عليه إلا بنص، كالصحابة الذين أثنى الله عليهم ورسوله، أو أئمة التابعين، ومن شهر بصلاح ودين كالأئمة الأربعة ونحوهم من الذين تشهد لهم الأمة بالصلاح وقد عدم أولئك[(١)]، أما غيرهم، فغاية الأمر أن نظن أنهم صالحون فنرجو لهم.

ومنها: أنَّا لو ظننا صلاح شخص، فلا نأمن أن يختم له بخاتمة سوء، والأعمال بالخواتيم، فلا يكون أهلًا للتبرك بآثاره.

ومنها: أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك مع غيره لا في حياته، ولا بعد موته، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، فهلا فعلوه مع أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ونحوهم من الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة؟ وكذلك التابعون، هلا فعلوه مع سعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين، وأويس القرني، والحسن البصري ونحوهم ممن يقطع بصلاحهم؟ فدل أن ذلك مخصوص بالنبي ﷺ.

ومنها: أن فعل هذا مع غيره ﷺ لا يؤمن أن يفتنه، وتعجبه نفسه، فيورثه العُجْب والكبر والرياء، فيكون هذا كالمدح في الوجه بل أعظم»[(٢)].



---

(١) ومع الشهادة لهم بالصلاح فلم يقع من الصحابة التبرك بهم، فلم يتبركوا بأفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين وهم الخلفاء الراشدون، ولو كان مشروعًا لسبقونا إليه.

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص١٥٠-١٥١)، وانظر: الاعتصام (١/ ٤٨٢)، الحِكَم الجديرة بالإذاعة (ص٤٦).



المبحث السابع عشر

الأعياد الشرعية والبدعية

المراد بها وأنواعها وأحكامها

۞ أولًا: المراد بالأعياد:

العيد اسم لكل ما يعود ويتكرر[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العيد: اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائد: إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر، أو نحو ذلك. فالعيد: يجمع أمورًا، منها: يوم عائد كيوم الفطر، ويوم الجمعة. ومنها: اجتماع فيه، ومنها: أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات، وقد يختص العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقًا، وكل هذه الأمور قد تسمى عيدًا»[٢].

فمثال إطلاق العيد على الزمان، تسمية يوم الجمعة عيدًا، كما في حديث ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن هذا يوم عيد، جعله الله للمسلمين، فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل، وإن كان طيب فليمس منه، وعليكم بالسواك**»[٣]، وعن

---

(١) تهذيب اللغة (٣/ ١٣٢)، لسان العرب (٣/ ٣١٥)، القاموس المحيط (ص٣٠٢).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٩٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه (ح١٠٩٨)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٨٦).

عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب**»(١).

ومثال إطلاق العيد على المكان، حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»(٢).

ومثال إطلاقه على مجموع اليوم والعمل فيه، حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا**»(٣).

۞ ثانيًا: أنواع الأعياد وأحكامها:

الأعياد قسمان:

الأول: أعياد شرعية: وهي عيد الأضحى وعيد الفطر، وعيد أسبوعي، وهو يوم الجمعة، فعن أنس رضي الله عنه، قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: «**ما هذان اليومان؟**» قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما: يوم الأضحى، ويوم الفطر**»(٤)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإبدال من الشيء يقتضي ترك المبدل منه؛ إذ لا يجمع بين البدل والمبدل منه؛ ولهذا لا تستعمل هذه العبارة

---

(١) أخرجه أبو داود (ح٢٤١٩)، والترمذي (ح٧٧٣)، والنسائي (ح٣٠٠٤)، وصححه الألباني (إرواء الغليل ٤/ ١٣٠).

(٢) أخرجه أبو داود (ح٢٠٤٢)، وأحمد في المسند (١٤/ ٤٠٣)، وصححه الألباني (أحكام الجنائز ص: ٢١٩).

(٣) أخرجه البخاري (ح٩٥٢)، ومسلم (ح٨٩٢).

(٤) أخرجه أبو داود (ح١١٣٤)، والنسائي (ح١٥٥٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٤٤٦٠).

إلا فيما ترك اجتماعهما. . . فقوله ﷺ: «**إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما**» يقتضي ترك الجمع بينهما، لا سيما وقوله: «**خيرًا منهما**» يقتضي الاعتياض بما شرع لنا، عما كان في الجاهلية»[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر: «واستنبط منه كراهة الفرح في أعياد المشركين والتشبه بهم»[(٢)].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم: «**تعيين يوم ثالث من السنة للمسلمين فيه عدة محاذير شرعية:**

أحدها: المضاهاة بذلك للأعياد الشرعية.

المحذور الثاني: أنه مشابهة للكفار من أهل الكتاب وغيرهم في إحداث أعياد لم تكن مشروعة أصلًا، وتحريم ذلك معلوم بالبراهين والأدلة القاطعة من الكتاب والسنة، وليس تحريم ذلك من باب التحريم المجرد، بل هو من باب تحريم البدع في الدين، وتحريم شرع دين لم يأذن به الله»[(٣)].

الثاني: أعياد بدعية: وهي موافقة الكفار في أعيادهم، أو إحداث أعياد لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ، قال تعالى في مدح عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ۝٧٢﴾ [الفرقان: ٧٢]، قال الإمام ابن كثير: «قال أبو العالية، وطاوس، ومحمد بن سيرين، والضحاك، والربيع بن أنس، وغيرهم: هي أعياد المشركين»[(٤)].

وعن ثابت بن الضحاك، قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلًا ببوانة فأتى النبي ﷺ، فقال: إني نذرت أن أنحر إبلًا ببوانة، فقال النبي ﷺ: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» قالوا: لا، قال: «**هل كان فيها عيد من أعيادهم؟**»، قالوا: لا، قال رسول الله ﷺ: «**أوفِ بنذرك، فإنه لا وفاء**

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٨٦-٤٨٧).   (٢) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٤٤٢).
(٣) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٣/ ١٠٩).
(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ١٣٠).

لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»[١]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجه الدلالة: أن هذا الناذر كان قد نذر أن يذبح نعمًا -إما إبلًا، وإما غنمًا، وإما كانت قضيتين- بمكان سماه، فسأله النبي ﷺ: «**هل كان بها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» قال: لا، قال: «فهل كان بها عيد من أعيادهم؟» قال: لا، قال: «**أوفِ بنذرك**»، ثم قال: «**لا وفاء لنذر في معصية الله**»، وهذا يدل على أن الذبح بمكان عيدهم ومحل أوثانهم معصية لله»[٢].

وعن أم سلمة رضي الله عنها، تقول: كان رسول الله ﷺ يصوم يوم السبت ويوم الأحد أكثر مما يصوم من الأيام، ويقول: «**إنهما يوما عيد المشركين، فأنا أحب أن أخالفهم**»[٣]، قال الحافظ ابن حجر: «أشار بقوله: (يوما عيد) إلى أن يوم السبت عيد عند اليهود، والأحد عيد عند النصارى، وأيام العيد لا تصام فخالفهم بصيامها»[٤].



(١) أخرجه أبو داود (ح٣٣١٣)، وصححه الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة ح٢٨٧٢).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٩٥).
(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤٤/ ٣٣٠-٣٣١)، والنسائي في الكبرى (ح٢٧٨٩)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٤٨٠٣).
(٤) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٣٦٢).



المبحث الثامن عشر

برامج التدريب والاستشفاء المعاصر

صورها وأحكامها

انتشرت في عصرنا برامج للتدريب والاستشفاء ظاهرها أنها برامج طبية ونفسية فتهافت عدد من الناس عليها، واستشرت لدى شرائح متنوعة في المجتمعات الإنسانية، وصارت عند البعض وسيلة لكسب المال بطريق الخداع، وقد تم إجراء دراسات علمية عليها وتبين عدم جدواها، وأدرك أهل الاختصاص أنها تحمل في باطنها أصولًا من المعتقدات الهندوسية والبوذية والطاوية.

وفيما يلي عرض نماذج منها:

۞ أولًا: برامج التدريب:

ومن أشهرها ما يلي:

١- البرمجة اللغوية العصبية:

«يتكون مصطلح البرمجة اللغوية العصبية من ثلاثة ألفاظ مركبة: لفظ (البرمجة)، ويشير إلى أن الناس يتصرفون وفق برامج وأنظمة شخصية تتحكم في طرق تعاملهم مع شؤون الحياة المختلفة، و(اللغوية) وفيها إشارة إلى أساليب التعبير والتواصل التي تتم من خلالها البرمجة، سواء كانت منطوقة أو

لم تكن، و(العصبية) وتشير إلى تأثر المخ والعمليات العصبية بالبرمجة اللغوية، وعليه، فإنه يمكن تعريف البرمجة اللغوية العصبية بأنها: تقنية نفسية تعمل على تغيير هيكلة التفكير والسلوك من خلال تأثير اللغة والألفاظ على التكوين العصبي للإنسان...»[(١)].

يقول الدكتور روبرت كارول (أستاذ الفلسفة والتفكير الناقد بكلية ساكرمنتوا بكاليفورنيا): «يدعي أهل البرمجة أنها تساعد الإنسان على التغيير بتعليمه كيف يبرمج دماغه، فيقولون: إننا أعطينا أدمغة، ولم نعط معها دليل تعليمات التشغيل، فالبرمجة اللغوية العصبية تقدم لك دليل مستخدم للدماغ؛ ولذلك يطلق عليها أحيانًا (برامج للدماغ)»[(٢)].

نشأتها:

تأسست وتطورت في السبعينيات الميلادية؛ أي: ما بين عامي ١٩٧٣-١٩٧٨م على يد مجموعة من طائفة العصر الجديد الباطنية[(٣)(٤)].

وهي من أشهر برامج التدريب الوافدة، وأولها دخولًا إلى العالم العربي والإسلامي، وهي تدريبات مقتبسة من خليط من العلوم والفلسفات والاعتقادات والممارسات، تهدف لإعادة صياغة صورة الواقع في ذهن الإنسان، بحيث تصبح داخل الفرد وتنعكس على تصرفاته، وهي مبنية على أفكار فلسفية باطنية مستمدة من البوذية تعتقد بأن للإنسان إمكانات وقدرات غير محدودة يمكنه تحصيلها عن طريق العقل الباطن، وتجعله يستغني عن أي مصدر خارجي[(٥)].

---

(١) حركة العصر الجديد، د. هيفاء الرشيد (ص٤٣٣).

(٢) علاجات نفسية (ص٦٩).

(٣) للتعرف على هذه الطائفة، ينظر: حركة العصر الجديد، مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها، د. هيفاء الرشيد (ص٢٢، وما بعدها).

(٤) انظر: علاجات نفسية، د. فوز كردي (ص٦٩).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص٨٧-٩٠).

٢- قانون الجذب:

وهو قانون «يزعم أنصاره أنه قانون كوني يمكِّن الإنسان من اجتذاب كل ما يريده من الحياة (الصحة، السعادة، الثروة، الحب...) إلى نفسه، يعتمد هذا القانون على الاعتقاد بأن التركيز على شيء ما يبعث إليه ذبذبات من طاقة الإنسان، ومن ثَمَّ فهو الذي يحصل عليه بغض النظر عن إرادته له؛ ولذلك يتم التدريب على كيفية التركيز على ما يريده الإنسان لتتوجه إليها الطاقة/ الذبذبات المزعومة فيجذبها، وهذا الأمر ليس له دليل علمي، بل يتعارض مع الحقائق العلمية»(١).

وقانون الجذب مبدأ قديم له أصل في الفلسفة الشرقية، وفي الفكر الباطني، وهو قائم على أن الفكر هو الذي يخلق الواقع، وأن ما يفكر فيه الإنسان يتجلى عبر تحول الفكرة المجردة إلى حدث أو وجود محسوس، فالإنسان -حسب هذا القانون- مسؤول مطلق عن حياته، وهو الذي يصنع قدره بنفسه(٢).

٣- المشي على الجمر:

أصل تدريب المشي على الجمر مأخوذ من الديانات الشرقية، فهو عند الهندوس طقس سنوي لإظهار القداسة للرهبان والنساك، وفي البوذية يعتبر رمزًا للتغلب على العجز البشري، **وصورته:** هي مشي المتدربين حفاة على جمر ملتهب لمحاولة التحرر من إسار العقل المانع من انطلاق الخيال والقوى الكامنة، والتأكيد على مبدأ انعدام المستحيل، فيدخل المتدرب في حالة من الحماس والاندفاع فيمشي على الجمر وهو يردد: النار باردة، النار باردة(٣).

---

(١) علاجات نفسية (ص٧٥). وانظر: مقال الفأل المفترى عليه، د. هيفاء الرشيد (ص١٢).
(٢) انظر مقال: الفأل المفترى عليه، د. هيفاء بنت ناصر الرشيد (ص١٢-١٣).
(٣) انظر: أثر الفلسفة الشرقية (ص٩٣-٩٤).

ومن الهندوسية انتقل إلى البوذية[١]، وأتباع الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية في بلاد البلقان وأوروبا الشرقية[٢]، والرافضة[٣]، ثم أصبحت ضمن تطبيقات العصر الجديد، وأقيمت لها الدورات التدريبية في كبرى الشركات الأمريكية والأوروبية[٤].

تقول إحدى المدربات: «إن النار قد تحرق، وقد تشفي، الفرق يكمن في إرادتنا وإيماننا، الجسد لا يمكن أن يمشي على الجمر، ولكن الروح تستطيع من خلال حركتها خلال الجسد... إن المشي على الجمر هو الانفتاح على الجميع من خلال تحوير الوعي... فإذا اعتقد الإنسان أن النار ستحرقه فإنها ستحرقه، ولكن حرارة النار ليست حقيقية، ولا يمكن أن تخدع الروح اليقظة»[٥].

وهذه دعاوى وهمية؛ لأنها خارجة عن المعقول والمحسوس؛ ولذا قالت اللجنة الدائمة: إنها من «الأمور الخارجة عن العادة البشرية، كل ذلك يعتبر من الدجل والشعوذة والسحر»[٦].

٤- تحليل الشخصية:

هي دعوى معرفة أسرار الإنسان وخصائص شخصيته بمعرفة اللون الذي يفضله، أو نوعية توقيعه أو حروف اسمه وأمثال ذلك، فيزعمون أن من يبدأ اسمه بحرف كذا شخصيته كذا، ومن يحب اللون كذا فهو كذا[٧].

فهي كدعاوى الكهانة الكاذبة أو التنجيم المحرم، ولا يدخل في ذلك ما يقوم به أهل الاختصاص في الطب النفسي من الاعتماد على المعارف العلمية

(١) انظر: المشي على الجمر، د. هيفاء الرشيد (ص١٨).
(٢) انظر: المصدر السابق (ص٢١).
(٣) انظر: المصدر السابق (ص٢٥).
(٤) انظر: المصدر السابق (ص٣٢).
(٥) حركة العصر الجديد (ص٤١٨).
(٦) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٦/ ٢٦٩).
(٧) انظر: وقفات مع الفكر العقدي الوافد (ص٢٥).

والطرق الاستقرائية في الكشف عن الحالة المرضية النفسية للإنسان.

۞ ثانيًا: برامج الاستشفاء:

ومن أشهرها ما يلي:

١- الطاقة الكونية:

تعريفها: «هي طاقة فلسفية يعتقد أصحاب الديانات الشرقية أنها سبب وجود كل شيء، وهي جوهر كل شيء، وهي مانحة السعادة والحكمة والصحة، وأنه انقسم منها جزء يوجد بشكل حر منساب في الكون، ويمكن للإنسان التدرب على كيفية استمداده والاتحاد معه، من أجل تحصيل السعادة والحكمة والصحة»[(١)].

و«الطاقة الكونية بأسمائها المختلفة هي أصل الفلسفة الشرقية، وهي أصل في برامج التدريب والاستشفاء المنبثقة عنها»[(٢)].

«وهي مبدأ وفلسفة ليس له علاقة بالعلم، ولا باسم الطاقة المعروف في الفيزياء، إلا أن مروجيها يستخدمون هذا الاسم فيشكلون على الناس»[(٣)].

أسماؤها: يطلق عليها في الفلسفة الغربية الروحية وبرامج العصر الجديد أسماء ذات صبغة علمية أو دعائية، منها: (الطاقة الروحية)، و(قوة الحياة) باعتبارها مصدر الحياة ومنبعها بزعمهم، و(قوة الشفاء) باعتبار ما ينسب لها من قدرات شفائية، و(الطاقة الكونية) لكونها أصل الكون وهي مبثوثة فيه كما يدعون، و(الطاقة البشرية) باعتبار أنها قابلة للاستمداد عند البشر ومن ثَمَّ إيصالهم من خلالها إلى ما يؤملون بحسب الفلسفة الشرقية[(٤)]، وهي تسمى

---

(١) أثر الفلسفة الشرقية والعقائد الوثنية في برامج التدريب والاستشفاء المعاصرة، د. فوز بنت عبد اللطيف كردي، (ص٤٥).

(٢) المصدر السابق (ص٢٤).

(٣) المصدر السابق (ص٤٤).

(٤) انظر: أثر الفلسفة الشرقية والعقائد الوثنية في برامج التدريب والاستشفاء المعاصرة (ص٤٤-٤٥).

بأسمائها الأصلية في اللغات الشرقية[(١)].

جذورها: هي «نظرية فلسفية عقدية قامت على أساس التصور العام للكون والوجود والحياة عند من لم يعرفوا النبوات أو يكفرون بها، ومن ثَمَّ يحاولون الوصول إلى معرفة الغيب، وتفسير ما وراء عالم الشهادة بعقولهم وخيالاتهم»[(٢)].

وهي تقوم على عقيدة إلحادية، وهي عقيدة وحدة الوجود وأن المخلوقات هي عين الخالق، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

يقول صاحب كتاب أسرار الطاقة: «عندما تدرك بأنك موجود في كل الوجود... ستشعر بأنك جزء لا ينفصل عن الوحدة الكونية، ومن الطاقة الكامنة فيك المتجسدة من طاقة الخالق، وهنا أعود لأذكركم بالحلاج:

روحه روحي وروحي روحه   إن يشأ شئت وإن شئت يشأ

وحينها ستصبح الناظر والمنظور، والقارئ والمقروء، وستصبح الوجه والمرآة، وتصبح كأعظم الكلمات في كتب الأناشيد (الحلقة الكاملة المتعبد مع الله واحد، الطالب والمطلوب واحد»[(٣)].

إذن فلسفة الطاقة الكونية «ترتبط ارتباطًا كليًّا بتصورهم الفلسفي للوجود،

---

(١) «من تلك التسميات (التشي) وهو الاسم المعروف في عقائد الصين وتطبيقاتها الحياتية الاستشفائية والقتالية، ومنها (الكي) في عقائد اليابان والتطبيقات العلاجية عندهم، وهي (البرانا) عند الهندوس وممارسي التنفس العميق، وهي المسماة (الكا) عند الفراعنة، واسمها (إلكترا) في وثنية روما القديمة، وهي (قوة ساي) عند الماركسيين في الاتحاد السوفيتي وأتباعهم» (حقيقة العلاج بالطاقة بين العلم والقرآن ص٢٥).

(٢) حقيقة العلاج بالطاقة بين العلم والقرآن، د. عبد الغني مليباري، ود. فوز كردي (ص٢٤)، ضمن كتاب: مقالات وأسئلة وإجابات حول أبرز التطبيقات للمذاهب الباطنية الروحية المعاصرة، جمع وترتيب: خلود السالم.

(٣) أسرار الطاقة، حكم الزمان حمزة (ص١٦٦-١٦٧)، نقلًا عن: أثر الفلسفة الشرقية والعقائد الوثنية في برامج التدريب والاستشفاء المعاصرة (ص٢٤).

وهي تعبير عن عقيدة وحدة الوجود المتجذرة في تلك الفلسفات»[١].

وبهذه الطاقة المزعومة يتحول المخلوق إلى كائن يصنع المعجزات والخوارق، يقول للشجرة: (موتي) فتموت، وللمريض: (كن معافى) فيتعافى، وللصحيح: (كن مريضًا) فيصاب بالمرض، تقول مريم نور (وهي إحدى أوائل المدربين على تطبيقات الاستشفاء الوافدة في العالم العربي والإسلامي) في تعريفها للمانترا[٢]: «كلمة واحدة فقط تقوم بتكرارها وتكرارها، بحيث تتركز طاقة العقل كلها في هذه الكلمة وحدها، عندها تتحول هذه الكلمة إلى عدسة تجمع كل الطاقة الموجودة في عقلك مما يجعلك قويًّا ومؤثرًا، حتى إنك تستطيع عمل المعجزات فقط بالتفكير... إذا كنت ممن يتقنون المانترا فإنك تستطيع أن تقول للشجرة: فلتموتي، فإنها ستموت، كما يمكنك أن تقول لأحد الأشخاص: كن معافى، فإنه سيتعافى من المرض، وإذا قلت لأحدهم: كن مريضًا، فإنه سيصاب بالمرض»[٣]، وهذا دجل وتخريف يكفي مجرد عرضه لمعرفة زيف هذه الدعاوى.

وبحث العلاج بالطاقة تندرج تحته كثير من الممارسات، منها:

١- العلاج بالريكي «وهو فرع علاجي متخصص من فروع العلاج بالطاقة، تشمل تمارين وتدريبات يزعم المدربون فيها أنهم يفتحون منافذ الاتصال بالطاقة الكونية (كي)، ويساعدون الناس على طريقة تدفيقها في أجسامهم؛

---

(١) حركة العصر الجديد، د. هيفاء بنت ناصر الرشيد (ص٤٥٨).

(٢) المانترا لفظة خاصة تُكَرَّر بهدوء لفتح ما يسمونه: (الشاكرات)، وغالبًا ما تكون أسماء لما يقدس في أديان الشرق، ويعتقد الشرقيون أن المانترا تعمل على جمع الطاقة كما لو كانت عدسة، فيصبح الشخص قادرًا بقوة الطاقة على التصرف في الأشياء المحسوسة وغير المحسوسة بمجرد النظر والأمر. ينظر: فصل المانترا من مذكرة ستة أيام في دار السلام لمريم نور، نقلًا عن: أثر الفلسفة الشرقية والعقائد الوثنية في برامج التدريب والاستشفاء المعاصرة (ص٣١) الهامش.

(٣) أثر الفلسفة الشرقية (ص٣٢).

مما يزيد قوة الجسم وحيويته، ويعطي الجسم قوة إبراء ومعالجة ذاتية، كما تعطي صاحبها بعد ذلك القدرة على اللمسة العلاجية -بزعمهم- التي تجعلهم معالجين روحيين محترفين، وهي ممارسات وثنية يختلط فيها الدجل بالشعوذة والسحر، وإن ادعى أصحابها تنمية القوى البشرية أو المعالجة النفسية»[(١)].

٢- «ومنها: أسورة الطاقة وهي أنواع متعددة، منها: النحاسية، ومنها: الستيل، ومنها: المطاطية، ومنها: أنواع بقطع مغناطيس صغيرة، ويزعم أنها تحسن الصحة وتزيد الحيوية العامة للجسم عن طريق تحسين سريان الطاقة وتحقيق الاتزان لجسم الإنسان، والحقيقة أنها مجرد أوهام يتعلق بها فتقدح في توحيدهم لله»[(٢)]؛ لأنها لا تختلف عن التمائم الشركية إلا بالتسمية.

٣- ومن ذلك ما يسمى بقرص الطاقة الحيوي، حيث يزعمون بأنه وسيلة علاجية ناجعة، وهو أيضًا نوع من التمائم الشركية، كما أنها نوع من الغش والخداع[(٣)].

---

(١) علاجات نفسية، د. فوز كردي (ص٧١-٧٢)، ضمن كتاب: مقالات وأسئلة وإجابات حول أبرز التطبيقات للمذاهب الباطنية الروحية المعاصرة.

(٢) علاجات نفسية، د. فوز كردي (ص١٠٦).

(٣) وقد وجد من يسوق له في بلادنا، فبادرت الجهات الرقابية إلى منعه والتحذير منه، «جاء في جريدة الوطن السعودية أن المتحدث الإعلامي بوزارة الصحة الدكتور خالد مرغلاني قال: «إن وزارة الصحة بدأت بمتابعة عملية النصب الترويجية لما يعرف بقرص الطاقة البايو ديسك التي قام بها عدد من الأشخاص في منطقة نجران مستغلين حاجة المرضى والناس للعلاج وترويج منتجات غير مرخصة وغير شرعية قد تؤدي إلى الضرر الحتمي على حياة المواطن والمقيم»، ونفى مرغلاني أن يكون قرص الطاقة مرخصًا من وزارة الصحة معتبرًا أن هذا المنتج غير مسموح من الوزارة وغير مسجل لديها وأن مروجه قد يرتكب جريمة في حق الناس عن طريق الإضرار بصحتهم واستنزاف جيوبهم» (قرص الطاقة الحيوية تمائم العصر، د. فوز كردي (ص١٠٧)، ضمن كتاب: مقالات وأسئلة وإجابات حول أبرز التطبيقات للمذاهب الباطنية الروحية المعاصرة).

٢- الاستشفاء بالألوان:

إن من الألوان ما يسر النفس ويبعث على الارتياح، لكن لا يعد عند أهل الاختصاص علاجًا، بينما يقدم كنوع من العلاج في بعض عيادات الطب البديل[١]، «وتستخدم الألوان كوسيلة لتحقيق الهدف الأول للفلسفة الشرقية، فاللون وسيلة للاتحاد بالكلي[٢]، ويتم العلاج بالألوان كتطبيق علاجي عن طريق اكتشاف المعالج اللون المناسب للمريض، والذي فيه سر شفائه أو سعده عن طريق... حث المريض على ارتداء الملابس ذات اللون المناسب لطاقته، أو الالتفاف بالأقمشة الملونة، أو باستخدام مصابيح ملونة تسلط أشعتها على المريض، أو عن طريق تناول أغذية تحمل اللون الذي يحتاجه المريض»[٣].

ويزعمون أن للألوان تأثيرًا على صحة الإنسان، ورد في مجلة الطب البديل أن «اللون الفيروزي يستخدم لعلاج الحساسية المفرطة وتسكين الآلام، وأيضًا لإثارة الإلهام، واللون الوردي مثير للبهجة ويستخدم لتحسين المزاج، واللون البني يستخدم في تسكين حالات اضطرابات التفكير ويساعد على توازن العقل»[٤].

---

(١) الطب البديل مصطلح واسع يضم الضار والنافع، «لكنه حديثًا جمع مع ذلك وصفات شركية وطقوسًا وثنية مختلفة... ورفضت هذه البرامج في الأوساط العلمية؛ لكونها لا تقوم على أصول علمية صحيحة» (أثر الفلسفة الشرقية ص: ٤٣) الهامش.

(٢) الكلي عندهم هو أصل كل شيء، وإليه يعود كل شيء، وهو لا يرى ولا شكل له، وليس له بداية ولا نهاية، ويترجم خطأ في بعض الترجمات بـ(الله) أو (God) للتشابه في المعتقد بين الله والكلي أو محاولة للتقريب بين ما يخبر به الأنبياء وما يخبر به الحكماء، وتسمى هذه العقيدة عندهم عقيدة الوحدة. انظر: أثر الفلسفة الشرقية (ص٢١-٢٢).

(٣) المصدر السابق (ص٧٩-٨٠).

(٤) مجلة الطب البديل (عدد٥٩، يناير ٢٠٠٩)، نقلًا عن: أكذوبة الطاقة، ناهد طليمات (ص٣٨).

وهذه مجرد أوهام لا أساس لها من الصحة، وقد صان الإسلام العقل، وحفظ للمسلم اعتقاده من الاعتماد على الأوهام والخرافات، وجعل ما ليس بسبب سببًا من الشرك الأصغر كما سيأتي.

واستخدام الألوان في العلاج جزء أصيل من الفلسفة الشرقية الملحدة[(١)].

٣- الاستشفاء بالأحجار الكريمة:

وهو أحد فروع الطب البديل والعلاج بالطاقة الكونية، «حيث يدعي أهل هذا العلاج بأن الأحجار الكريمة والبلورات لها خصائص سرية تحسن صحة البدن والنمو الروحي والاستقرار النفسي، وبحسب الناحية النفسية تحدد الأحجار المناسبة، منها: ما يزيد قدرة الشخص على التواصل الاجتماعي، ومنها ما يعالجه عضويًّا، ومنها: ما يزيد من الثقة بالنفس، ومنها ما يعادل النفسية بصحة عامة ويضمن الطمأنينة والتفاؤل! ولذا يوجهون طلاب العلاج إلى اختيار الأحجار المناسبة بدقة بحسب ما يوصي الخبراء، ويتم تحديد الحجر المناسب لكل شخص وفقًا لبرجه وتاريخ مولده، ثم يعلقها المريض أو يتختم بها أو يشرب ماء نقيعها أو يبتلع مسحوقها، وإما أن تلبس كحلي أو يحتفظ بها في جيب أو توضع في غرفة بحسب نوعية الأثر المطلوب تحقيقه، ويتم استخراج معادن وأحجار تتميز بجمال أشكالها واستخدامها للعلاج واستجلاب الحظ، ويزعمون أن لهذه الأحجار قوى مغناطيسية وإشعاعات وترددات ذبذبية تؤثر على جسم الإنسان، وهو من المعتقدات الخرافية الوثنية، والاعتقاد بخصائص الأحجار مستمد من الفلسفة الشرقية والمعتقدات الوثنية القائمة على الأسرار المتوارثة، وليس له أي أسس علمية أو دلائل منطقية يقوم عليها[(٢)].

وهي نوع من التمائم الشركية التي كان أهل الجاهلية يفعلونها، وجاء

---

(١) وقفات مع الفكر العقدي الوافد، د. فوز كردي (ص٣٢).

(٢) انظر: علاجات نفسية، د. فوز كردي (ص٧٣، ٨٠).

الإسلام بإبطالها والنهي عنها.

ومن خصائص الأحجار الشفائية: ما يزعمونه من العلاج بالقوة النفسية «وفيه يوجه الشخص طالب العلاج لاقتناء شكل هرمي، ويفضل أن يكون أخضر اللون يجلس فيه ليستمد طاقة وقوة نفسية كونية تعالج أمراضه كلها النفسية والعضوية، وتمنحه الراحة والحيوية والقدرة على مواجهة ضغوط الحياة، هكذا يزعمون غافلين عما يقعون فيه من الشرك بالله، والاعتماد على أسباب يدل العقل والشرع على بطلانها»[(١)].

٤- العلاج بخط الزمن:

«العلاج بخط الزمن ممارسة من ممارسات البرمجة اللغوية العصبية، التي يدعي مخترعوها أنها طريقة معالجة تمكن من معالجة الإنسان من الأمراض النفسية ومحو مسبباتها بطريقة سريعة تعتمد على التعامل مع الذاكرة وفهم طريقة تخزين المعلومات فيها»[(٢)].

و«يعرف خط الزمن بأنه الرموز الشفرية للذكريات في عقل الإنسان، إنه الطريقة التي يشفر الناس بها ذكرياتهم ويختزنونها، وبه يميز الإنسان بين الذكريات الماضية وأحلام المستقبل، ويزعم المعالجون بخط الزمن أنه بإزالة بعض الذكريات يمكن تغيير سلوكيات الإنسان، وطباعه الشخصية، حيث تسهم الذكريات -سواء كانت في الوعي أو اللاوعي- في بنية شخصيته وسلوكه... أما استخدام هذه الفرضية في العلاج فيكون عن طريق التخيل، حيث ينتقل الإنسان بخياله عبر خط زمنه؛ ليجد الذكريات المؤلمة التي تؤثر عليه، فيزيلها عن طريق إبعادها بخياله»[(٣)].

ويتضمن البرنامج تدريبات تستخدم لتطوير الذات أو للعلاج من المخاوف والصدمات النفسية المختلفة، ويعتمد على القدرة على اكتشاف خط الزمن

---

(١) علاجات نفسية، د. فوز كردي (ص٧٣).
(٢) علاجات نفسية (ص٦٨).
(٣) حركة العصر الجديد (ص٤٤٩).

الخاص بالشخص، والذي تم عليه تخزين أحداث ماضي الإنسان وذكرياته والأحداث الحاضرة من تجاربه وقراراته، ويزعمون أنه يمكن للإنسان إذا ما وصل إلى خطه أن يتجاوز حدود الزمان والمكان، ويتنقل بحرية بين الأحقاب الزمنية الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقبل)، ويمكنه التأثير بتقنيات خاصة فيمسح هذا الماضي ويلغيه، ويقوي الحاضر وينميه، ويؤثر في المستقبل بصور شتى[(١)].

وهي أوهام لا أصل لها من عقل أو شرع، وتبعد الإنسان عن مصادر العلاج الشرعية.

❁ ثالثًا: حكمها:

أولًا: مما سبق يتبين أن هذه البرامج التدريبية هي في أصلها مستمدة من «فلسفات ديانات الشرق؛ من البوذية والطاوية والهندوسية وغيرها، بما تحمله من فكر الخرافة والوهم والطقوس والمعتقدات المنحرفة التي غزت مجتمع العالم باسم: البرمجة اللغوية العصبية والطاقة الحيوية أو الكونية وتطبيقاتها المتعددة، وتسللت عبر المظلة الواسعة لاسم (الطب البديل) أو (التكاملي) كي تحظى بالقبول في الوسط الطبي والعلمي، ومن خلال برامج التدريب والتنمية البشرية»[(٢)].

ثانيًا: اعترف الكثير ممن التحق بهذه الدورات وأمضى في تدريبات البرمجة اللغوية العصبية ودورات الطاقة وأمثالها السنوات الطوال بأنه لم يستفد منها شيئًا بعد أن خسر الأموال الطائلة وأهدر الأوقات الطويلة، وحرم بركة الأذكار والتحصينات الشرعية بعد أن زاحمتها هذه التدريبات الوهمية[(٣)].

(١) انظر: أثر الفلسفة الشرقية (ص٩١).

(٢) مجموع الفتاوى الشرعية في حكم البرمجة اللغوية العصبية وتطبيقات الطاقة الكونية، جمع: خلود السالم (ص١٠).

(٣) انظر: اعترافات وتساؤلات، د. فوز كردي (ص٧٨)، ضمن كتاب: مقالات وأسئلة =

ثالثًا: قامت الجهات العلمية المسؤولة في الولايات المتحدة الأمريكية بتمويل أبحاث عام ١٩٨٧ م بعد انتشار دورات تطوير القدرات تحت مظلة (تحسين الأداء البشري)، وتكونت لجنة من كل من الأكاديميات القومية للعلوم والهندسة والطب والبحث العلمي، وعُهد لمجموعات مختلفة بمراجعة البحوث حسب الإجراءات المعتمدة لدى أكاديميات البحوث الأربع، وانتهت الدراسة إلى «أنه ليس هناك شواهد علمية لدعم الادعاء بأن الـ NLP(١) استراتيجية فعالة للتأثير على الآخرين، وليس هناك تقويم للـ NLP كنموذج لأداء الخبير»، وبعد سنوات تتابعت تقارير اللجان العلمية والأكاديمية على تأكيد نفس النتيجة(٢).

رابعًا: الحكم الشرعي في هذه الأسباب المزعومة للسعادة وتطوير الذات وأمثالها يتبين في قاعدة جامعة، وهي: أن اتخاذ أي سبب لجلب نفع أو دفع ضر لا بد لجوازه من تحقق أحد أمرين: إما ثبوت نفعه شرعًا، أو ثبوت نفعه تجربة وحسًّا، مع تعلق القلب بالرب جل وعلا، وقطع التعلق بالأسباب، واعتقاد أنها مجرد وسيلة، فإن كان لم يثبت نفعه بالشرع أو التجربة فاتخاذه حينئذٍ وسيلة للسعادة من الشرك.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وطريق العلم بأن الشيء سبب:**

* إما عن طريق الشرع، وذلك كالعسل: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ﴾ [النحل: ٦٩]، وكقراءة القرآن؛ فيها شفاء للناس، قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

* وإما عن طريق القدَر، كما إذا جربنا هذا الشيء فوجدناه نافعًا في هذا

= وإجابات حول أبرز التطبيقات للمذاهب الباطنية الروحية المعاصرة.

(١) هي اختصار للبرمجة اللغوية العصبية.

(٢) مهمة جادة للتأكد من صحة ادعاءات البرمجة، د. فوز كردي (ص٧٧-٧٨)، ضمن كتاب: مقالات وأسئلة وإجابات حول أبرز التطبيقات للمذاهب الباطنية الروحية المعاصرة.

الألم أو المرض، ولكن لا بد أن يكون أثره ظاهرًا مباشرًا»[(١)].

❊ أما إذا تعلق بسبب وهو ليس بسبب قدرًا ولا شرعًا، كلبس الحلقة[(٢)]، والخيط، والتميمة، ونحوها؛ فإن اعتقد أن هذه المعلقات أو الملبوسات هي الواقية الشافية بذاتها فهذا شرك أكبر، شرك في الربوبية، حيث اعتقد شريكًا مع الله في الخلق والتدبير، وشرك في الألوهية، حيث تعلق قلبه طمعًا ورجاء بغير الله.

❊ أما إذا اعتقدها سببًا لرفع البلاء، فقد جعل ما ليس سببًا شرعيًّا ولا قدريًّا سببًا، فهذا شرك أصغر؛ لأنه وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهو مخالفة للشرع ومناقضة للعقل؛ لأن الشرع ينهى عن ذلك، والعقل الصريح ينكره، وأما القدر فليس هذا من الأسباب التي يحصل بها المقصود، فهو أراد رفع القدر المكتوب بغير الله[(٣)].

وقد سبق بيان ذلك مفصلًا بأدلته في مبحث التمائم.

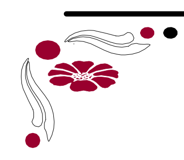


(١) القول المفيد (١/ ١٦٥).

(٢) **الحلقة:** هي كل شيء استدار من صُفرة ونحوها (حاشية كتاب التوحيد ص: ٧٤).

(٣) انظر: القول المفيد (١/ ١٦٥).





ملخص الفصل الثاني

تبين من خلال دراسة هذا الفصل ما يلي:

❑ **الشرك بالله:** أن تجعل لله تعالى نِدًّا، والند هو المثيل والنظير، فكل من أشرك بالله في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته، فقد جعل لله ندًّا ومثيلًا ونظيرًا.

❑ **الشرك ثلاثة أنواع:** ١- شرك في الربوبية، وهو إثبات فاعل مستقل غير الله، كمن يجعل الحيوان مستقلًّا بإحداث فعله، ٢- شرك في الإلهية، وهو عبادة غير الله تعالى. ٣- شرك في الأسماء والصفات، وهو إثبات شيء مما اختص الله به من الأسماء والصفات لغيره.

❑ **ينقسم الشرك في الألوهية إلى نوعين:** ١- شرك أكبر ينقل عن الملة، ٢- شرك أصغر لا ينقل عن الملة، وزاد بعضهم قسمًا ثالثًا سماه: (الشرك الخفي)، **والتحقيق:** أن الشرك الخفي ليس نوعًا مستقلًّا بنفسه، بل قد يكون أكبر، وقد يكون أصغر، فهو مندرج تحتهما.

❑ **الشرك الأكبر:** هو أن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه أو يرجوه أو يحبه كما يحب الله ويرجوه ويخافه، أو يصرف له أي نوع من أنواع العبادة.

❑ **الشرك الأصغر:** كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركًا كالحلف بغير الله ويسير الرياء.

❑ **ضوابط تمييز الشرك الأصغر من الأكبر في النصوص كثيرة، منها:** ١- النص الصريح عليه، ٢- أن يأتي منكَّرًا غير معرَّف، ٣- الاستدلال بفهم الصحابة من النص، فهم أعلم الأمة بمعاني نصوص الكتاب والسنة، ٤- أن يدل

السياق على أنّ المراد به ما دون الشرك الأكبر.

❑ **الشرك الأصغر له صور كثيرة، يمكن حصرها فيما يلي: ١- شرك قولي:** وهو ما كان باللسان، **ومثاله:** الحلف بغير الله. **٢- شرك عملي:** وهو ما كان بأعمال الجوارح، **ومثاله:** التطير (إذا لم يعتقد تأثيرها بذاتها). **٣- شرك قلبي: ومثاله:** يسير الرياء، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا.

❑ اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الشرك الأصغر لا يخرج من الملة، لكنه يُنقص التوحيد، ولا يخلد صاحبه في النار، واختلفوا هل لا يغفر الله له شركه إن مات عليه، بل يعاقب عليه وإن دخل بعد ذلك الجنة؟ أو هو تحت مشيئة الله كسائر الكبائر؟ على قولين.

❑ **الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر: ١-** الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحت المشيئة (على خلاف)، **٢-** الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه، **٣-** الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغر فلا يخرجه منها، **٤-** الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار، وأما الأصغر فلا يخلد صاحبه في النار، **٥-** الشرك الأكبر لا يعامل صاحبه معاملة المسلمين؛ فلا يرث ولا يورث، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، وأما الشرك الأصغر فصاحبه يعامل معاملة المسلمين.

❑ **من أشهر شبهات المشركين:** شبهة الاحتجاج بما كان عليه الآباء والأجداد، وأنهم ورثوا هذه العقيدة خلفًا عن سلف، وكذلك ظنهم أن مجرد النطق بـ«لا إله إلا الله» يكفي لدخول الجنة، ولو فعل الإنسان ما فعل؛ فإنه لا يكفر، وقولهم: نحن لا نريد من الأولياء والصالحين قضاء الحاجات من دون الله، ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله؛ لأنهم أهل صلاح ومكانة عند الله، وغير ذلك من الشبهات. وقد أبطل القرآن الكريم هذه الشبهات، وجاءت السنة النبوية بتقرير وتأكيد ما جاء في القرآن.

❑ **من مظاهر الانحراف في توحيد الألوهية:** ١- الذبح لغير الله، ٢- النذر لغير الله، ٣- ودعاء غير الله، ٤- الاستعاذة بغير الله، ٥- الاستغاثة بغير الله، ٦- شرك المحبة، ٧- شرك الخوف، ٨- شرك الرجاء، ٩- شرك الرياء، ١٠- إرادة الإنسان بعمله الدنيا، ١١- شرك الطاعة، ١٢- شرك الطواف، ١٣- الحلف بغير الله، ١٤- الشرك في الألفاظ.

❑ **السحر:** عزائم ورقى وعقد تؤثر في الأبدان، والقلوب، فيمرض، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، وغير ذلك، **والسحر نوعان:** ١- سحر الحقيقة، ٢- سحر التخييل، وأما حكمه؛ فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر، وإلا فلا، وإذا أتى الساحر في سحره بمكفر قتل لردته حدًّا، وإن ثبت أنه قتل بسحره نفسًا معصومة قتل قصاصًا، وإن لم يأتِ في سحره بمكفر ولم يقتل نفسًا ففي قتله بسحره خلاف.

❑ **النشرة حل السحر عن المسحور**، فإن كان بالقرآن والرقى الشرعية فهو مشروع، وإن كان بالاستعانة بالشياطين والجن فهو شرك، وإن كان بما لا يفهم معناه فهو محرم.

❑ **الكهانة:** ادعاء علم الغيب، والكاهن هو الذي يخبر عما يكون في المستقبل، والعرَّاف هو الذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها، كالمسروق من الذي سرقه، ومعرفة مكان الضالة، وسؤال الكاهن أو العراف سؤالًا مجردًا عن تصديقه فيما يقول محرم، فإن صدقه كفر، وإن سأله امتحانًا ليظهر كذبه وعجزه فهو جائز، وقد يكون واجبًا.

❑ **التنجيم:** الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، **وعلم التنجيم نوعان:** ١- مباح، وتعلمه فضيلة، ويسمى علم التسيير.

٢- محظور، وتعلمه محرم، ويسمى علم التأثير.

❑ الجن أجسام عاقلة خفية لطيفة لا يعلم كيفيتهم إلا الله تعالى، ووجوب الإيمان بوجودهم ثابت بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، واتفاق سلف الأمة

وأئمتها، وخلقوا من نار.

❑ **للجن صفات كثيرة وردت في الكتاب والسنة، ومن أهمها: ١-** أنهم يتشكلون في صور مختلفة، **٢-** أنهم يرون الإنس، والإنس لا يرونهم في صورهم الحقيقية، **٣-** أنهم يأكلون ويشربون، **٤-** أنهم يتناكحون ويتناسلون، **٥-** أن لهم قدرات وأعمالًا خارقة للعادة، **٦-** أنهم مكلفون.

❑ **يظهر ضعف الجن وعجزهم من خلال ما يلي:** ١- ما أخبرنا الله به جل وعلا من ضعف كيدهم، **٢-** ما جاء في السنة من أنه يضعف ويخنس إذا ذكر العبد ربه، **٣-** أنه ليس له سلطان إلا على من اتبعه من الغاوين، **٤-** خوف الشيطان من عباد الله الصالحين، **٥-** عجزهم عن الإتيان بالمعجزات، **٦-** لا يستطيعون أن يتمثلوا بالرسول ﷺ في الرؤيا، **٧-** لهم حدود معينة لا يستطيعون تجاوزها.

❑ **الجن أصناف مختلفة، فهم من حيث تشكلهم ثلاثة أصناف: ١-** صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، **٢-** وصنف حيَّات وكلاب، **٣-** وصنف يحلون ويظعنون، ومن حيث قدرتهم؛ فيهم الضعفاء وفيهم الأقوياء، ومن حيث دينهم وصلاحهم؛ فيهم المؤمن والكافر والصالح والفاسد.

❑ **الجن والشياطين اسمان لمسمى واحد والفرق بينهما من وجهين: ١-** باعتبار الإيمان والكفر، فلا يطلق لفظ الشيطان إلا على الكافر منهم، بخلاف لفظ الجن فيدخل فيه المؤمن والكافر. **٢-** باعتبار الإطلاق، فيطلق لفظ الشيطان على الأشرار من الجن والإنس، بخلاف لفظ الجن فيختص بهم.

❑ **طرق الاحتراز من الجن ما يلي: ١-** الإخلاص لله، **٢-** قراءة القرآن، **٣-** ذكر الله تعالى، **٤-** الاستعاذة بالله، **٥-** لزوم جماعة المسلمين.

❑ **تلبس الجن بالإنس:** هو دخول الجني بدن الإنسي وتأثيره عليه بدنيًّا أو عقليًّا أو نفسيًّا، وأنكره طائفة من المعتزلة، ودلائل الكتاب والسنة مصرحة ببطلان قولهم.

❑ **للاستعانة بالجن صور متعددة:** ١- أن يستعين بهم كالإنس في أمر لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك بالإجماع، ٢- الاستعانة بهم في أمور محرمة دون الشرك، كالتسبب في أذى آدمي مسلم من أكل ماله أو إزهاق روحه، فهذا من الكبائر، وهو من التعاون على الإثم والعدوان، ٣- أن يستعمل الإنس الجن في طاعة الله تعالى بأن يأمرهم بما أمر الله به ورسوله، فهذا مشروع، ٤- الاستعانة بهم في أمور مباحة، وبأسباب مباحة، فهذا فيه خلاف بين أهل العلم على قولين، والراجح هو القول بالتحريم، وقد ينفع الجني الإنسي دون طلب منه، فيكون معونة وليس استعانة.

❑ **التطير:** هو التشاؤم عند سماع شيء أو رؤيته، وهو من عمل أهل الجاهلية، فإن اعتقد أنها تنفع وتضر بذاتها كان شركًا أكبر، وإن اعتقد أنها سبب كان محرمًا ووسيلة إلى الشرك.

❑ **التمائم**: كل ما علق لدفع العين وغيرها من أي شيء كان، فإن علقها معتقدًا أنها سبب فهو شرك أصغر؛ لأنه جعل ما ليس بسببٍ شرعًا ولا تجربة سببًا، وإن اعتقد أنها تنفع بذاتها فهو شرك أكبر، أما التمائم التي تكون من القرآن أو من الأدعية المأثورة فقد اختلف أهل العلم في تعليقها، والصحيح التحريم لعموم الأدلة المانعة، وسدًّا للذريعة.

❑ **الرقى: كل ما يقرأ على المريض للشفاء، وحكمها يختلف باختلاف أنواعها، وهي ثلاثة أنواع:** ١- رقى شركية، كالرقية بأسماء الشياطين. ٢- رقى بدعية، كالرقية بما لا يفهم معناه. ٣- رقى شرعية، وهي ما كان بالقرآن والأدعية المشروعة مع اعتقاد أنها سبب من الأسباب، وأن الشافي هو الله تعالى، أما كتابة آيات قرآنية ووضعها في ماء ثم شربه للاستشفاء، فالأصل فيه الجواز، لكثرة عمل السلف به.

❑ **الوسيلة في القرآن معناها:** التقرب إلى الله بطاعته، وأما التوسل بالنبي ﷺ في كلام الصحابة رضي الله عنهم فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته، وأما التوسل به

ﷺ في عرف كثير من المتأخرين فيراد به: الإقسام والسؤال به، كما يقسمون ويسألون بغيره من الأنبياء والصالحين، ومن يعتقدون فيه الصلاح.

❑ **التوسل قسمان:** ١- توسل مشروع، ٢- وتوسل ممنوع. **فالمشروع:** هو التوسل إلى الله بما شرعه الله ورسوله ﷺ، ومنه: التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، والتوسل إلى الله بأعمال صالحة معينة عملها العبد، والتوسل بدعاء الصالحين، **والممنوع:** هو التوسل إلى الله بما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ، **وهو ينقسم إلى أربعة أقسام:** ١- التوسل بذات المخلوق، فيدعو المخلوق أو يستغيث به -سواء كان النبي ﷺ أو غيره- فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهذا شرك. ٢- أن يطلب من الميت أن يدعو الله له، أو يشفع له عند الله، وهو شرك أيضًا. ٣- التوسل بجاه المخلوق، سواء كان النبي ﷺ أو غيره، وهو بدعة مذمومة. ٤- الإقسام على الله بالمتوسل به، وهو محرم.

❑ **التبرك قسمان:** ١- مشروع، ٢- ممنوع، **والتبرك الممنوع ينقسم إلى قسمين:** ١- تبرك شركي: وهو أن يعتقد المتبرِّك أن المتبرَّك به -وهو المخلوق- يهب البركة بنفسه، فيبارك في الأشياء بذاته استقلالًا. ٢- تبرك بدعي: وهو التبرك بما لم يرد دليل شرعي يدل على جواز التبرك به، معتقدًا أن الله جعل فيه بركة، أو التبرك بالشيء الذي ورد التبرك به في غير ما ورد في الشرع التبرك به فيه، وهذا بلا شك محرم؛ لأن فيه إحداث عبادة لا دليل عليها.

❑ **التبرك بآثار رسول الله ﷺ فيه تفصيل:** ١- التبرك بأعضاء جسده الشريف، وهو جائز لفعل الصحابة رضي الله عنهم وإقرار النبي ﷺ لهم، ٢- التبرك بآثار رسول الله ﷺ المنفصلة عن جسده الشريف، يعني: التبرك بما مس جسده وانفصل عنه من وَضوء أو عرق أو شعر ونحو ذلك، فهذا جائز لفعل الصحابة رضي الله عنهم مع إقرار النبي ﷺ لذلك، ٣- التبرك بآثاره المكانية، كحجرته ومنبره والمواطن التي نزل بها كغار حراء وغار ثور، فلا يشرع التبرك بها، ٤- التبرك

الأسمى والأعلى يكون باتباع شريعته ﷺ والتمسك بسنته والاهتداء بهديه.

❑ **العيد:** اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، **والأعياد قسمان:** ١- أعياد شرعية: وهي عيد الأضحى وعيد الفطر، وعيد أسبوعي، وهو يوم الجمعة، ٢- أعياد بدعية: وهي موافقة الكفار في أعيادهم، أو إحداث أعياد لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ.

❑ **البرمجة اللغوية العصبية:** هي تقنية نفسية تعمل على تغيير هيكلة التفكير والسلوك من خلال تأثير اللغة والألفاظ على التكوين العصبي للإنسان، وهي من أشهر برامج التدريب الوافدة، وأولها دخولًا إلى العالم العربي والإسلامي، وهي تدريبات مقتبسة من خليط من العلوم والفلسفات والاعتقادات والممارسات.

❑ **قانون الجذب** هو القانون الذي عن طريقه يجذب الإنسان إلى حياته كل ما يُكرس له انتباهه وطاقته وتركيزه، سواء كان سلبيًّا أو إيجابيًّا.

❑ **المشي على الجمر:** هي مشي المتدربين حفاة على جمر ملتهب لمحاولة التحرر من إسار العقل المانع من انطلاق الخيال والقوى الكامنة، والتأكيد على مبدأ انعدام المستحيل، فيدخل المتدرب في حالة من الحماس والاندفاع، فيمشي على الجمر وهو يردد: النار باردة، النار باردة، وأصل تدريب المشي على الجمر مأخوذ من الديانات الشرقية.

❑ **الطاقة الكونية:** هي طاقة فلسفية يعتقد أصحاب الديانات الشرقية أنها سبب وجود كل شيء، وهي جوهر كل شيء، وهي مانحة السعادة والحكمة والصحة، وأنه يمكن للإنسان التدرب على كيفية استمدادها والاتحاد معها، من أجل تحصيل السعادة والحكمة والصحة.

❑ **الاستشفاء بالألوان:** يستخدم وسيلة لتحقيق الهدف الأول للفلسفة الشرقية، فاللون وسيلة للاتحاد بالكلي الذي هو أصل كل شيء في اعتقادهم، ويتم العلاج بالألوان كتطبيق علاجي عن طريق اكتشاف المعالج اللون

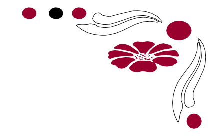
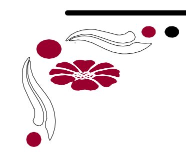
المناسب للمريض، والذي فيه سر شفائه أو سعده.

❑ **الاستشفاء بالأحجار الكريمة:** هو أحد فروع الطب البديل، حيث يدعي أهل هذا العلاج بأن الأحجار الكريمة والبلورات لها خصائص سرية تحسن صحة البدن والنمو الروحي والاستقرار النفسي، وبحسب الناحية النفسية تحدد الأحجار المناسبة.

❑ **العلاج بخط الزمن:** ممارسة من ممارسات البرمجة اللغوية العصبية، التي يدعي مخترعوها أنها طريقة معالجة تمكن من معالجة الإنسان من الأمراض النفسية ومحو مسبباتها بطريقة سريعة تعتمد على التعامل مع الذاكرة وفهم طريقة تخزين المعلومات فيها.

❑ هذه البرامج السابقة هي في أصلها مستمدة من فلسفات ديانات الشرق؛ من البوذية والطاوية والهندوسية وغيرها، بما تحمله من فكر الخرافة والوهم والطقوس والمعتقدات المنحرفة، فلا يجوز المشاركة فيها، ولا الدعوة إليها ونشرها، بل يجب التحذير منها.



أسئلة تطبيقية

س١: عرف الشرك الأصغر، واذكر حكمه، مع ذكر ضوابط التمييز بين الشرك الأكبر والأصغر، وما هي الفروق بين الشرك الأكبر والأصغر؟

س٢: من شبهات عباد القبور دعواهم أنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية شرك وهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكيف ترد عليهم؟

س٣: ما حكم الذين أطاعوا رؤساءهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله؟ بين ذلك مفصلًا.

س٤: ما حكم الشرع في السحر؟ وما عقوبة الساحر؟ وما هي سبل الوقاية من السحر؟

س٥: عرف التبرك لغة واصطلاحًا، وما هي أقسامه؟ وما حكمه شرعًا؟ موضحًا حكم التبرك بآثار الصالحين.

س٦: عرف المصطلحات التالية: (الطيرة، النشرة، التمائم)، واذكر حكمها تفصيلًا.

س٧: ما الفرق بين السحر والكهانة والعرافة والتنجيم؟ وما حكمها؟

س٨: أنكر طائفة من المعتزلة دخول الجن في بدن المصروع. فكيف ترد عليهم؟

س٩: للاستعانة بالجن صور متعددة، اذكرها مع بيان حكمها بإيجاز.

س١٠: التوسل في عرف الصحابة غير التوسل في عرف كثير من المتأخرين. وضح ذلك، ثم اذكر أقسام التوسل الممنوع.

س١١: انتشرت في عدد من البلدان دورات البرمجة اللغوية العصبية، فما المراد بها؟ وما موقف الإسلام منها؟

س١٢: علل ما يأتي:

١- الشرك الخفي ليس نوعًا مستقلًّا بنفسه.

٢- الاستغاثة قد تكون شركًا وقد تكون جائزة.

٣- النذر لغير الله تعالى قد يكون شركًا أكبر أو أصغر.

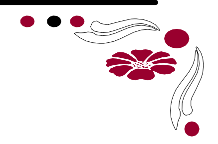
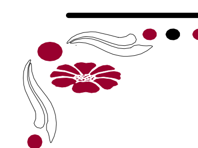
٤- الراجح تحريم تعليق التمائم وإن كانت من القرآن.

٥- الاستشفاء بالألوان والأحجار خرافة.





فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

